



وزارة التربية

تفسير القرآن الكريم

الصف الثاني عشر - التعليم الديني



الطبعة الأولى



وزارة التربية

تفسير القرآن الكريم

للفص الثاني عشر - التعليم الديني

تأليف

أ. نوال عبدالله حسين جميعان (مشرفاً)

أ. حمدي علي الجوهري

أ. سعد محسن الشمري

أ. منى فوزان العبيد

أ. رابعة يوسف المكي

الطبعة الأولى

١٤٣٦ - ١٤٣٧ هـ

٢٠١٥ - ٢٠١٦ م

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية - قطاع البحوث التربوية والمناهج
إدارة تطوير المناهج

الطبعة الأولى: ٢٠١٥ - ٢٠١٦م





صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح
أمير دولة الكويت



سَيِّدُ الشَّيْخِ نَوَافُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ السَّبَّاحِ
وَلِيَّ عَهْدِ دَوْلَةِ الْكُوَيْتِ

المحتوى

الدرس	الموضوع	الآيات	الصفحة
	المقدمة		١١
	سورة النور		١٣
الأول	حد الزنا	(٣ - ١)	١٥
الثاني	القذف من الكبائر	(٥ - ٤)	٢٥
الثالث	اللعان بين الزوجين	(١٠ - ٦)	٣٢
الرابع	حادثة الإفك	(٢٠ - ١١)	٣٨
الخامس	اتباع الشيطان أصل الشر	(٢٦ - ٢١)	٥١
السادس	آداب الاستئذان وحرمة البيوت	(٢٩ - ٢٧)	٦١
السابع	سد الشريعة لذرائع الشر	(٣١ - ٣٠)	٦٨
الثامن	الترغيب في الزواج	(٣٤ - ٣٢)	٧٨
التاسع	الله نور السماوات والأرض	(٣٨ - ٣٥)	٨٨
العاشر	أعمال الكافرين	(٤٠ - ٣٩)	٩٧
الحادي عشر	من دلائل التوحيد	(٤٦ - ٤١)	١٠٤
الثاني عشر	تذبذب المنافقين وثبات المؤمنين	(٥٤ - ٤٧)	١١١
الثالث عشر	الرفعة والتمكين لهذه الأمة	(٥٧ - ٥٥)	١١٩
الرابع عشر	من الآداب الرفيعة	(٦٠ - ٥٨)	١٢٧
الخامس عشر	آداب وأحكام	(٦١)	١٣٤
السادس عشر	مكانة الرسول ﷺ	(٦٤ - ٦٢)	١٤١

الدرس	الموضوع	الآيات	الصفحة
	سورة الفرقان		١٤٩
السابع عشر	علو منزلة القرآن	(١ - ٣)	١٥١
الثامن عشر	إفك واقتراء	(٤ - ٦)	١٥٩
التاسع عشر	عناد المشركين	(٧ - ١٦)	١٦٥
العشرون	مصير المشركين	(١٧ - ٢٠)	١٧٣
الحادي والعشرون	جزاء الاستكبار	(٢١ - ٢٣)	١٧٩
الثاني والعشرون	من أهوال يوم القيامة	(٢٤ - ٢٦)	١٨٣
الثالث والعشرون	خطورة أصحاب السوء	(٢٧ - ٢٩)	١٩٠
الرابع والعشرون	عظمة القرآن الكريم	(٣٠ - ٣٤)	١٩٥
الخامس والعشرون	الاعتبار بقصص الأنبياء	(٣٥ - ٣٧)	٢٠١
السادس والعشرون	عاقبة المكذبين	(٣٨ - ٤٠)	٢٠٥
السابع والعشرون	المشركين أشد ضللاً من الأنعام	(٤١ - ٤٤)	٢١٠
الثامن والعشرون	عظمة الخالق	(٤٥ - ٥٠)	٢١٧
التاسع والعشرون	عموم الدعوة المحمدية	(٥١ - ٥٦)	٢٢٥
الثلاثون	من آداب الدعوة إلى الله - ﷻ -	(٥٧ - ٦٢)	٢٣٣
الحادي والثلاثون	عباد الرحمن (١)	(٦٣ - ٧٠)	٢٤٣
الثاني والثلاثون	عباد الرحمن (٢)	(٧١ - ٧٧)	٢٥٥
المراجع			٢٦٥

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي الأمين
وعلى آله وأصحابه أجمعين :

هذا كتاب التفسير للصف الثاني عشر في التعليم الديني ، وفيه تفسير سورة
(النور) ويعقبها تفسير سورة (الفرقان) ، وقد اعتاد المتعلم على أسلوب طرح الدروس
بعد دراسته لكتاب التفسير في الصف التاسع والعاشر والحادي عشر ، حيث العديد من الأمور
التي تربط المتعلم بالواقع المعاصر الذي نعيش فيه ، كما يشتمل على بعض القيم المستخلصة من
الآيات الكريمة وما ترشد إليه من أمور كثيرة ومتنوعة نأمل الاستفادة منها .

والمتعلم في هذه المرحلة مقبل على حياة جديدة ، فبعد الانتهاء من المرحلة الثانوية سيحدد
كل متعلم اتجاهه الذي سيسلكه في المستقبل ، ولكننا ننصح أبناءنا وبناتنا بالسير على نهج القرآن
الكريم في جميع الأمور الحياتية ، فهو دستورنا الذي نعز به ونفخر أمام المجتمعات جمعاء .

أبناءؤنا وبناتنا :

لديكم حصيلة علمية كبيرة في تفسير الآيات الكريمة للعديد من السور القرآنية خلال سنوات
مضت ، وقد اعتدتم على أسلوب العلماء في التفسير ، فليكن ذاك أسلوبكم عند قراءة الآيات
الكريمة في أي موضع كان ، ولا تغفلوا عن التمعن فيها وتدبرها ، وليكن كل واحد منكم داعية
إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة ، فلا إفراط ولا تفريط في دين الله - ﷻ - ، فلن يشاد الدين
أحد إلا غلبه .

أيها المتعلم :

احرص على الاستمرار في طلب العلم الشرعي ، وواظب على قراءة العلوم النافعة وإن
اختلفت ميولك واتجاهاتك بعد إنهاء المرحلة الثانوية ، فكتاب الله - ﷻ - أولى منا بالاهتمام
حتى تنال البركة في كل شيء . فاحرص حفظك الله - ﷻ - على أن تقرأ في التفسير دائماً حتى
تكون ملازماً لكتاب الله - ﷻ - ، ولئلا تنسى العلم الذي تعلمته وأمضيت الوقت الكثير لفهمه
وتحصيله .

وفقكم الله - ﷻ - لما يحب ويرضى ، ، ،
المؤلفون



سورة النور

بين يدي السورة الكريمة :

سورة النور سورة عظيمة اشتملت على كثير من الأحكام العظيمة والفوائد الجليلة ، وهي سورة مدنية بالإجماع ، وُسِّمَت بسورة النور لذكر النور فيها كما في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(١) . ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ ^(٢) . ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ ^(٣) .

وعن حارثة بن مضرب قال : كتب إلينا عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « أَنْ تَعْلَمُوا سورة النساء والأحزاب والنور » . وقال كذلك : « عُلِّمُوا نساءكم سورة النور » . قال القرطبي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر وغيرها من الأحكام الدينية المفصلة » .

● ما احتوت عليه هذه السورة الكريمة من الأحكام والمعاني والمقاصد :

- ١- التنويه بشأن هذه السورة الكريمة والتأكيد على ما اشتملت عليه من أحكام وآداب .
- ٢- حدُّ جريمة الزنا .
- ٣- حدُّ القذف .
- ٤- بيان أحكام اللعان .

(١) سورة النور : ٣٥

(٢) سورة النور : ٣٥

(٣) سورة النور : ٤٠

- ٥- قصة الإفك وبراءة السيدة عائشة أم المؤمنين - ﷺ .
- ٦- آداب الاستئذان .
- ٧- الأمر بحفظ الفرج وغيض البصر .
- ٨- الأمر بإنكاح الأيامى من الرجال والنساء .
- ٩- الأمر بالعفة لمن لم يستطع مؤن النكاح .
- ١٠- إثبات أن الله - ﷻ - نور السماوات والأرض وعِظَم المثل الذي ضرب به الله - ﷻ - .
- ١١- الأعمال الصالحة التي عملها الكافر في الدنيا لا تنفعه يوم القيامة .
- ١٢- الأدلة التي نصبها الله - ﷻ - في الأكوان علويها وسفليها شاهدة بوحدانيته .
- ١٣- بيان شيء من حال المنافقين وأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم .
- ١٤- وصف المؤمنين الصادقين .
- ١٥- ما وعد الله - ﷻ - عباده المؤمنين بأن يستخلفهم في الأرض وينشر دينهم الذي ارتضى لهم .
- ١٦- توقير مجلس النبي - ﷺ - وتبجيله .

حد الزنا

سورة النور الآيات (١ - ٣)

التمهيد :

أشارت الآيات من سورة النساء إلى عقوبة حد الزنا فكانت عقوبة الزانية الحبس في البيوت حتى يتوفاها الله - عَزَّوَجَلَّ - ، أما الزاني فكانت عقوبته الإيذاء بالضرب الخفيف والتقريع والعتاب وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَالَّتِي يَأْتِيكَ الْفَدْحَشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذَوْهُمَا فَأْتِ تَابًا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝١٦ ﴾ ^(١) ولم يمض على هذين الحدين إلا القليل من الزمن حتى أنجز الرحمن ما وعد وجعل لهن سبيلاً والآيات التالية من سورة النور نسخت الحكم السابق في حد الزنا .

قال تعالى

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
سُورَةٌ	مأخوذة من الرفعة والشرف ، وقيل من الإبانة والتمام والإحاطة لأنها بائنة عن السورة الأخرى منفصلة عنها محيطة بآياتها
وَفَرَضْنَاهَا	أوجبنا ما فيها من أحكام
ءَايَاتٍ	جمع آية : وهي العلامة ، وسُميت آيات القرآن بذلك لما فيه من الهدى والإعجاز في ألفاظه ومعانيه
يَلَيِّنَتْ	جمع بينة ، من بان يبين فهو بين إذا ظهر واتضح
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	تتعمدون فتعملون بما فيها من أحكام
الزَّانِيَةُ	هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه
وَالزَّانِي	من وطئ المرأة من غير عقد شرعي ولا شبهة
فَأَجْلِدُوا	الجلد : ضرب الجلد
وَلَا تَأْخُذْكُمْ	لا تغلبكم الشفقة عليهما والرحمة بهما
رَأْفَةً	رحمة ورقة
فِي دِينِ اللَّهِ	في طاعته وإقامة حدّه
وَلْيَشْهَدْ	وليحضر
عَذَابَهُمَا	حدّهما إذا أقيم عليهما
طَائِفَةٌ	جماعة
لَا يَنْكِحُهَا	لا يتزوجها

سبب نزول قوله تعالى : ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رجل يقال له : مرثد بن أبي مرثد ، وكانت امرأة بغية بمكة يقال لها : عناق فأراد أن يتزوجها ؛ فسأل رسول الله - ﷺ - ولم يرد عليه شيئاً حتى نزلت الآية ؛ فقال رسول الله - ﷺ - : يا مرثد : ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ (١) .

الشرح الإجمالي للآيات :

عظم شأن هذه السورة الكريمة :

يقول الله - ﷻ - منوهاً بشأن هذه السورة الكريمة لما فيها من إشعاعات نور الأحكام والآداب والمواعظ والتذكير ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾ إشارة إلى عظمة هذه السورة التي أنزلها الله - ﷻ - لما فيها من أحكام عظيمة وآداب كريمة ومواعظ جليلة .

وإعراب كلمة ﴿سُورَةٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه ﴿سُورَةٌ﴾ وفي تنكيرها تفخيم وتعظيم لشأنها .

والسورة في الشرع : هي القطعة من كلام الله - ﷻ - في كتابه ذات بداية ونهاية معروفة ، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر .

وفي قوله تعالى : ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ إثبات علو الله - ﷻ - على خلقه ؛ وفيها دليل على أن القرآن الكريم منزلٌ من عند الله غير مخلوق كما هو المعتقد الحق .

وقوله تعالى : ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي أوجبنا ما فيها من أحكام وعقيدة وآداب ﴿وَأَنْزَلْنَاهَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي أنزلنا في غصونها آيات واضحة لا غموض فيهن ولا إشكال ولا لبس فيما تضمنته من معان وأحكام .

وتكرير ﴿وَأَنْزَلْنَاهَا﴾ لكمال العناية بإنزال هذه السورة الكريمة .

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥٠١) والنسائي في النكاح (٣٢٢٨) والترمذي في النكاح (٣١٧٧) .

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لعل : للتعليل ؛ أي لأجل أن تتذكروا ، والتذكر هو الاتعاظ بالقرآن الكريم ، والاعتبار فيه من الوعد والوعيد ، وتدبر ألفاظه ومعانيه وتصديق أخباره وامتنال أحكامه .

بيان حدِّ الزنا :

قال الله تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ هذا شروع في تفصيل ما أجمل من الآيات البينات ، والزنا هو وطء الرجل المرأة من غير عقد زواج بينهما ، والزانية : هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه ، لا المكروهة .

﴿فَاجْلِدُوا﴾ الجلد ضربُ الجلد بالسوط ونحوه ضرباً يؤلمه ولا يقطع اللحم ولا يجرح الجلد . والأمر في الآية للوجوب ؛ والخطاب فيه لولاة أمر المسلمين ؛ فلا يجوز أن يقيم الحد غير الإمام أو نائبه لما في ذلك من حصول الفوضى بين الناس .

وقدَّم الزانية على الزاني هنا إشارة إلى أن الزنا في النساء أَعْرُوْ وأقبح وأضر للحمل ؛ وكذلك هي السبب الأعظم في حصول هذه الجريمة غالباً .

وقوله : ﴿مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ أي عدد جلده بالسوط ونحوه مئة جلدة .

وهذا هو حدُّ الزاني الحر البالغ البكر وكذلك الزانية .

وثبت بالسنة زيادة على هذا الجلد تغريب عام ، وأمّا من كان محصّناً من الأحرار فعليه الرجم بالسُّنة الصحيحة المتواترة .

وقد خُصَّ من عموم قوله تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الإمام مطلقاً لقوله تعالى : ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾^(١) ؛ أي فعليهن نصف حدِّ الحرائر : خمسون جلدة ، وألحق الجمهور بالإماء العبيد الذكور ، فمن زنى منهم جُلد خمسين جلدة .

﴿لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ لا تغلبنكم الشفقة عليهما والرحمة بهما والعطف عليهما
فتمنعكم من إقامة الحدّ عليهما ، أو تحملكم على تخفيفه والخروج به عمّا شرع الله -ﷻ-
وأمر به .

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي إن كنتم تصدّقون بالتوحيد والبعث الذي فيه جزاء
الأعمال فلا تعطّلوا الحدود .

وكثيراً ما يقرن الله -ﷻ- بين الإيمان به وبين الإيمان باليوم الآخر ، وذلك أنّ الإيمان باليوم
الآخر من أعظم الحوافز التي تدفع الإنسان للعمل الصالح ، حيث الجزاء على الأعمال في ذلك
اليوم ، فهو أعظم دافع إلى العمل الصالح ، وهو أعظم رادع عن التماذي في الباطل لمن وفقه
الله -ﷻ- .

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : ليحضره فرقة من المسلمين زيادةً في التنكيل
بهما وشيوع العار عليهما وإشهار فضيحتهما . قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته- : « فأمر
بعقوبتهما وعذابهما بحضور طائفة من المؤمنين وذلك بشهادته على نفسه أو بشهادة المؤمنين
عليه ؛ لأن المعصية إذا كانت ظاهرة كانت عقوبتها ظاهرة » .

متى يُقام الحدُّ ؟

إذا رفع الحكم إلى السلطان ؛ لقوله -ﷺ- : « تعافوا الحدود فيما بينكم : فما بلغني من حدٍّ
فقد وجب »^(١) .

ولا يثبت الزنا إلا بأحد أمرين :

- أن يقرّ به الزاني على نفسه صريحاً .

- أن يشهد عليه أربعة رجال عدول مكلفين أحرار شهادة صريحة .

(١) رواه أبو داود في الحدود (٤٣٧٦) .

فضل إقامة الحدود :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لحدّ يقام في الأرض خيرٌ لأهلها من أن يمْطَرُوا أربعين صباحاً » ^(١) .

هجر الزناة :

قال الله تعالى : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) .

وبعد أن أمر الله - عز وجل - برجم الزانيين عقوبة لهما وتنكيلاً بهما ، أتبع ذلك بيان تحريم مناكحتهما هجراً وتأديباً لهما ، قال تعالى : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ أي إن غالب الزناة أن الواحد منهم لا يرغب إلا في الزواج بزانية مثله ، وغالب الزواني لا ترغب الواحدة منهم إلا في الزواج بزانية مثله ، والمقصود : زجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « فأما المشرك فلا إيمان يزجره عن الفواحش ومجامعة أهلها ، وأما الزاني ففجوره يدعو به إلى ذلك وإن لم يكن مشركاً » ثم قال تعالى : ﴿ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) لما فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة واحتمال أن تدخل عليه ولداً ليس منه ؛ وغير ذلك من المفاصد اللاتية لا تكاد تليق بالأراذل فضلاً عن المؤمنين .

فلا يحل أن يتزوج امرأة غير عفيفة وهو يعلم ، ولا يحل للمرأة أن تتزوج رجلاً فاجراً وهي تعلم وعبر بالتحريم مبالغة في الزجر .

أما إذا تاب الزانيان وأنابا إلى الله - عز وجل - وصلحت أحوالهما فإنه يجوز تزويجهما لأن التوبة تجب ما قبلها حتى ولو كان أعظم الذنوب وهو الشرك بالله - عز وجل - .

وفي الآية إشارة إلى الحذر من أصحاب السوء ؛ والحث على مخالطة الأخيار فإن المقارنة مؤثرة .

(١) رواه النسائي (٤٩٠٤) وابن ماجه في الحدود (٢٥٣٨) .

كبيرة الزنا :

لا شك أنّ الزنا من أعظم الفواحش وهو كبيرة من كبائر الذنوب قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢) ، وقد رتب الله -عزّ وجلّ- عليه العقوبة العظيمة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (٦٨) يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) ﴿٢﴾ .

وبحمد الله أنّ الشريعة الإسلامية سدّت كل طريق يوصل إلى هذه الفاحشة العظيمة ، فمن ذلك :

- الأمر بغضّ البصر عمّا يحرم النظر إليه .
- تحريم التبرج والسفور والأمر بالحجاب الشرعي والقرار في البيت .
- النهي عن اختلاط الرجال بالنساء وبالعكس .
- تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية وتحريم سفرها من غير محرم .
- النهي عن مصافحة الأجنبية .

من هداية الآيات :

- ١- عظم هذه السورة وما فيها من أحكام وآداب .
- ٢- إثبات علو الله -عزّ وجلّ- على خلقه .
- ٣- القرآن الكريم كلام الله -عزّ وجلّ- منزل غير مخلوق .
- ٤- بيان أنّ ما أنزله الله -عزّ وجلّ- في هذه السورة مما فرضه الله على عباده .
- ٥- المقصود من إنزال القرآن الكريم التذكّر والاعتاظ .
- ٦- بيان خطر جريمة الزنا وشدة حرمة وشناعته .

(١) سورة الإسراء : ٣٢ .

(٢) سورة الفرقان : ٦٨ - ٦٩ .

- ٧- توضيح عقوبة الزاني والزانية .
- ٨- أنّ من يقيم الحدود هم ولاية الأمر أو من ينوبهم .
- ٩- لا يعطّل الحدُّ أو يُخفّفُ للشفقة والرحمة .
- ١٠- الإيمان باليوم الآخر من أعظم وأهم أركان الإيمان .
- ١١- علانية إقامة الحدّ على الزناة تنكيلاً بهما وزجراً لغيرهما .
- ١٢- تحريم إنكاح الزناة ونكاح الزواني .
- ١٣- التحذير من مخالطة أصحاب السوء والحثُّ على مخالطة الأخيار .

من القيم المستفادة :

- الاعتناء بهذه السورة .
- بغض الزنا وأهله .
- حبُّ الصالحين .



التقويم

السؤال الأول : أجب عما يأتي :

١- ما معنى « السورة » لغةً وشرعاً ؟

.....

.....

٢- دلّل على عِظَم منزلة سورة النور :

.....

.....

السؤال الثاني : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- يدل قول الله تعالى : ﴿ سُوْرَةُ أَنْزَلْنَاهَا ﴾ على علو الله - ﷻ - على خلقه . ()
- ٢- إعراب كلمة ﴿ سُوْرَةُ ﴾ مبتدأ مرفوع . ()
- ٣- حد الزاني الأعزب جلد مئة وتغريب عام . ()
- ٤- سورة النور سورة مكية . ()

السؤال الثالث : أكمل ما يأتي :

لا يثبت الزنا إلا بأحد أمرين هما :

١ -

٢ -



السؤال الرابع : أجب عما يأتي :

١- اكتب حديثاً في فضل إقامة الحدود :

.....

.....

٢- كيف سدت الشريعة الطرق المؤدية إلى الفاحشة ؟

.....

.....

٣- لم ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ؟

.....

.....



القذف من الكبائر

سورة النور الآيتان (٤ - ٥)

تمهيد :

قد عظم الله -عز وجل- شأن اللسان وبين لنا خطره وما يترتب على ألفاظه من مؤاخذات ؛ قال الله تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾^(١) ، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان ؛ تقول : اتق الله فينا فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا »^(٢) .

وقال -صلى الله عليه وسلم- : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم »^(٣) .

قال الشاعر :

يموت الفتى من عشرة بلسانه وليس يموت المرء من عشرة الرجل
فعثرته بالقول تودي برأسه وعثرته بالرجل تبرى على مهل

وقال آخر :

احذر لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتل لسانه كانت تخاف لقاء الشجعان

فيجب على الإنسان أن يحفظ لسانه من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان ، ورمي الناس بالباطل والطعن بالأخيار ، ويطهر لسانه من بذيء الكلام ومن السب والشتم ولا سيما قذف الناس

(١) سورة ق : ١٨ .

(٢) رواه الترمذي (٤ / ٦٠٥) .

(٣) رواه البخاري (٢٣٧٧) .

والتطاول على أعراضهم ؛ فإن انتشار هذه المساوئ يقطع المجتمع ويزيد البغضاء والشحناء ، فلو وزن كلُّ منا ألفاظه وأقواله وامتلأ لأمر الله -ﷻ- في قوله ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) . لانتشرت المحبة وازداد التآلف وقوي الترابط ، والله المستعان .

قال تعالى

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
يَرْمُونَ	يقذفون بالزنا
الْمُحْصَنَاتِ	المؤمنات العفيفات
شُهَدَاءَ	مفردها شاهد ، وهي مشتقة من الشهادة والشاهد يخبر عما شاهده وعلم به
الْفَاسِقُونَ	جمع فاسق ، والفسق : هو الخروج عن طاعة الله -ﷻ-
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا	التوبة : هي الرجوع والعودة إلى الله -ﷻ- والإنابة إليه بالإيمان والعمل الصالح
وَأَصْلَحُوا	أصلحوا حالهم وعملهم بترك المعصية والبعد عنها
غَفُورٌ	من أسماء الله الحسنى ، يدل على أنه سبحانه ذو مغفرة والمغفرة من الغفر وهو الستر والتجاوز فالله -ﷻ- يستر عبده ويتجاوز عن ذنبه
رَحِيمٌ	من أسماء الله الحسنى ، يدل على أنه سبحانه ذو رحمة بعباده المؤمنين

الشرح الإجمالي للآيات :

بيان حد القذف :

بعد أن ذكر الله -عز وجل- في الآيات السابقة حد الزنا وحكم مناكحة الزناة بين -عز وجل- حد القذف وذلك كله صيانة للأعراض من الانتهاك والأذى ؛ والقضاء على وسائل إشاعة الفاحشة في مهدها ؛ قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ أي والذي يقذف المؤمنين والمؤمنات بوطءٍ يوجب الحد كالزنا أو إتيان الذكران أو بنفيه من أبيه ، وذلك كأن يقول فلان زان فيقذفه بهذه الكلمة الخبيثة شدد الله عليه لغوياً فسمي قذفه رمياً ، و أمره أن يحضر أربعة شهود يشهدون أمام الحاكم على صحة ما رمى به أخاه المؤمن ، وقد اشترط الشرع أربعة شهود زجراً للقاذف عمّا يتضرر به العباد ، وفي اشتراط العدد بالأربعة يتحقق معنى الستر على عباد الله -عز وجل- الذي دعا إليه الشارع الحكيم ، ولأن الشيء كلما كثرت شروطه قل وجوده وذلك قصد الشارع ، فما التشديد في وجود الشهداء الأربعة إلا وقاية للمجتمع من كثرة القذف واستباحة أعراض المؤمنين ، فإن لم يأتي بالأربعة شهود أُقيم عليه الحد المذكور في الآية بعد توفر شروط القذف فيه .

شروط القذف



فيجلد القاذف ثمانين جلدةً على ظهره ويترتب على القذف ثلاثة أنواع من العقوبات :

- ١- عقوبة جسدية بالجلد .
- ٢- عقوبة مدنية برّد هادته وعدم قبولها .
- ٣- عقوبة أخروية وذلك بأن يُعد فاسقاً .

وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤) الخارجون عن طاعة الله وطاعة رسوله - ﷺ - ، المتجاوزون الحد في المعصية ، ويلحق الرجال بالنساء في هذا الكلام بلا خلاف بين أهل العلم فمن قذف رجلاً كمن قذف امرأة مؤمنةً فالحكم واحد .

وخصت الآية الكريمة النساء بالذكر لأن قذفهن أشنع والعار فيهن أعظم ، وما في ذلك من آثار سيئة عليها وعلى أهل بيتها وعائلتها ، بحيث يبتعد الناس عن الزواج منها ومن أهل بيتها ومن عائلتها بسبب هذه المقالة التي تنتشر انتشار النار في الهشيم ، وقد تكون أوهى من بيت العنكبوت .

الحث على التوبة وصلاح العمل :

ثم قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ وَرَجَعُوا عَمَّا قَالُوا وَنَدِمُوا عَمَّا تَكَلَّمُوا وَكَذَّبُوا أَنْفُسَهُمْ وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ مِنْ ذَلِكَ ، وعزموا على ترك العود إلى مثله ﴿ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ أي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم والقذف الذميمة ﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾ أعمالهم وأحوالهم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٨٩) فإله - ﷻ - يغفر لهم بأن يستر عليهم ويتجاوز عنهم بعد التوبة ، وهو رحيم بهم ولا يعذبهم بهذا الذنب العظيم بعد ما تابوا منه ؛ فلا يكون القاذف بعد توبته مردود الشهادة ولا مرفوع العدالة ولا موصوفاً بالفسق على قول جماهير أهل العلم .

وفي الآية إشارة إلى غاية كرم الله - ﷻ - ورحمته بعباده لأنه يستر عليهم ولا يظهر صدق أحدهم أو كذبه ، ولتأديبهم أوجب عليهم الحد .

وفي مشروعية هذا الحد إشارة إلى إمساك اللسان عن الخوض في أعراض المسلمين ؛ فلو تسامح الشرع في هذا لأطلق أناس ألسنتهم بأعراض بريئة كذباً وزوراً وبهتاناً ، فأوصد هذا الباب أمام هؤلاء الأفاكين ومروجي الإشاعات فسبحان الحكيم العليم .

من هداية الآيات :

- ١- بيان حد القذف وهو الجلد ثمانين جلدة لمن قذف مؤمناً أو مؤمنةً بالفاحشة وكان المقذوف بالغاً عاقلاً مسلماً عفيفاً .
- ٢- سقوط عدالة القاذف إلا أن يتوب .
- ٣- التوبة الناصحة الصادقة تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة .
- ٤- الإشارة إلى رمي المحصنات من النساء أعظم وأشد ضرراً من رمي المحصنين من الرجال .
- ٥- ثبوت الزنا بأربعة شهود من الرجال الأحرار البالغين .
- ٦- إثبات اسمي الله -عزَّ وجلَّ- ﴿الْغَفُورُ﴾ ﴿الرَّحِيمُ﴾ .
- ٧- فضل الله -عزَّ وجلَّ- على عباده بأن شرع لهم التوبة إليه .

من القيم المستفادة :

- احترام الأعراض .
- خطورة اللسان .
- حبَّ التوبة إلى الله .



السؤال الأول : أجب عما يأتي :

١ - ما المراد بالقذف ؟

.....

.....

٢ - ماذا يحدث إن لم يأت القاذف بأربعة شهداء ؟

.....

.....

السؤال الثاني : علّل ما يأتي :

- خصّت الآيات الكريمة النساء بالذكر .

.....

.....

السؤال الثالث : ماذا يترتب على القاذف من أحكام بعد إقامة الحد عليه ؟

- ١ -
- ٢ -
- ٣ -



السؤال الرابع : اختر المكمل الصحيح لتكملة العبارات التالية بوضع خط تحته :

١- للقاذف أن يحضر أربعة شهود يشهدون على صحة ما رمى به أمام :

(المقدوف - الحاكم - الناس جميعاً)

٢- يُقام الحد على القاذف إن كان المقدوف :

(مشركاً - مسلماً أو كتابياً - مسلماً)

٣- تسقط عدالة القاذف بالقذف فلا تعود إليه عدالته إلا بعد :

(إقامة الحد عليه - تنازل المقدوف عن حقه - توبته)



اللعان بين الزوجين

سورة النور الآيات (٦ - ١٠)

تمهيد :

الله ﷻ حرّم القذف وبيّن أنه جريمة في حق الأفراد والمجتمع وتوعّد القاذف بأشد الوعيد ، فأوجب الله ﷻ جلد القاذف (إذا لم يأت بأربعة شهود يشهدون بصحة ما قال) ثمانين جلدة وأنّ يُعتبر فاسقاً لا تقبل شهادته ، إلا إن تاب وأصلح كما مرّ معنا في الدرس السابق .

وهذا الحكم إذا قذف المرء غير زوجته أما إذا قذف زوجته بالزنا فعليه أن يدرك عظم ما يترتب على القذف بما يسمى باللعان ، و اللعان هو شهادات مؤكّدة بآيمان من الطرفين (الزوج والزوجة) مقرونة بلعنة أو غضب كما في الآيات التي معنا .

وفي تشريع اللعان من الحكم العظيمة التي تدل على أنّ هذه الشريعة منّزلة من عند ربّ عليم حكيم .

قال تعالى

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ
لَمِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعَنْتَ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا
الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا
إِنْ كَانَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
يَرْمُونَ	يتهمون أزواجهم بالفاحشة ويقذفونهن بالزنا
أَزْوَاجَهُمْ	جمع زوج ، ويطلق الزوج في اللغة على المرأة كما يطلق على الرجل
لَعَنَتَ اللَّهُ	غضبه و نقمته ، وأصل اللعن الطرد من رحمة الله ومنه سُمي اللعان لعاناً لأن فيه ذكر اللعنة
وَيَذَرُوهَا	يدفع ، والدرء : الدفع
الْعَذَابَ	المراد به العقاب الدنيوي وهو الحدّ
تَوَابٍ	صيغة مبالغة من التوب ، أي : كثير التوبة على من رجع عن المعاصي بالرحمة والمغفرة
حَكِيمٍ	يضع الأمور في مواضعها ويشرّع من الأحكام ما فيه مصلحة العباد .

سبب نزول الآيات :

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- : « أَنَّ هَلَالَ بْنَ أُمَيَّةٍ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ -ﷺ- بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : « الْبَيِّنَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ » فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ -ﷺ- يَقُولُ : « الْبَيِّنَةُ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ » فَقَالَ هَلَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ فَلْيَنْزِلْنِ اللَّهُ مَا يُبَيِّرُنِي ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ... ﴾ فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ ﴿ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ فَانصَرَفَ النَّبِيُّ -ﷺ- فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَجَاءَ هَلَالَ فَشَهِدَ وَالنَّبِيُّ -ﷺ- يَقُولُ : « إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ » ، ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَفَوْهَا وَقَالُوا : إِنَّهَا مُوجِبَةٌ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَتَلَكَأَتْ وَنَكَصَتْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ ثُمَّ قَالَتْ : لَا أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ ، فَمَضَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : « أَبْصُرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ سَابِغِ الْاَلَيْتَيْنِ خَدَلَجَ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لَشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ » ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : « لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلِهَا شَأْنٌ »^(١) .

(١) رواه البخاري في تفسير سورة النور (٤٧٤٧) - رواه مسلم عن أنس في اللعان (١٤٩٦) .

المعنى الاجمالي للآيات :

اللعان وصورته :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ قال ابن كثير - رحمه الله - : « هذه الآية الكريمة فيها فرج للأزواج وزيادة مخرج إذا قذف أحد زوجته وتعسر عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر الله - عز وجل - ، والمعنى : أن من قذف زوجته بالفاحشة واتهمها بالزنا ولم يكن لديه بينة تُثبت صدقه فيما يدّعي ولا شهود يشهدون على صحّة ما قال ، فالواجب عليه أن يشهد أربعة شهادات بالله إنه لمن الصادقين تقوم مقام الشهداء الأربعة ليدفع عنه حد القذف ثم قال تعالى : ﴿ وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعَنْتَ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ثم يحلف في المرة الخامسة بأن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين في رميه لها بالزنا .

وسميت الأيمان هنا شهادة لأنها أقيمت مقام الشهود وأصبحت بدل عنها .

ثم يأتي إلى الزوجة التي قذفها زوجها ولاعنها ، ويأمرها أن تقر بما رماها به ويقام عليها حد الزنا وهو هنا الرجم ، أو أنها تدفع ذلك بأن تشهد أربعة شهادات بالله أنها ما زنت والخامسة تدعوا على نفسها بغضب الله ، فتقول : أن غضب الله عليّ إن كان من الصادقين فيما رمانني به ، وبذلك درأت عن نفسها العذاب الذي هو الحد وقد خُصت المرأة بالغضب وذلك أن الغالب أن الرجل لا يتجشم فضيحة أهله ورميها بالزنا إلا وهو صادق معذور ، وهي تعلم صدقه فيما رماها به ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها ؛ والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحدد عنه .

وإعراب كلمة ﴿ الْخَمْسَةُ ﴾ في قوله : ﴿ وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعَنْتَ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ مبتدأ أي والشهادة الخامسة ، أما الخامسة في قوله : ﴿ وَالْخَمْسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا ﴾ معطوف على أربعة أي وتشهد الخامسة .

فضل الله ورحمته :

ذكر الله - عز وجل - رأفته بخلقه ولطفه بهم فيما شرع لهم من الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق فقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ أي لوقعتم في كثير من الحرج والمشقة من أموركم ولعاجلكم بالعقوبة وفضح الكاذب منكم ولكنه تواب حكيم .

﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يوفق من شاء من عباده إلى التوبة ويقبلها منه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يشرعه ويأمر به وفيما ينهى عنه ، والآية فيها حثٌّ على التوبة والإنابة إلى الله -عَزَّوَجَلَّ- .

وفيهما تنبيهٌ إلى سعة هذه الشريعة وسموها وأنها حل لجميع الإشكالات والمشكلات .
وقد حُذف جواب ﴿تَوَّابٌ﴾ لتعظيم الأمر حتى يذهب الذهن فيه كل مذهب وهذا أبلى في البيان .

ما يترتب على اللعان من أحكام :

- أولاً : سقوط حد القذف من الزوج وسقوط حدّ الزنا من الزوجة إن شهدت .
- ثانياً : ثبوت الفرقة بينهما وتحريمها عليه تحريماً مؤبداً .
- ثالثاً : نفى نسب الولد عن الزوج إن نفاه في اللعان بأن قال : « هذا الولد ليس مني » .

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية اللعان وبيان صفته إذا حدث ما يوجبه .
- ٢- بيان سمو الشريعة وشمولها في مشروعية اللعان .
- ٣- تغليظ شأن اللعان وأنه أيمان مقرونة بلعن أو بغضب .
- ٤- إذا تم اللعان بين الزوجين فإنهما لا يُعاقبان .
- ٥- بيان امتنان الله -عَزَّوَجَلَّ- على عباده بما شرع لهم من الفرج والمخرج من الضيق والشدة بفضلِهِ ورحمته .
- ٦- لا غنى للمرء عن ربه طرفة عين ولا أقل من ذلك .
- ٧- إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى ﴿التَّوَّابُ﴾ و ﴿الْحَكِيمُ﴾ .

من القيم المستفادة :

- تعظيم الشرع .
- بغض الفواحش .
- شكر الله -عَزَّوَجَلَّ- .

التقويم

السؤال الأول : أجب عما يأتي :

١- ما سبب نزول آية اللعان؟

.....

.....

٢- اكتب قول ابن كثير - رحمته - في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ :

.....

.....

٣- ما إعراب ﴿الْخَمْسَةَ﴾ في الموضعين؟

.....

.....

السؤال الثاني : أكمل ما يأتي :

١- الأحكام المترتبة على اللعان هي :

أولاً :

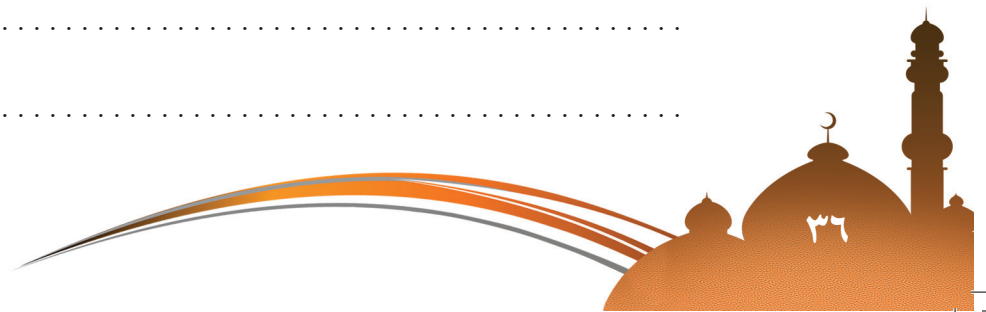
ثانياً :

ثالثاً :

٢- المراد بـ ﴿النَّوَابُ﴾ :

.....

.....



السؤال الثالث : علّل ما يأتي :

١ - تسمية الأيمان بالشهادة :

.....

.....

٢ - تخصيص المرأة بالغضب في قوله : ﴿ وَالْخَمْسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنْ
الصَّادِقِينَ ﴾ ٩ :

.....

.....

٣ - حذف جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ :

.....

.....



حادثة الإفك

سورة النور الآيات (١١ - ٢٠)

تمهيد :

مَنْ مَّنَّا لَا يَعْرِفُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بِإِيمَانِهَا وَفَضْلِهَا وَطَهَرِهَا وَعِفَافِهَا وَعِلْمِهَا وَفَقْهِهَا وَصَدَقِهَا وَيَقِينِهَا وَزَهْدِهَا وَوَرَعِهَا ؟

نشأت الصديقة في بيت الصديق ؛ أحبُّ الرجال إلى رسول الله - ﷺ - وأول من آمن به وكان صاحبه في السفر والحضر والأمن والخوف ، ولم يضمن بنفس أو مال أو ولد في نصره الله - ﷻ - ورسوله - ﷺ - .

ثم احتضنها بيت النبوة فعاشت في كنف رسول الله - ﷺ - ، تتلقى العلم وترقى في مراتب الإيمان ، وكانت أحب الناس إليه .

سأل عمرو بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رسول الله - ﷺ - : أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : « عَائِشَةُ » قال : فَمَنْ مِنَ الرِّجَالِ ؟ قال : « أَبُوهَا » (١) .

قال الشاعر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

أكرم بعائشة الرضا من حرة	بكرم مطهرة الإزار حصان
هي زوج خير الأنبياء وبكره	وعروسه من جملة النسوان
هي عرسه ، هي أنسه هي إلفه	هي حُبّه صدقاً بلا إدهان

ومما أجمع عليه المسلمون براءة عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مما رُميت به ، وأنها أُمُّ للمؤمنين ؛ قال ابن القيم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مبيناً براءة أم المؤمنين عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مما رماها به أهل الإفك : « ومن خصائصها أن الله - ﷻ - برأها مما رماها به أهل الإفك ، وأنزل في عذرها وبرائها وَحْيًا يُتْلَى في محارِبِ المسلمين

(١) رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة (٣٦٦٢) صحيح .

وصلواتهم إلى يوم القيامة ، وشهد لها بأنها من الطيبات ووعدھا بالمغفرة والرزق الكريم وأخبر سبحانه أنَّ ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها ، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها ولا عائباً لها ولا خافضاً من شأنها ، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها وصار لها ذكراً بالطيب كالبراءة بين أهل الأرض والسماء ؛ فيا لها من منقبة ما أجلها .

وناسب أن نذكر إجماع الأمة على كفر من قذف أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - .

قال القاضي أبو يعلى - رحمته الله - : « من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف ، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم » .

وقال ابن قدامة - رحمته الله - : « فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم » .

وقال النووي - رحمته الله - : « براءة عائشة من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز فلو شكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين » .

وقال ابن القيم - رحمته الله - : « واتفقت الأمة على كفر قاذفها » .

فُقبِحاً لمن طعن في عرض السيدة عائشة ولم يرفع رأسه بما صرح به الله - وَعَلَيْكُمْ - في القرآن من براءتها ولم يستح من رسول الله - وَعَلَيْكُمْ - في التكلم بعرض زوجته .

قال تعالى

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
بِالْإِفْكِ	أسوأ الكذب وأقبحه وهو مأخوذ من أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه
عُصْبَةٌ	أصلها في اللغة الجماعة الذين يتعصبون بعضهم لبعض
لَا تَحْسَبُوهُ	لا تظنوه
شَرًّا	الشر ما زاد ضرره على نفعه ، والخير ما زاد نفعه على ضرره
تَوَلَّوْا	تحمل
كِبْرَهُ	أكبر الإفك ومعظمه ، والذي تولاه هو عبد الله بن أبي بن سلول
إِفْكَ مُبِينٌ	كذب بين ظاهر
لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ	لولا : أداة تفضيض وحث بمعنى هلا
لَمَسَّكُمْ	لأصابكم
فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ	فيما خضتم فيه ، يقال أفاض في الحديث إذا خاض فيه
إِذْ تَلَقَّوْنَهُ	من التلقي وأصلها تتلقونه فحذفت إحدى التائين

هَيِّنَا	شيئاً يسيراً لا يلحقكم فيه إثم
سُبْحَانَكَ	تنزيه لله - ﷻ - من النقائص والعيوب ، وتنزيهاً لك من أن تتكلم بهذا الإلفك العظيم
بِهْتَنُّ عَظِيمٌ	أي هذا كذب فظيع ، والبهتان هو أن يُقال في الإنسان ما ليس فيه
يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ	ينصحكم الله ويذكركم ، والموعظة : ذكر الأحكام مقرونة بالترغيب والترهيب وما يلين القلوب
أَنْ تَشِيعَ	تفشو وتنتشر
أَلْفَحِشَةً	هي الزنا ، أو القول السيء ، وفي الأصل هو القول أو الفعل المتناهي في القبح
رَعُوفٌ	اسم من أسماء الله الحسنى ، وهو دال على أنه سبحانه ذو رافةٍ بعباده وخلقه ، والرافة أشد الرحمة

سبب نزول هذه الآيات :

نزلت هذه الآيات الكريمة في شأن حادثة الإلفك التي أشاعها رأس الكفر والنفاق عبد الله بن أبي بن سلول للنيل من أم المؤمنين عائشة - ﷺ - ، فقد ثبت في كتب الحديث والسيرة أن هذه الآيات نزلت في تبرئة أم المؤمنين عائشة - ﷺ - مما رماها به أهل النفاق والكذب .

قال الشوكاني - رحمه الله - : « وأجمع المسلمون على أن المراد بما في الآية ما وقع من الإلفك على عائشة أم المؤمنين » والقصة طويلة ومؤثرة وذات دروس مفيدة ينبغي الرجوع إليها وقراءتها بتمعن^(١) .

وموجز القصة :

أن عائشة - ﷺ - قد خرجت مع رسول الله - ﷺ - في غزوة المريسيع سنة ست من الهجرة ، فلما قفل رسول الله - ﷺ - راجعاً إلى المدينة نزلوا في أحد المنازل القريبة من المدينة فذهبت أم المؤمنين عائشة - ﷺ - تقضي حاجتها فانقطع عقدها ، فلما عادت إلى رحلها علمت بانقطاعه وضياعه فرجعت تلتسمه وتأخرت في طلبه ، فلما أذن رسول الله - ﷺ - حملوا هودجها على بعيرها وهم يظنون أنها فيه وسار الركب ، فلما عادت عائشة - ﷺ - إلى منازل الركب لم تجد

(١) انظر صحيح البخاري ، كتاب التفسير باب : ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ...﴾ (٤٧٥٠) .

أحداً فبقيت في مكانها تنتظرهم فغلبها النوم فنامت - ﷺ - ، ثم أتى أحد الصحابة وهو صفوان بن المعطل - رضى الله عنه - وكان قد تأخر عن الجيش ، فلما رأى سوادها اقترب منها فعرفها ، فاستيقظت بقدومه فأناخ بعيره ، وحملها - ﷺ - ، فلما وصل بها إلى القوم علم المنافق عبد الله بن أبي بن سلول بالحادثة فاستغلها ليتشفى من رسول الله - ﷺ - ، فأشاع الإفك والبهتان ونشر الخبر بينهم ليشيعوه هم وينشروه في المسلمين ، فانتشر الإفك والبهتان وتأثر رسول الله - ﷺ - وأبو بكر - رضى الله عنه - والصديقة - ﷺ - والمسلمون جميعاً .

وبعد شهر من هذه الحادثة أنزل الله - ﷻ - هذه الآيات الكريمات تبرئة لعائشة - ﷺ - .

الشرح الإجمالي للآيات :

حادثة الإفك وابتلاء الصالحين :

بعد أن ذكر سبحانه حكم القذف عموماً وحكم من قذف زوجته ، ذكر في هذه الآيات العشر براءة عائشة أم المؤمنين - ﷺ - مما رماها به أهل الإفك والبهتان من المنافقين ، صيانة لعرض رسول الله - ﷺ - . قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ** ﴾ أي إن الذين جاءوا بالكذب والبهتان جماعة منكم أيها المؤمنون ، تعاونوا وأجمعوا أمرهم على إعلانه وإذاعته بين الناس لمقاصد لهم أخفوها والله - ﷻ - عليم بما يفعلون ، وهذا يدل على أنه قد يأتي البلاء على المسلمين من بعض المنتسبين إليه ، وفي التعبير بقوله تعالى : ﴿ **عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ** ﴾ بيان أن هؤلاء شرذمة قليلون ، وأنهم هم الذين ينشرونه لأنهم عدد كثير من الناس .

والمراد بقوله تعالى : ﴿ **عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ** ﴾ أي الجماعة الذين تكلموا في شأن عائشة - ﷺ - وفي صفوان بن المعطل - رضى الله عنه - وهم ثلاث رجال وامرأة ؛ عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ، وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمنة بنت جحش .

ثم قال الله تعالى : ﴿ **لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم** ﴾ مما نالكم من همٍّ وغمٍّ وكربٍ من جرّائه ﴿ **بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ لما كان له من العاقبة الحسنة ، وما نالكم من الأجر العظيم من أجل عظم المصاب وشدة الفتنة .

والخطاب في قوله تعالى : ﴿ **لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ للنبي - ﷺ - ولزوجته

عائشة وأبيها أبي بكر وأهل بيته ، وصفوان بن المعطل وكل من ساءه هذا الأمر من المسلمين .
وفي الآية تنبيه إلى أنّ ما حصل من هذا الإفك وإن كان ظاهراً شراً إلا أنه عاقبته ومآله خير .
عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -ﷺ- « من يرد الله به خيراً يصب منه » ^(١)
وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنّ رسول الله -ﷺ- قال : « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط » ^(٢) وهذه النصوص وغيرها فيها من المعاني العظيمة التي تطمئن القلب وتشرح الصدر وتسعد النفس بتوفيق من الله -ﷻ- .

قال الشاعر وقد صدق :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

ثم ذكر الله -ﷻ- عقاب من اجتروا كلُّ منهم بقدر ما خاض فيه ، فقال تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ﴾ أي لكل امرئٍ منهم جزاء ما اجتراح من الإثم بقدر ما خاض فيه ، فإن بعضهم تكلم وبعضهم ضحك كالمسرور الراضي بما سمع وبعضهم أقلّ وبعضهم أكثر ، وسيجزى الله به هؤلاء إن لم يتب الله عليهم ويعفو عنهم ، و ﴿ أَكْتَسَبَ ﴾ أبلغ من (كسب) لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى في الغالب .

ثم قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أي والذي تحمّل معظم ذلك الإثم منهم وهو عبد الله بن أبي بن سلول له عذاب عظيم في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فبإظهار نفاقه على رؤوس الأشهاد ، وأما في الآخرة فبعذاب لا يقدر قدره إلا الله -ﷻ- . وبصنيعه هذا يدل على سوء نيته وخبث طويته وتقصده لأذية النبي -ﷺ- .

عتاب الله -ﷻ- لأهل الإيمان :

قال الله تعالى : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ هذا عتاب للمؤمنين في عدم ظنهم الخير بأنفسهم وردّ الأكاذيب وتوجيه وتأديب لهم

(١) رواه البخاري في كتاب الروضة - ٥٦٤٥ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد - ٢٣٩٦ .

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هنا للتوبيخ على التفريط في أمر قد مضى ، وفيه تحذير من المستقبل ؛ والمعنى هلاً إذ سمعتم هذا الإفك ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ أي ظن المؤمنون والمؤمنات كحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وغيرهم من المؤمنين ﴿بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ ظنوا بقلوبهم بأمر أم المؤمنين وصفوان - رضي الله عنها - وغيرهم من المؤمنين خيراً ، بأن غلبوا جانب حسن الظن والخير والعفاف في عائشة وصفوان - رضي الله عنها - ، وفي تعبيره بقوله تعالى : ﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾ إشارة إلى أن المؤمنين والمؤمنات كلهم بمثابة نفس واحدة .

والآية فيها تحذير من سوء الظن ، وفي الحديث قوله - ﷺ - : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » ^(١) ورؤي عن أم أيوب الأنصاري - رضي الله عنها - قالت له : « أسمع ما يقول الناس في أمر عائشة ؟ » فقال - رضي الله عنه - : « هذا إفك مبين ، أكنتِ فاعلته ؟ » قالت : « معاذ الله ، قال : عائشة والله خيرٌ منك » ، فنزلت هذه الآية الكريمة تصديقاً وتأيداً ^(٢) .

إلزام القذفة بالبينة :

ثم أخبر الله - ﷻ - أن من تمام ما يقوله المؤمنون ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ أي هلاً جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ﴾ أي الخائضون في الإفك ﴿عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَذِبُونَ﴾ أي في حكم الله - ﷻ - هم الكاذبون الكاملون في الكذب .

وفي هذه الآية الكريمة تعظيم حرمة عرض المسلم بحيث لا يجوز الإقدام على رميه من دون نصاب الشهادة بالصدق ، هذا إذا كان القاذف صادقاً ، فكيف إذا كان كاذباً ؟ ! ولهذا أمر النبي - ﷺ - بإقامة حد القذف على حسان ومسطح وحمنة ، أما عبد الله بن أبي بن سلول فيحتمل أنه لحبشه ومكره كان يشيع الخبر بتلميح ولا يُصرِّح .

فضل ورحمة :

ثم قال الله - ﷻ - مخاطباً أهل الإيمان ممن تكلم في الإفك ورزقه الله - ﷻ - التوبة كحسان

(١) رواه البخاري في النكاح (٥١٤٤) ومسلم في البر والصلة .

(٢) تفسير القرطبي (٢٠٢/١٢) .

ومسطح وحمئة ، أما من غرق في النفاق فهو لاء ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح حتى يتاب عليهم بل أعد الله لهم عذاباً عظيماً في الآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٤) أي ولولا فضله ﷻ عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من أجلها الإمهال للتوبة ، ورحمته في الآخرة بالعفو بعد التوبة لعجل لكم العقاب في الدنيا من جراء ما خضتم فيه من حديث الإفك والبهتان .

وكلمة ﴿ لَوْلَا ﴾ هنا حرف امتناع لوجود ، أي : امتناع العذاب لوجود رحمة الله وفضله . وقوله تعالى : ﴿ فِي الدُّنْيَا ﴾ الدنيا : هي الدار التي نحن فيها وسميت بذلك من الدنو أي القرب أي لقربها من الزوال ، وقيل : الدنيا مأخوذة من الدناء لأنها حقيرة دنيئة لا قيمة لها بالنسبة للآخرة كما قال تعالى : ﴿ فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (١) .

﴿ وَالْآخِرَةُ ﴾ هي الدار التي بعد هذه الدنيا وسميت بذلك لأنها آخر دار وهي دار القرار .

عظم ذلك الذنب :

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِمْ وَتَقُولُونَ بَافْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (١٥) .

وصفهم الله - ﷻ - بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها :

١- تلقي الإفك بالألسنة ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِمْ ﴾ ، فقد كان الرجل يلقي أخاه فيقول له : ما وراءك؟ فيحدثه حديث الإفك حتى شاع وانتشر حتى لم يبق بيت ولا نادٍ إلا شاع فيه ، فهم قد فعلوا جهد المستطاع في نشره . وأضيف التلقي إلى الألسن لسرعة التكلم به حال سماعه من أول وهلة .

٢- إن الإفك قول بلا روية ولا فكر ﴿ وَتَقُولُونَ بَافْوَاهِكُمْ ﴾ فهو قول باللسان لا يترجم عما في القلب ﴿ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ وليس له ما يشهد من علم أو قرائن وهذا عتاب

وتأديب ، فالمسلم ينبغي عليه أن يحذر من أن يحدث بكل ما سمع ، قال رسول الله ﷺ - : « كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع » (١)

٣- استصغار ذلك الإفك ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ وحسابه مما لا يؤبه له وهو عند الله عظيم الوزر مستحق لشديد العقوبة ، وكيف وهو يمس عرض رسول الله ﷺ - وعائشة والصدیق وآل البيت أجمعين - ﷺ .

وهذا يدل على عظم ذلك الذنب وأنه جرمٌ كبير ، وإذا كان الله - ﷻ - وصف الإفك بأنه عظيم عنده فلا يستطيع أحد أن يقدر كُنْه عظم القول وخطورته إلا العظیم سبحانه ؛ وفي الحديث : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدرى ما تبلغ ، وفي رواية : لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد مما بين السماء والأرض » (٢) .

عتاب للمؤمنين وموعظة لهم :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾ هذا عتاب لجميع المؤمنين ، أي : هلاً إذ سمعتم حديث الإفك قلتم تكذيباً للخائضين فيه المفتريين له ، ما ينبغي لنا ولا يمكننا أن نتكلم بهذا الحديث ولا يصدر ذلك منا بوجه من الوجوه . ومعنى قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾ التعجب من أولئك الذين جاءوا بالإفك ، وأصل التسبيح التنزيه لله سبحانه ثم كثر حتى استعمل في كل مُتَعَجَّبٍ منه . ﴿ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾ أي هذا كذب عظيم لكونه قيل في أم المؤمنين - ﷺ - وصدوره مستحيل شرعاً من مثلها .

وعظ سبحانه الذين خاضوا في الإفك فقال تعالى : ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا ﴾ أي نصحكم الله - ﷻ - ويذكركم ويحرم عليكم وينهاكم كراهة أن تعودوا أو أن تقولوا كمثل هذا القذف مُدَّة حياتكم ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فإن الإيمان يقتضي عدم الوقوع في مثله ما دمتم ، وفيه تهيج عظيم وتقريع بالغ . ﴿ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ﴾ في الأمر والنهي لتعملوا بذلك وتتأدبوا بأداب الله وتنزجروا عن الوقوع في محارمه ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بما تبدونه وتخفونه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في تدبيراته لخلقه .

(١) رواه مسلم في المقدمة .

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٧) ومسلم في الزهد (٢٨٨٨) .

تهديد ووعد :

ما زال السياق في عتاب المؤمنين الذي خاضوا في الإفك فقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي يحبون أن تُنشر الفاحشة وتنتشر في المحصنين والمحصنات من المؤمنين والمؤمنات ، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي عذاب موجه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بإقامة الحد عليهم واللعن والذم من الناس ، ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أي وفي الآخرة بعذاب النار وبئس المصير . وفي الصحيح قوله -ﷺ- : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ^(١) ثم قال الله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فردّوا الأمور إلى ربكم ترشدوا ، ولا ترووا ما لا علم لكم به ولا سيّما حلائل رسول الله -ﷺ- فتهلكوا .

ثم كرر الله -ﷻ- فضله ورحمته على عباده للمنة عليهم بترك المعاجلة بالعقاب . فقال تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٢٠) ومن رأفته بعباده أن لا يعاجلهم بذنوبهم ، ومن رحمته لهم يتقدم إليهم بمثل هذا الإعذار والإنذار . وجملة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٢٠) معطوف على فضل الله ، وجواب ﴿وَلَوْلَا﴾ محذوف لدلالة ما قبله عليه أي لعاجلكم بالعقوبة .

من هداية الآيات :

- ١- بشاعة الإفك وعظم جرمه .
- ٢- حرمة القول والخوض في ذلك دون علم .
- ٣- العقوبة على قدر الجرم .
- ٤- إثبات براءة أم المؤمنين -ﷺ- مما قاله فيها أهل الإفك .
- ٥- فضل أم المؤمنين عائشة -ﷺ- وعناية الله -ﷻ- بها .
- ٦- فضيحة أهل الإفك وبيان أن ما جاءوا به كذب وإفك مبين وبهتان عظيم .
- ٧- ابتلاء الله -ﷻ- للمؤمنين فيه رفع لدرجاتهم وتكفير لسيئاتهم .

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان (١٠) ومسلم في كتاب الإيمان (٤١) .

- ٨- وجوب حسن الظن بالمؤمنين وأن الأصل فيهم العدالة والبراءة والخير والعفاف .
- ٩- مطالبة القاذف بأربعة شهداء يشهدون بصحة ما قال وإلا فهم كاذبون في حكم الله -وَعَجَلٌ- .
- ١٠- التثبت في الأخبار وفي نقل الكلام ، والإمساك عن الخوض في الكلام الباطل .
- ١١- الذب عن عرض المسلم برّد ما يقال فيه من الكذب .
- ١٢- إثبات أسماء الله الحسنى : العليم الحكيم الرؤوف الرحيم .
- ١٣- الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لمن أشاع الفاحشة في أهل الإيمان ، بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة .
- ١٤- الإشارة إلى أنّ المنافقين في المجتمع الإسلامي يسعون لنشر المنكرات والباطل بين المؤمنين ويتحينون الفرص لإشاعة الفاحشة فيهم .
- ١٥- قد يغرر بفئة من المؤمنين فيشاركون في نقل الإشاعة ويتولون نشرها ولكن للطف الله -وَعَجَلٌ- وعلمه بسرائر القلوب لم يعاجلهم بالعقوبة .

من القيم المستفادة :

- تقبيح الكلام السيئ .
- بغض النفاق .
- حب عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- .

التقويم

السؤال الأول : في ضوء دراستك للآيات أجب عن الأسئلة الآتية :

١- إلام يشير التعبير بقوله تعالى : ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ ؟

.....

.....

٢- لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ؟

.....

.....

٣- لم وصف الحق تبارك وتعالى حادثة الإفك « بالخير » ؟

.....

.....

السؤال الثاني : بين معاني الكلمات الآتية :

١- ﴿إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾

.....

٢- ﴿تَوَلَّى﴾

.....

٣- ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾

.....

٤- ﴿كِبَرَهُ﴾

.....

٥- ﴿تَشْيِيعَ﴾

.....

السؤال الثالث : استخرج من آيات الدرس ما يدل على المعاني الآتية :

المعنى	النص القرآني
١	العقوبة على قدر الجرم
٢	عتاب الله - عَجَبَكَ - للمؤمنين
٣	التحذير من سوء الظن
٤	حسن الظن بالمؤمنين



اتباع الشيطان أصل الشر

سورة النور الآيات (٢١ - ٢٦)

تمهيد :

في أكثر من ثمانين موضعاً في كتاب الله -عز وجل- يصدر الله -عز وجل- الآيات بالنداء العظيم الذي يتضمن العلم والعمل ، ويتضمن العقيدة والشرعية ويدل على عناية الله -عز وجل- بأهل الإيمان وتكريمهم وتشريفهم بقوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ وكفى بذلك شرفاً .

يا مؤمنون الربُّ يناديكم ، يوجهكم يأمركم وينهاكم ، وما أجمل ما قاله الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- : « إذا سمعتم الله يقول : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ فأرעהها سمعك فإما خير تؤمر به ، أو شر تنهى عنه » .

وهذه الآيات التي معنا ينهانا الله -عز وجل- عن إتباع خطوات الشيطان الذي هو مادة الشر وأصله ، ومن خطواته وطرائقه إشاعة الإفك بين المؤمنين ، ليقعهم فيما يغضب الله -عز وجل- ويسيء إلى المؤمنين .

فالواجب على المرء الاستعاذة بالله من شر الشيطان والنهي عن سبله وخطواته ، وأن يتخذه عدواً كما أمر الله -عز وجل- .

قال تعالى

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ

وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾
يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ
وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا
يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
لَا تَنْبِعُوا	لا تأخذوا بها ولا تقتفوها
خُطُوتٍ	جمع خطوة وهي ما بين القدمين في المشي : والمراد لا تمشوا في سبله وطرقه من الأفعال الخبيثة
الشَّيْطَانِ	كل متمرّد عاتٍ خارج عن طاعة الله - عَزَّوَجَلَّ - مأخوذ من شطن بمعنى : بعد عن رحمة الله وعن كل خير
بِالْفَحْشَاءِ	كل ما فحش وقبح في الشرع والعرف
وَالْمُنْكَرِ	ما تنكره النفوس فتتفر عنه ، والمنكر : اسم جامع لكل شر
مَا زَكَّى	ما طهر من دنس الشرك والذنوب والمعاصي
سَمِيعٌ	اسم من أسماء الله الحسنى الذي يدل على صفة السمع ، قاله - عَزَّوَجَلَّ - سميع لجميع الأصوات خفيها وجليها وعلايتها
عَلِيمٌ	اسم من أسماء الله الحسنى الذي يدل على صفة الرؤية أحاط بكل شيء
وَلَا يَأْتِلُ	ولا يحلف ، من الألية وهي اليمين

أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ	أصحاب الصلاح والمال
وَلْيَعْفُوا	العفو ترك العقوبة على الذنب والتجاوز عنها
وَلْيَصْفَحُوا	الصفح ترك التريب واللوم
الْعَفْلَاتِ	عن الفاحشة البعيدات عنها فلا تخطر لهن على بال
يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمْ	يعطيهم الله جزاء أعمالهم وافياً تاماً والدين هنا بمعنى الجزاء
الْحَقِّ	الثابت فالله سبحانه حق وصفاته حق وربوبيته حق وألوهيته حق
الْمُيْنِ	اليقين في ذاته وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته الموضح للأحكام والشرائع والآيات

سبب نزول قوله -عجل- :

﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ...﴾

قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقربته وفقره : والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال في عائشة -رضي الله عنها- ، فأنزل الله : ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إلى قوله : ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فقال أبو بكر : «إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال لا أنزعها منه أبداً» (١) .

الشرح الإجمالي للآيات :

التحذير من اتباع خطوات الشيطان :

قال الله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ دعا الله ﷻ أهل الإيمان المصدقين بكتابه ورسوله -ﷺ- أن يجتنبوا خطوات الشيطان ، وهي سبله وطرائقه ومن أسوأ طرقه محبة إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا .

واعلم - رحمك الله تعالى - أن نداء الله تعالى بهذا النداء العظيم ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فيه فوائد ، منها :

(١) رواه البخاري في المغازي والتفسير (٤١٤١) (٤٧٥٠) .

- أن الاتصاف بالإيمان أعظم وصف وأشرفه عند الله تعالى .

- تشريف وتكريم للمؤمنين وحث على الاتصاف بهذا الوصف .

- أن الإيمان يتضمن العلم والعمل والعقيدة والشرعية .

- أن الإيمان يدعوا للأعمال الصالحة ويحرك القلوب .

وفي قوله تعالى : ﴿ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ تنبيه إلى أنه يخطو بالمرء خطوة خطوة إلى ما يبغض الله -عز وجل- من الفاحشة والمنكر ، وهذا من خبثه وكيدته ، ولهذا أمرنا بالاستعاذة من شره .

ثم ذكر الله -عز وجل- سبب النهي عن اتباع خطوات الشيطان فقال : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ أي ومن يتبع الشيطان يرتكب الفاحشة والمنكر لأنه لا يأمر إلا بهما ، ومن هذا شأنه لا ينبغي اتباعه ولا طاعته ؛ فالشيطان هو أصل الشرور ومادتها والناشر لها والمزيج لها .

قال ابن كثير -رحمه الله- حول هذه الآية الكريمة : « هذا تنفير وتحذير من ذلك بأفصح عبارة وأوجزها وأبلغها وأحسنها » وقد صدق -رحمه الله- .

ثم أكد سبحانه منته على عباده فقال : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ .

أي ولولا فضل الله -عز وجل- عليكم ورحمته بكم بتوفيقكم للتوبة التي تمحو الذنوب وتغسل أدرانها ما طهر أحد منكم من ذنبه وكانت عاقبته النكال والوبال لعاجلكم بالعقوبة . ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي ولكن الله تعالى يطهر من يشاء من عباده بقبول توبتهم من تلك الذنوب التي اجترحوها تفضلاً منه ورحمة ، ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لما تقولون بأفواهكم ويسمع أنين المذنبين وتوبة التائبين ، ويستجيب لدعاء من دعاه سبحانه ، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ قد أحاط بكل شيء علماً ، ومن ذلك أنه يعلم من يستحق التزكية والتطهير ومن لا يستحق ذلك ، وفي ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين إشارة إلى مراقبة الله -عز وجل- .

العفو والصفح من شيم الكرام :

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي ولا يحلف من كان ذا فضل وسعة منكم أيها المؤمنون بالله ، ألا يعطوا ذوي قرابتهم المساكين المهاجرين كمسطح ابن خالة أبي بكر الذي كان فقيراً وهاجر من مكة إلى المدينة وشهد مع رسول الله بداراً . وما كان هذا الأمر إلا بعد أن أنزل الله - ﷻ - براءة عائشة - رضى الله عنها - وطابت النفوس وتاب الله على من تكلم من المؤمنين ، وأقيم الحد على من أقيم عليه - تفضل الله - ﷻ - فعطف الصديق - رضى الله عنه - على قريبه مسطح وقد أذنب ذنباً تاب الله عليه منه وضرب الحد عليه .

وفي هذه الآية إشارة إلى أن من وقعت منه هفوة أو زلة اتبع فيها ما يسخط الله - ﷻ - ، فطريق النجاة أن يلجأ إلى الله - ﷻ - ويبادر بالتوبة .

ثم اعلم - رحمك الله تعالى - أن الصدقة على القريب صدقة وصلة لقوله - ﷻ - : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة » ^(١) ، والمسكين هو الذي لا يجد إلا بعض كفايته أو لا يجد شيئاً وسُمي بذلك لأن الفقر أسكنه . والمراد بالمسكين هنا الفقير ؛ أما المهاجرون فمنهم من هاجر من مكة إلى المدينة ، وحقيقة الهجرة الانتقال من بلد الشرك والخوف إلى بلد الإيمان والأمن ، وذكر المهاجرين هنا للتنبية على شرف الهجرة .

أمر الله - ﷻ - بالعفو والصفح فقال تعالى : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ أي وليتركوا عقوبتهم على ذلك بحرمانهم مما كانوا يؤتونهم قبل ذلك ، وليعودوا لهم إلى مثل الذي كان لهم عليهم من الإنفاق والإفضال ، ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ أي يعرضوا عما قالوه فلا يذكروه لهم ولا يذكرونهم به فإنه يحزنهم ويسوءهم ولا سيما وقد تابوا وأقيم الحد عليهم .

وقد رغبتهم الله - ﷻ - في العفو بقوله : ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم ويتجاوز عنها بإفضاله عليكم ، إذ الجزء من جنس العمل ، و ﴿أَلَا﴾ أداة عرض لاستمالة قلوب المخاطبين .

(١) رواه النسائي في الأذكار (٢٥٨٢) وابن ماجه (١٨٤٤) .

وكان جواب الصديق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « بلى والله أرغب أن تغفر لنا ربنا » ثم رجّع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة وقال : «والله لا أنزعها منه أبداً» ، وفي الآية ترغيب في الخير وحثٌ على المبادرة إليه والمسارة والمنافسة فيه .

الوعيد لمن قذف بريئاً :

بعد أن ذكر الله - عَزَّ وَجَلَّ - حادثة الإفك وبين عقاب من اتهم الصديقة به أعقب بذكر حكم عام وهو أن كل من اتهم محصنة مؤمنة غافلة فهو مطرود من رحمة الله بعيدٌ عن دار نعيمه ، إلا من تاب وأحسن التوبة وعمل صالحاً .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ ﴾ أي يقذفونهن بالفاحشة ﴿ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ العفيفات المطهرات ، ﴿ أَلْغَفِلَتِ ﴾ عن الفاحشة البعيدات عنها وذلك لحسن سرائرهن و طهارة قلوبهن و سلامة صدورهن ، ﴿ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الصادقات المتقادات لله تعالى ﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ أبعدوا عن رحمة الله ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ في الدنيا والآخرة في الدنيا بحد القذف وألم المعصية ، وفي الآخرة بالنار ولعذابها أشدُّ وأشقى .

ثم قال الله - عَزَّ وَجَلَّ - في إقامة الحجة عليهم من أنفسهم : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٤) أي يوم القيامة تشهد عليهم ألسنتهم بما تكلموا بها من الخوض في الباطل ، من رمي المحصنات بالزنا وإشاعة الفاحشة والغيبة والنميمة وغير ذلك ، وتشهد عليهم أيديهم بما بطشوا واعتدوا وتشهد عليهم أرجلهم بما مشوا بها إلى الباطل والحرام والظلم .

ثم قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ (٢٥) أي هذا اليوم يوفيهم الله جزاءهم على أعمالهم ويعلمون أن ما كانوا يوعدون به في حياتهم الدنيا من العذاب هو الحق الذي لا شك فيه ، ويزول عنهم كل ريب كان قد ألمَّ بهم في الدنيا .

وفي الآية إخبار عن عرصات يوم القيامة حيث يظهر الحق من الحق سبحانه الذي لا يُظلم أحد بين يديه وسيجازي كلُّ بعمله .

براءة أم المؤمنين السيدة عائشة - ﷺ - :

زاد الله - ﷻ - في التأكيد ببراءة السيدة عائشة - ﷺ - وأوضح ذلك وأجله ، وذلك أنَّ السُّنة الجارية بين الخلق مبنية على مشاكلة الأخلاق والصفات بين الزوجين ، فالطيبات للطيبين ، والخبيثات للخبيثين ، ورسول الله - ﷺ - من أطيب الطيبين ، فيجب كون الصَّديقة من أطيب الطيبات على مقتضى العقل والعادة .

قال الله تعالى : ﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ** ﴾ أي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ﴿ **وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ** ﴾ أي والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ، لأنَّ المجالسة من دواعي الألفة ودوام العشرة ، ﴿ **وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ** ﴾ أي والطيبات من النساء للطيبين من الرجال ﴿ **وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ** ﴾ أي والطيبون أيضاً للطيبات منهن ، لا يتجاوزنهن إلى من عداهن ، وإذا كان رسول الله - ﷺ - من أطيب الأطيبين وخيرة الأولين والآخرين ، استبان أنَّ الصَّديقة - ﷺ - من أطيب الطيبات واستبان بطلان ما أشاعه المرجفون من أهل الإفك والبهتان .

قال الله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ** ﴾ أي أولئك الطيبون والطيبات ومنهم صفوان وعائشة ﴿ **مَبْرُوءَاتٌ** ﴾ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ أي مبرءون مما قاله أهل الإفك . ﴿ **لَهُمْ مَغْفِرَةٌ** ﴾ أي لهم مغفرة عن ذنوبهم ﴿ **وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ عند ربهم في جنات النعيم .

ومن فائدة هذه الآية الكريمة أنَّ من سبَّ عائشة - ﷺ - أو رماها بعد هذا فإنه كافرٌ معاندٌ مكذبٌ للقرآن الكريم .

وما أجمل ما قاله حسان بن ثابت - رضى الله عنه - في مدح السيدة عائشة - ﷺ - :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيَّةٍ وَتَصْبِحُ غَرْتِي مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ
أي وتصبح جائعةً من لحوم النساء الغافلات عن الفاحشة لاتقع في أعراضهن .

من هداية الآيات :

١- حرمة اتباع الشيطان فيما يزيّنه من الباطل والسوء والفحشاء والمنكر .

٢- بيان أنَّ متابعة الشيطان تؤدي إلى صيرورة المرء شيطاناً يأمر بالشر .

٣- أن من وُقِّق إلى الخير والطاعة وطُهر من الذنوب - وهذا فضل من الله تعالى ورحمة - فلا يأخذه العجب والغرور .

٤- إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا من سبل الشيطان وطرقه .

٥- مشروعية الحنث^(١) في اليمين إذا كان في الحنث زيادة خير مع وجوب الكفارة .

٦- التئام النفوس القبيحة بعضها مع بعض ، والنفوس الطيبة بعضها مع بعض .

٧- البعد عن الفواحش علامة طهر ونقاء .

٨- تزكية النفوس تكون بالإيمان والعمل الصالح والبعد عن الذنوب والآثام .

٩- الترغيب في الصدقة والإحسان ولا سيَّما على الأقارب الفقراء .

١٠- الترغيب في العفو والصفح .

١١- الإشارة إلى فضل الصديق أبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

١٢- الوعيد الشديد والتهديد الأكيد للذين يرمون المؤمنات العفيفات الغافلات بالفاحشة .

١٣- بيان منزلة المرأة المسلمة في الإسلام وعلو مكانتها بأن صان كرامتها وحفظها من كل شر .

١٤- شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة تقتضي صلاح الأعمال وحسنها ومحاسبة النفس قبل يوم حسابها .

١٥- بيان براءة السيدة عائشة وصفوان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مما رميا به من الإفك .

من القيم المستفادة :

- الحذر من الشيطان .

- تعظيم الأعراض .

- مراقبة الله - عَزَّ وَجَلَّ - .

(١) الحنث : أن يترك ما حلف على فعله ، وأن يفعل ما حلف على تركه .

التقويم

السؤال الأول : أكمل ما يأتي :

في قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نداء عظيم ، من فوائده :

- ١-
- ٢-
- ٣-

السؤال الثاني : استخرج من آيات الدرس ما يدل على المعاني الآتية :

المعنى	النص القرآني
١ التحذير من اتباع الشياطين	
٢ التئام النفوس بعضها ببعض	
٣ الترغيب في العفو والصفح	
٤ شهادة أعضاء الإنسان عليه يوم القيامة	

السؤال الثالث : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة ، وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- متابعة الشيطان لا يحوّل المرء إلى شيطان يأمر بالشر . ()
- ٢- التوفيق إلى الخير والطاعة والتطهير من الذنوب فضل من الله - ﷻ . ()
- ٣- يجوز الحنث في اليمين إذا كان فيه زيادة خير مع وجوب الكفارة . ()
- ٤- رغب الإسلام في الصدقة والإحسان على الأقارب الفقراء . ()

٥- المراد بالدين في قوله تعالى : ﴿ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ الأموال التي أخذنا ديناً من الناس
في الدنيا .
()

السؤال الرابع : من خلال فهمك لآيات الدرس ، هل يصح الحنث باليمين ؟ وضح
ما تقول .

.....

.....

.....

.....



آداب الاستئذان وحرمة البيوت

سورة النور الآيات (٢٧ - ٢٩)

تمهيد :

من نعم الله - ﷻ - العظيمة أن جعل للإنسان بيتاً يسكن ويستقر فيه ، فتسكن روحه وتطمئن نفسه ويأمن فيها على نفسه وماله وعرضه ، ويأمن على عورته وحرمة ، ويستريح فيه من أعباء الحياة ؛ ويقيه من الأمطار والعواصف والرياح والبرد والحر قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ (١) .

ولا يكون البيت كذلك إلا حين يكون حرماً آمناً لا يستباح إلا بعلم أهله وإذنه ، ولقد كانوا في الجاهلية يهجمون هجوماً بلا استئذان ولا سلام ، وقد يطلعون على ما لا يحب أصحاب البيت الاطلاع عليه وهذا مما يؤذي ويحرج ، ولكن الله - ﷻ - أدب المؤمنين بالآداب العالية والأخلاق المثالية الفاضلة ومن ذلك أدب الاستئذان والزيارة والسلام .

قال تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا	حتى تستأذنوا وسمي بذلك لأن الداخل يأذن له . وأصل الاستئناس : طلب الأئس بالشيء
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	لأجل أن تتذكروا وتتعضوا
هُوَ أَزْكَى لَكُمْ	هو أطهر لكم وأكرم لنفوسكم
جُنَاحٌ	حرج وإثم
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ	ليس فيها ساكن
فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ	ما ينتفع به من مطعم أو مشرب أو ملبس أو غير ذلك والمتاع يطلق على المنفعة
مَا تُبْدُونَ	ما تظهرون
وَمَا تَكْتُمُونَ	وما تبطنون وتسرون

سبب النزول :

عن عدي بن ثابت قال : جاءت امرأة من الأنصار فقالت : يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد ، فيأتي الأب فيدخل عليّ ، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟ فنزلت هذه الآية : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ . قال المفسرون : فلما نزلت هذه الآية قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ .

الشرح الإجمالي للآيات :

أدب رفيع

بعد أن ذكر الله ﷻ حد الزنا والقذف وذكر حادثة الإفك أتبع ذلك بالأمر بالاستئذان ، حفاظاً على الأعراض وصيانة لها ، وذلك أن الاستئذان من أسباب الوقاية من الاطلاع على

ما لا يجوز ، والنظر إلى العورات وما قد يؤدي إليه ذلك من الوقوع في الفاحشة أو القذف وذكر عورات الآخرين ؛ وقد قال النبي - ﷺ - « **إِنَّمَا جُعِلَ الاستئذان من أجل البصر** » ^(١) . ففي هذه الآيات يؤدّب الله - ﷻ - عباده المؤمنين بالآداب الجليّة ويدعوهم إلى التخلق بكل أدب رفيع ، فيأمرهم بالاستئذان وبالسّلام قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا** ﴾ يا أهل الإيمان إذا أراد أحدكم أن يدخل بيتاً غير بيته فليستأذن أهل البيت قبل دخوله إذناً يحفظ به كرامتهم ويأمنون به على عوراتهم ؛ فلا تجوز مباغتتهم من غير استئذان كما يفعل العدو ، ولا تُمتهن حرمة البيوت وتكشف العورات وتُنزع الغيرة من النفوس ، وتصدير الخطاب بلفظ الإيمان مُشعرٌ بعلوّ مكانة المؤمن عند الله - ﷻ - ، والتذكير في قوله - ﷻ - : ﴿ **بُيُوتًا** ﴾ يفيد العموم ، وفي لفظ الاستئناس معنى دقيق إذ ليس المراد مجرد الإذن بل بتمام حصول أنس أهل البيت بالزائر .

ثم أمر الله - ﷻ - بالسّلام على أهلها ﴿ **وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا** ﴾ أي بقولكم : السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وقد جاءت السّنة عن النبي - ﷺ - بتقديم السّلام على الاستئذان فعن كلدة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قال : « دخلت على النبي - ﷺ - ولم أُسَلِّمْ ولم استأذن فقال النبي - ﷺ - : « ارجع فقل السّلام عليكم أَدْخَلْ ؟ » ، وقد جاءت السنة أيضاً بأن الاستئذان ثلاثاً لحديث : « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليصرف » ^(٢) .

﴿ **ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ أي الاستئذان والسّلام خير لكم أيّها المؤمنون من الهجوم على البيوت دون استئذان أو سلام ، فالاستئذان والسّلام خير للمستأذن ولأهل البيت لما يترتب عليه من مصالح دينية ودنيوية ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ لأجل أن تتذكروا وتتعضّوا وتعملوا بموجب تلك الآداب الرفيعة ﴿ **تَذَكَّرُونَ** ﴾ فعل مضارع حُذف منه إحدى التاءين .

ماذا يفعل إذا لم يجد فيها أحداً ولم يؤذن له ؟

قال الله تعالى : ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ** ﴾ أي فإن لم تجدوا في البيوت التي لغيركم أحداً ممن يُستأذن عليه فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم بدخولها

(١) رواه البخاري (١٢٤١) ومسلم (٢١٥٦) .

(٢) رواه البخاري في الاستئذان (٢٠٦٢) ومسلم (٢١٥٤) .

من جهة من يملك الإذن ﴿وَأِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ أي إن قال لكم أهل البيت ارجعوا فارجعوا ، ولا تعاودوهم بالاستئذان مرة أخرى ، ولا تنتظروا بعد ذلك أن يأذنوا لكم بعد أمرهم لكم بالرجوع .

ثم بين الله -عز وجل- أن الرجوع أفضل من الإلحاح وتكرار الاستئذان والقعود على الباب فقال تعالى : ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ أي أفضل وأطهر من التدنس بالمشاحة على الدخول لما في ذلك من سلامة الصدر والبعد عن الريبة والفرار من الدناءة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا تخفى عليه من أعمالكم خافية .

البيوت التي ليست بمسكونة :

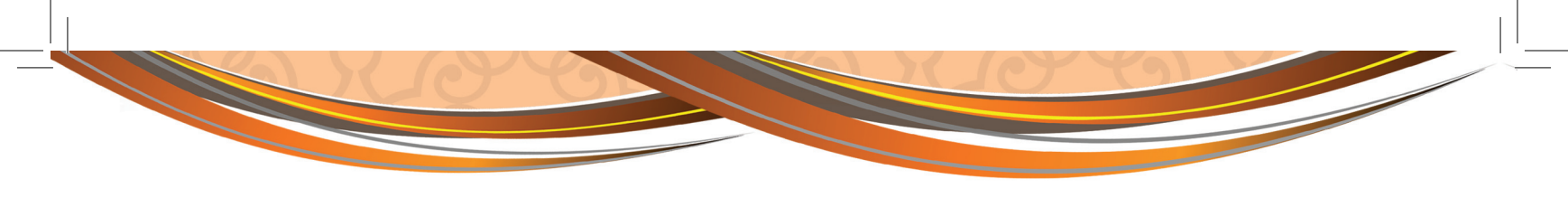
ولما بين الله -عز وجل- حكم البيوت المسكونة بين حكم البيوت غير المسكونة فقال تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ﴾ أي ليس عليكم أيها المؤمنون إثم ولا حرج أن تدخلوا بيوتاً غير معدة لسكن قوم معينين ، بل معدة ليتمتع بها من يحتاج إليها كائناً من كان كالفنادق والخوانيت والحمامات ونحوها مما فيه حق التمتع لك كالمبيت فيها وإيواء الأمتعة والبيع والشراء والاعتسال ونحو ذلك ، لأن السبب الذي من أجله مُنِع دخول البيت هو الاطلاع على عورات الناس والوقوف على أسرارهم وهذا غير موجود فيها .

ثم ختم الله -عز وجل- هذه الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ فالله -عز وجل- يعلم أحوالكم الظاهرة والباطنة ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ أي ما تظهرون بألستكم من الاستئذان إذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة ، ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ أي وما تضمرون من حب الاطلاع على عورات الناس أو من قصد ريبة أو فساد ، وفي الآية الكريمة وعيد لا يخفى على من تأمل وتدبر .

من هداية الآيات :

١- مشروعية الاستئذان ووجوبه على كل من أراد أن يدخل بيتاً مسكوناً غير بيته .

٢- جعل الله -عز وجل- كل طاعة خيراً وبركة وإن كانت كلمة طيبة .

- 
- ٣- وجوب الرجوع إذا لم يؤذن للدخول للمستأذن بالدخول .
٤- مشروعية السلام وأنه من شعائر الإسلام .
٥- لا حرج من الدخول في البيوت إذا لم تكن مسكونة .
٦- حماية الشريعة للبيوت وصيانتها وحفظها للأسرار والأحوال الخاصة .

من القيم المستفادة :

- التأدب بآداب الشرع .
- احترام خصوصيات الآخرين .
- الاعتزاز بالشريعة .



التقويم

السؤال الأول : أجب عما يأتي :

١ - ما مناسبة الآيات الكريمة بما قبلها ؟

.....

.....

.....

٢ - وضح المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ :

.....

.....

.....

السؤال الثاني : فسر الآيات التالية :

١ - قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٧) :

.....

.....

٢ - قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْذُرُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (٢٩) :

.....

.....



السؤال الثالث : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة ، وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- أصل الاستئذان طلب الأئس بالشيء . ()
- ٢- المتاع هو كل ما ينتفع به من مطعم أو مشرب أو ملبس أو غير ذلك . ()
- ٣- الاستئذان مستحب على من أراد أن يدخل بيتاً مسكوناً غير بيته . ()
- ٤- جاء في السنة أن الاستئذان خمس مرات . ()
- ٥- في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ وعد ووعد . ()

السؤال الرابع : اكتب بعضاً من حكم الاستئذان :

.....

.....

.....



سدُّ الشريعة لذرائع الشر

سورة النور الآيتان (٣٠ - ٣١)

تمهيد :

إن من المقاصد العظيمة للشريعة الإسلامية السمحة إقامة مجتمع سليم لا تُهاج فيه الشهوات في كل لحظة ولا تستثار فيه الغريزة . ومن ذلك ما أمر الله - ﷻ - به المؤمنين والمؤمنات من غض الأبصار وحفظ الفروج وتزكية للنفوس ، وتطهيراً للمجتمع من أدران الفاحشة ومجنباً للنفوس المؤمنة من أسباب الإغراء والغواية ، فأغلق - بحمد الله - كل نوافذ الفتنة وأبواب الفاحشة وحال دون وصول ذلك السهم المسموم ، فالنظرة بريد الشهوة ورائد الفجور .

قال تعالى

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيْنَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
يَغْضُوا	أصل الغض : إطباق الجفنين بحيث يمنع الرؤية ، والمراد كفّ البصر عن الحرام
أَزْكَى لَهُمْ	أطهر لهم
خَيْرٌ	الخير هو العالم ببواطن الأمور ودقائقها
زِينَتَهُنَّ	جمع زينة وهي ما يتزين به من الحلية وغيرها
يُخْمِرُهُنَّ	جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها وتستتر به نفسها
جُيُوبَهُنَّ	جمع جيب والجيب من القميص طوقه وهو فتحة في أعلى القميص . والمراد الفق والصدر
لِبُعُولَتِهِنَّ	البعولة الأزواج جمع بعل وهو الزوج ويطلق أحياناً على السيد
مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ	أي الجواري والإماء
الْأَرْبَةِ	الحاجة أي غير أصحاب الحاجة إلى النساء
الطِّفْلِ	الصبي الصغير الذي لم يبلغ الحلم
عَوْرَاتٍ	جمع عورة وهي كل ما يستحي من إظهاره ويسوء الإنسان اطلاع غيره عليه

الشرح الإجمالي للآيات :

طهارة القلوب والأعمال :

أمر الله ﷻ المؤمنين بما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ، وحفظهم من الوقوع في الفواحش والمحرمات ، بما فيه طهارتهم وسلامة قلوبهم . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ قل يا أيها النبي للمؤمنين المنقادين لشرع الله الخاضعين لأوامر الله تعالى أن يكفوا أبصارهم عما لا يجوز النظر إليه من المحرمات كالنساء الأجنبية والمردان من الذكور ، ومن تلك المحرمات أيضاً ما تبثه القنوات الفضائية والشبكات من أفلام تنافي الخلق الإسلامي وتقود إلى الفواحش والآثام .

و ﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَبْصَرِهِمْ ﴾ للتبويض أي : يغضوا أبصارهم مما يحرم

ويقتصروا فيها على ما يحل : كالنظر إلى ما أباحه الله تعالى كالمحارم ، وكنظر الخطيب إلى مخطوبته ، ونظر الفجأة ونحو ذلك ، لقوله - ﷺ - لعلي بن أبي طالب - رضى الله عنه - : « يا علي ، لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة » ^(١) .

وأمر الله - ﷻ - بالغض من الأبصار بل وقدم ذلك على الأمر بحفظ الفروج لأن غض البصر من أعظم الوسائل لحفظ الفروج ولأن النظر داعية إلى فساد القلب .

قال ابن تيمية - رحمه الله - : « إن حفظ البصر عن الصور التي نهى النظر إليها كالمرأة والأمر الحسن يورث ثلاثة فوائد جلييلة » :

١ - حلاوة الإيمان إذ هي أحلى وأطيب ما تركه لله ، فإن من ترك شيئاً لله - ﷻ - عوضه الله خيراً منه .

٢ - نور القلب وفراسته .

٣ - قوة القلب وثباته وشجاعته .

وقال تعالى : ﴿ وَحَفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ أي من الفواحش كالزنا وغيره كما وصف الله - ﷻ - أهل الإيمان ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ ﴾ ^(٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ^(٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ^(٧) ﴾ ^(٢) ، وكذلك يحفظون فروجهم من كشفها لوجوب سترها .

ثم بين الله - ﷻ - أن غض البصر وحفظ الفرج خير لهم وأطهر لقلوبهم وأعمالهم وأنقى لدينهم . ولهذا قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ وقد قيل : « من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته » ثم ختم الله - ﷻ - هذه الآية الكريمة بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ أي أن الله - ﷻ - مطلع على أعمالهم صغيرها وكبيرها دقها وجلها . و ﴿ مَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ موصولة بمعنى بالذي يصنعون أو مصدرية بمعنى صنعكم . وفي هذه الآية وعد لمن غض بصره وحفظ فرجه ، ووعد لمن خالف ذلك ، لأن الله - ﷻ - سيجازي كلًّا بما عمل . إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً .

(١) رواه أبو داود - في كتاب النكاح - باب « لا تتبع النظرة النظرة . . . » (٢١٤٩) .

(٢) سورة المؤمنون : ٥ - ٧ .

حفظ المؤمنات من الشرور :

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ أي قل - يا أيها الرسول - للمؤمنات الصادقات المنقادات لأمر الله - ﷻ - يغضضن من أبصارهن من النظر بشهوة إلى الرجال الأجانب ، ومن النظر إلى صور الفجور والفحش مما في ذلك من أعظم أسباب افتتانهن بالرجال .

أما نظر النساء إلى الرجال الأجانب بلا شهوة فقد ذهب طائفة من أهل العلم على جوازه كما ثبت في حديث عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « رَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَسْتُرْنِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبْشَةِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - دَعَهُمْ أَمَّا بَنِي أَرْفَدَةَ يَعْنِي مِنَ الْأَمْنِ » (١) .

وقل للمؤمنات أيضاً أَنَّ ﴿ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ عن الفواحش والآثام ، وعن كشف عوراتهن لغير أزواجهن . وفي الحديث عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ » (٢) .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا يَبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ ﴾ أي ولا يظهرن زينتهن للأجانب ، والأصل في الزينة كل ما يُتَزَيْن به من الزينة الخلقية كجمال الوجه ونحوه ، والزينة المكتسبة من الثياب والحلي والكحل والخضاب ونحو ذلك ، ثم استثنى الله - ﷻ - بقوله : ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ يعني مما لا يمكن إخفاؤه منها وهو الثياب الظاهرة كالرداء والعباءة وغير ذلك من الملابس الظاهرة ، وما ظهر منها من غير قصد ، وبهذا التفسير قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وجمع من التابعين وغيرهم ، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - « ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ أي وجهها وكفيها والخاتم » .

الأمر بالحجاب :

ثم قال تعالى : ﴿ وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ أي وليلقين بخُمُرهن ويسدلنها ويرخينها على جيوبهن لستر أعناقهن ونحوهن وصدورهن ، وعبر بـ (الضرب) مبالغة في الأمر بالستر .

(١) صحيح البخاري (٩٤٤) - كتاب العيدين - باب إذا فاته العيد يصلي ركعتين وكذلك النساء ومن كان في البيوت والقرى .
(٢) مسند أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة - مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة - باب « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها . . . » (١٦٦٤) .

أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تقول لما نزلت هذه الآية ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ ﴿١﴾ أخذن أزهرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها

وهذا يدل على سرعة استجابتهن لله - عز وجل - ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - ، والأمر بالحجاب إبعاد للمرأة المسلمة عن مواطن الفتنة والشر وأسباب ذلك .

كشف الزينة عند المحارم :

ثم قال تعالى : ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أي ولا يُظهرن زينتهن الباطنة إلا لأزواجهن وغيرهم ممن ذكروا في الآية الكريمة . وكرر النهي عن إبداء الزينة للتوكيد ونظراً لتنوع الاستثناء .

فنهى أولاً عن إبداء الزينة واستثنى من ذلك ما ظهر منها مما لا يمكن إخفاؤه ، ثم كرر النهي عن إبداء الزينة واستثنى من ذلك بعض الأشخاص وهم المحارم الذين يجوز إبداء الزينة لهم .

قال تعالى : ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ والبعول في كلام العرب يطلق على الزوج والسيد فيجوز للسيد أن ينظر إلى زينة أُمته كما يجوز ذلك للزوج مع زوجته . ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ الآباء والأجداد وإن علوا سواء كان الجد من جهة الأب أو جهة الأم . ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ﴾ أي أبناء أزواجهن سواء كانوا آباءهم أو أجدادهم . . . ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ﴾ يشمل الأبناء وأبناء أولادهم وإن نزلوا ، ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ﴾ أي أبناء أزواجهن ﴿أَوْ إِخْوَانَهُنَّ﴾ سواء كانوا أشقاء أو لأب أو لأم ، ﴿أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ قال ابن كثير - رحمه الله - : « كل هؤلاء محارم المرأة يجوز أن تظهر عليهم بزيتها ولكن من غير تبرج » ، وكذلك إظهارها لزينتها لزوجها ليس كإظهارها لغيره من المحارم .

لم يذكر العم والخال مع أنهما من المحارم اكتفاءً بقوله تعالى : ﴿أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ فبنو إخوانهن هنَّ عمَّاتهن وبنو أخواتهن هن خالاتهن ، فإذا ثبت جواز إبداء زينة المرأة في حق من هي عمَّته وخالته فثبتها في حق من هو عمها أو خالها من باب أولى .

قال تعالى : ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أي نسائهن المؤمنات فيجوز للمرأة أن تُظهر زينتها عند غيرها من

(١) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن - سورة النور - باب وليضربن بخمرهن على جيوبهن (٤٤٨١) .

النساء المؤمنات دون نساء المشركات والكفار ونساء أهل الكتاب ، لأنهن قد يصفن محاسنهن لرجالهن لأنهن لا يرين في ذلك مانعاً بخلاف النساء المؤمنات فلا يفعلن ذلك لعلمهن بحرمته في الإسلام .

وبعض أهل العلم قال : ﴿ **أَوْ نِسَائِهِنَّ** ﴾ يشمل جميع النساء مؤمنات أو غير مؤمنات إلا إن خيف افتتان النساء ببعضهن ببعض أو خيف أن تصف بعض صفات الأخريات للرجال ، وجب عدم إظهار الزينة عندهن حتى ولو كن مسلمات . وقوله تعالى : ﴿ **أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ** ﴾ أي ما ملكن من الرقيق من الرجال والنساء فيجوز لهن إظهار زينتهن أمامهم كما يظهرونها لمحرمهن ونسائهن إلا إذا خيفت الفتنة من الأرقاء الرجال فيجب التستر .

وقوله تعالى : ﴿ **أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرَبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الذِّي لَمْ يَضْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ** ﴾ أي التابعين لهن أو لأهل بيوتهن من الأجراء أو البله وخفاف العقول الذين يتبهن لمحاسن النساء ، وكالشيخ الكبير ونحوهم لعدم الشوق عندهم لكبر أو مرض أو صغر . والطفل الذي لا يُستتر عنه من دون التمييز ، أما الأطفال الذين بلغوا سن التمييز فيُستتر عنهم لأنهم يظهرن على عورات النساء وعلامة ذلك إن كان ينتبه للحسن ويفرق بين الحسناء والشوهاء ونحو ذلك .

رعاية الإسلام للمرأة :

كانت المرأة في الجاهلية إذا مشت في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يُعلم صوته ، ضربت برجلها الأرض فيعلم الرجال طنينه ، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك ، وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستوراً فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي لقوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ** ﴾ فلا يحل لها ذلك ولو لم تقصد إظهار زينتها .

كل ذلك حفظاً ورعايةً للمرأة ، مما يدل على أن مكانتها عظيمة في دين الإسلام ، وفي الآيات إشارة للمرأة المسلمة أن تسمو بشريعة ربها وأن تصون عفتها وكرامتها ، وأن تتعد عن مواطن الريبة حتى تحفظ نفسها وغيرها من الانحراف والوقوع في الفواحش والآثام .

دعوة إلى التوبة :

ختم الله -عز وجل- هذه الآية الكريمة بدعوة المؤمنات إلى التوبة لله -عز وجل- لأن التوبة سبب الفلاح . قال الله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . والتوبة هي الرجوع إلى الله -عز وجل- بالإيمان والعمل الصالح والإقلاع عن الذنوب والمعاصي .

وفي قوله تعالى ﴿ جَمِيعًا ﴾ بيان وجوب التوبة على جميع المؤمنين على الفور ، ثم نادى المؤمنين بقوله ﴿ أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ تنبيهاً لهم على أهمية التوبة ، وفي نداء الله -عز وجل- لهم بوصف الإيمان تشريف وتكريم لهم وترغيب بالانصاف بهذا الوصف العظيم . وفي إيجاب التوبة عليهم دليل واضح على أنّ الإنسان وإن علا قدره محل نقص وتقصير ، فيبادر إلى التوبة النصوح ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فالتوبة النصوح سبب للفلاح في الدنيا والآخرة ، والفلاح هو الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب .

أما شروط التوبة فخمسة هي :

- ١- الإخلاص لله -عز وجل- فيها .
- ٢- الإقلاع عن المعصية وما لزم ذلك من ردّ حقوق الناس إليهم .
- ٣- الندم على فعلها .
- ٤- العزم على عدم العودة إليها .
- ٥- أن تكون في وقت تُقبل فيه التوبة وذلك قبل بلوغ الروح الحلقوم وقبل طلوع الشمس من مغربها .

وقد جمعها بعضهم بقوله :

توبتنا لله ذي الجلال شروط فاستمع مقالتي
إخلاصه إقلاعه والندم وعزمه الثبات يا مكرم
وكونها في زمن محددة وهكذا الحقوق مستردة

من هداية الآيات :

- ١- تكريم المؤمنين والمؤمنات وتشريفهم بوصفهم بصفة الإيمان .
- ٢- غض البصر عن النظر إلى المحرمات لأنه يورث الفاحشة .
- ٣- طهارة المجتمع المسلم بالأمر بغض الأبصار وحفظ الفروج والتستر .
- ٤- وجوب تستر المرأة عن الرجال الأجانب .
- ٥- يجب على المرأة تجنب كل ما يلفت الأنظار إليها ويثير الفتن .
- ٦- بيان محارم المرأة ممن يجوز لها أن تبدي زينتها عندهم بلا حرج .
- ٧- وجوب التوبة إلى الله تعالى عند الوقوع في المعصية .

من القيم المستفادة :

- ستر الزينة .
- غض البصر .
- التوبة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - .



التقويم

السؤال الأول : ضع علامة (✓) مقابل كل من يجوز للمرأة إظهار الزينة أمامه :

١- جد المرأة ()

٢- خال الزوج ()

٣- عم المرأة ()

٤- أخو المرأة لأم ()

٥- ابن أخت الزوج ()

٦- أخو الزوج ()

٧- ابن الزوج ()

السؤال الثاني : استخرج من آيات الدرس ما يدل على الآتي :

١- الأمر بالحجاب :

.....

.....

.....

٢- جواز إبداء الزينة للنساء المؤمنات :

.....

.....

.....

السؤال الثالث : أجب عما يأتي :

١- لماذا بدأ الله -عز وجل- بغض البصر قبل حفظ الفرج ؟

.....

.....

٢- اكتب شروط التوبة النصوح :

.....

.....

السؤال الرابع : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة ، وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- حرّم الإسلام النظر إلى الأجنبية مطلقاً . ()
- ٢- يجوز للمرأة إبداء زينتها أمام الطفل المميز . ()
- ٣- البعل يطلق على الزوج وعلى السيد . ()
- ٤- ﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ يَغْضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ بيانية . ()



الترغيب في الزواج

سورة النور الآيات (٣٢ - ٣٤)

تمهيد :

شرع الله -ﷻ- الزواج لحكم سامية ، وغايات نبيلة وفوائد جليلة ومصالح عظيمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١) ، والنبي -ﷺ- حث على الزواج ورغب فيه فقال : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج » (٢) ، وقال -ﷺ- : « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » (٣) .

وقد ذكر العلماء للنكاح مصالح عظيمة نذكر منها بإيجاز :

- ١- بقاء النسل البشري ، وتكثير عدد المسلمين .
- ٢- تحقق العفة للمسلمين والمسلمات .
- ٣- حصول السكن بين الزوجين وتكوين أسرة مسلمة .
- ٤- حماية من الوقوع في الفواحش التي تهدم الأخلاق وتقضي على الفضيلة .
- ٥- حفظ الأنساب وترباط الأرحام بعضها ببعض وقيام الأسر الشريفة التي تسودها الرحمة والصلة والنصرة على الحق وغير ذلك من المصالح العظيمة للنكاح الشرعي القائم على الكتاب والسنة .

(١) سورة الروم : ٢١ .

(٢) رواه البخاري (٥٠٦٥) .

(٣) رواه مسلم (١٤٠٠) وأبو داود (٢٠٥٠) .

قال تعالى

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَيْسَتَعَفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْنُغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّبَنُغُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
الْأَيْمَىٰ	جمع أيم وهو من لا زوج له رجلاً كان أو امرأة
عِبَادِكُمْ	بمعنى العبيد وأكثر استعماله في الأرقاء والمماليك
وَاسِعٌ	اسم من أسماء الله الحسنى ، واسع الغنى كثير الخير عظيم الفعل واسع الرحمة والمغفرة
عَلِيمٌ	اسم من أسماء الله الحسنى ، يدل على تمام علمه - سبحانه - بكل شيء
الْكِتَابَ	المكاتبة والمراد : العقد الذي يجري بين السيد وعنده على أن يدفع له شيئاً من المال مقابل عتقه
خَيْرًا	أي قدرة على السداد والاستقلال عنكم (لفظ الخير يطلق على المال)
فَتِيَّتَكُمْ	جمع فتاة والمراد المملوكات من الإماء

مصدر بغت المرأة إذا زنت وفجرت	الْبَغَاءُ
تعفُّفاً ومنه المحصنة بمعنى العفيفة	تَحَصُّناً
متاع الحياة الدنيا وسُمِّي عرضاً لأنه يعرض ثم يزول	عَرَضُ الْحَيَاةِ
آيات واضحة	آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ
عظة وعبرة وذكرى	وَمَوْعِظَةً

الشرح الإجمالي للآيات :

الترغيب في الزواج :

ذمَّ الله - ﷻ - في هذه السورة الكريمة الزنا وما يترتب عليه من الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة ، وأمر بعد ذلك بِغَضِّ الأَبْصَارِ وحفظ الفروج كل ذلك حفاظاً على الأعراض ، ثم أتبع ذلك بالأمر بالنكاح والترغيب فيه لأنه أعظم وسيلة للوقاية من الزنا وأعظم معين على غضِّ الأَبْصَارِ وحفظ الفروج ، ومن هنا تعلم أن الله ﷻ إذا سد باباً في الحرام فتح له أبواباً بالحلal .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَى مِنْكُمْ ﴾ أي زوّجوا من لا زوج له من الأحرار من الرجال والحرائر من النساء ، بأن تقدموا لهم المساعدة بكل وسيلة يتم بها الزواج والمصاهرة .

﴿ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ أي وأعينوا القادرين والقادرات على النكاح والقيام بحقوق الزوجية من الصحة والمال ونحو ذلك .

{ والخلاصة } إن في الآية أمراً للأولياء بتزويج من لهم عليهم حق الولاية ، وللسادة بتزويج العبيد والإماء ، كما قال رسول الله - ﷺ - : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساداً » قالوا : « يا رسول الله وإن كان فيه » قال : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات » ^(١) ، ﴿ وَالصَّالِحِينَ ﴾ جمع صالح وهو من قام بحق الله تعالى وحق عباده ، وخصَّ العبيد والإماء باشتراط الصلاح لكثرة العناد فيهم ، وفي ذكر الصلاح في الآية إشارة إلى أن قيمة الإنسان في صلاحه ودينه وليس بماله وجاهه ونسبه ، وفيها أيضاً الثناء على الصالحين ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم .

(١) سنن الترمذي - كتاب النكاح عن رسول الله - ﷺ - إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه (١٠٨٥) .

والأمر في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ على الاستحسان لا على الوجوب ، لأنه قد كان في عصر النبي - ﷺ - وفي سائر العصور بعده أيامى من الرجال والنساء ولم ينكر ذلك أحد عليهم ، والظاهر أنّ الأمر يكون للوجوب إذا خيفت الفتنة ، وغلب على الظن حصول السفاح من الرجل أو المرأة .

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ هذا ترغيب من الله تعالى في الزواج بالفقير والفقيرة ، وأن لا يكون عدم وجود المال حائلاً عن إتمام الزواج فقال تعالى : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي لا تنظروا إلى فقر من يخطب إليكم أو فقر من تريدون زواجها ، ففي فضل الله ما يغنيهم والمال غادٍ ورائح .

﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي والله ذو سعة وغنى فلا انتهاء لفضله ولا حد لقدرته . ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ذو العلم التام بكل شيء سبحانه . عن أبي هريرة - رضى الله عنه - « أن رسول الله - ﷺ - قال ثلاثة حق على الله - ﷻ - عونهم المكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله » ^(١) ، وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : « عجبت لمن ابتغى الغنى بغير نكاح ، والله - ﷻ - يقول : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ » ، وقال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - : « التمسوا الغنى في النكاح يقول الله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ » .

فلا ينبغي للشباب أن يؤخر الزواج انتظاراً لمزيد من الغنى أو لأجل الحصول على شهادة عليا ونحو ذلك من متاع الدنيا . بل يكتفي بما تيسر ويتوكل على الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ^(٢) .

(١) سنن النسائي - كتاب النكاح - ثلاثة حق على الله - ﷻ - عونهم المكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله (٣٢١٨) .

(٢) سورة الطلاق : ٣ .

الواجب على من لم يتيسر له الزواج :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتَّعَفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي يطلب العفاف من لا يجد ما يتزوج به من المال بأسباب العفاف المقدورة له ، كأن يصوم ويحترز من النظر إلى النساء ، وأن يحمل نفسه على أن يصبر حتى يهيئ الله له أسباب الزواج ، والعبد إذا اتقى الله -عز وجل- جعل له من أمره فرجاً ومخرجاً .

والعفاف : صون النفس وإكرامها ورفعها عما لا ينبغي من الوقوع في الفواحش ونحوه . أما قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ فمعناه أن من أغناه الله تعالى من فضله ووجد النكاح الشرعي فقد أعفاه الله بالحلال عن الحرام ؛ وذلك أن العفاف واجب وفرض على الدوام وفي كل وقت .

الأمر بالمكاتبه :

﴿ وَالَّذِينَ يَبْنَعُونَ الْكُتُبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ ﴾ نزلت هذه الآية في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له (صبيح) سأل مولاه أن ي كاتبه فأبى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية ف كاتبه حويطب على مئة دينار ووهب له منها عشرين ديناراً فأدّاها وقتل يوم حنين في الحرب .

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْنَعُونَ الْكُتُبَ ﴾ أي والذين يريدون أن يتحرروا من الرق ، ﴿ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ أي من العبيد والإماء بمكاتبه أسيادهم على بعض المال يؤدونه إليهم ، ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ فعلى مالكيهم أن ي كاتبوهم على ذلك ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ إن علموا فيهم خيراً من رشد وقدرة مع الكسب وصلاح في الدين ، ﴿ وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ ﴾ وعليهم أن يعطوهم شيئاً من المال أو أن يحطوا عنهم مما كوتبوا عليه .

وذهب جمهور العلماء على أن الأمر بالمكاتبه للاستحباب والإرشاد وليس للوجوب ، أما إذا خاف السيد أنه إذا أعتق عبده فصار في حرية نفسه أن يتمكن من الفساد فهذا لا يؤمر بمكاتبته .

والإسلام يرغب في إعتاق العبد وجعل للمكاتبين منهم حقاً في الزكاة وذلك أن الأصل في بني آدم الحرية ، والرق وارد عليه ، وفي إضافة المال إلى الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ وَءَاتُوهُمْ مِّنْ

مَالِ اللَّهِ ﴿ تَنْبِيْهُ إِلَى أَنَّ الْمَالَ الَّذِي بِأَيْدِي النَّاسِ كُلَّهُ لِلَّهِ تَعَالَى وَأَنَّ اسْتِخْلَافَهُمْ فِيهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ ^(١) ، لذا ينبغي عليهم أَنْ يَحْسِنُوا لِعِبَادِ اللَّهِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ .

النهي عن البغاء :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾ ولا يجوز لكم إكراه جواريتكم على الزنا طلباً للمال ، ﴿ إِنَّ أَرْدَنَ تَحَصُّنًا ﴾ وكيف يقع منكم ذلك وهن يردن العفاف وأنتم تأبونها ؟ وفي هذا غاية التشنيع لفعلهم القبيح ، أما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَرْدَنَ تَحَصُّنًا ﴾ فليس بقيد بل خرج مخرج الغالب يعني أنهم يكرهونهن على الزنا وهن يردن التحصن .

﴿ لِنَبْنِغُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴾ لأجل مال قليل يعرض لكم ويزول عنكم بسرعة وقد جاء في السُّنَّةِ عن رافع بن خديج قال : سمعت النبي - ﷺ - يقول : « شر الكسب مهر البغي وثمر الكلب وكسب الحجام » ^(٢) ، وفي ذلك إشارة إلى تفاهة وحقارة ودناءة ما صنعوا ، ﴿ وَمَنْ يُكْرِهِنَّ ﴾ على الزنا ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ ﴾ لهن ﴿ رَحِيمٌ ﴾ بهن ، والإثم على من أكرههن ، والمغفرة والرحمة للمُكْرِهَاتِ على الزنا ، وقد جاء في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَنَّ جَارِيَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنْدَةَ سَلُولُ يُقَالُ لَهَا مُسَيِّكَةٌ وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا أُمَيْمَةٌ فَكَانَ يَكْرَهُهُمَا عَلَى الزَّانِي فَشَكَتَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٣) .

وهذا النهي فيه تطهير للبيئة الإسلامية من أسباب الفواحش وبواعث الفتنة والفجور وإغلاق سبل شياطين الإنس والجن ﴿ فَأَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ ^(٤) .

(١) سورة الحديد : ٧ .

(٢) (صحيح مسلم - كتاب المساقاة - نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن (٢٩٣١ / ١٥٦٨) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب التفسير - باب «أن جارية لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها مسيكة . . . » (٣٠٢٩) .

(٤) سورة الحشر : ٢ .

موعظة المتقين :

ثم قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ و (قد) للتحقيق وتصدير الآية بالقسم يدل على العناية والتأكيد أي : (والله لقد أنزلنا) ، وفي قوله تعالى : ﴿ أَنْزَلْنَا ﴾ دليل على علو الله - عَزَّوَجَلَّ - على خلقه وفي قوله تعالى : ﴿ إِلَيْكُمْ ﴾ تشريف وتكريم لهذه الأمة محمد - ﷺ - .

﴿ ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ أي دلالات واضحات على الحق ، فالقرآن العظيم واضح لا غموض فيه ، قال ابن تيمية - رحمه الله - : « من تدبر القرآن طالباً للهدى منه تبين له طريق الحق » ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي وذكرنا لكم في القرآن الكريم صفة وأمثلة وقصصاً من أخبار الذين مضوا من قبلكم المؤمنين منهم والكافرين ، وما جرى لهم وعليهم يكون مثلاً لكم وعبرة ، ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أي عظة وعبرة ، والموعظة هي ذكر أحكام مقرونة بالترغيب والترهيب ، وخصَّ المتقين بالذكر لأنهم هم من ينتفع بالآيات والمواعظ .

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية الزواج والترغيب فيه .
- ٢- إعانة الأيامى أحراراً وعبيداً على الزواج .
- ٣- وجوب الاستغفار على من لم يجد نكاحاً والصبر حتى ييسر الله أمره .
- ٤- الفقر ليس مانعاً من الزواج بل الزواج سبب للغنى بإذن الله تعالى .
- ٥- مشروعية مكاتبه العبد إذا توفرت فيه شروط المكاتبه .
- ٦- عناية الإسلام بتحرير العبيد .
- ٧- تحريم جعل الإمام سلعة للكسب الحرام بالزنا .
- ٨- الإشارة إلى حقارة الدنيا ودناءتها .
- ٩- لا إثم على المكره على فعل المعصية .
- ١٠- التنويه بعظم هذه السورة وشأنها .

من القيم المستفادة :

- التعاون على الخير .
- العدل .
- الإحسان .



التقويم

السؤال الأول : اكتب حديثاً في فضل الزواج :

.....

.....

.....

.....

السؤال الثاني : وضح معاني الكلمات الآتية :

النص القرآني	المعنى
الْأَيْمَى	
وَلَيْسَتَّعِفٍ	
فَكَاتَبُوهُمْ	
وَمَوْعِظَةً	

السؤال الثالث : أجب عما يأتي :

١- ما الفائدة من ذكر الصالحين في قوله تعالى : ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ ؟

.....

.....

٢- وضح نوع ﴿قَدْ﴾ في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ :

.....

.....

السؤال الرابع : كيف حَمَت الشريعة الإسلامية المجتمع المسلم من الفواحش وبواعثها ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....



الله نور السماوات والأرض

سورة النور الآيات (٣٥ - ٣٨)

تمهيد :

كان من دعاء النبي - ﷺ - عند خروجه للصلاة فجراً أن يقول : « اللهم اجعل في قلبي نوراً واجعل في لساني نوراً واجعل في سمعي نوراً واجعل في بصري نوراً واجعل خلفي نوراً وأمامي نوراً واجعل من فوقني نوراً ومن تحتي نوراً اللهم وأعظم لي نوراً »^(١) .

هذا الدعاء الذي يتضمن لذة المناجاة مع الرب سبحانه مما يعينه على الخشوع والخضوع في صلاته .

يقول هذا الدعاء وهو يتلمس هذا النور في مواضع النور في أحب البقاع إلى الله وهي المساجد ، التي ما بُنيت إلا لبناء الشخصية المؤمنة التي تمشي على نور من الله ؛ هذه المساجد التي تُصقل فيها الأنفس وتستقيم بها الأحوال متى ما قام كلُّ منا بما أوجب الله عليه من فعل أو امره وترك نواهيه .

قال تعالى

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا
يُسْقَى وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ

(١) سنن أبي داود - كتاب الصلاة - أبواب قيام الليل - باب « استيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول . . . » (١٣٥٣) .

لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ
فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
اللَّهُ	عَلَّمَ على ذات الربِّ المقدسة ، وهو بمعنى المألوه المعبود محبةً وتعظيمًا
نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	منور السماوات والأرض
مَثَلٌ	مثل الشيء : نظيره وصفته
كِمَشْكُوفَةٍ	الكوة في الحائط : وهي الطاقة غير النافذة تجعل النور ينعكس ويجتمع ولا يتبدد
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ	شديد الإضاءة واللمعان
مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ	ذات بركة كثيرة وخير كثير والبركة الخير الكثير الدائم
زَيْتُونَةٍ	هي شجرة الزيتون
يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا	التسبيح : تنزيه الله عن النقائص والعيوب
بِالْغُدُوِّ	أول النهار ما قبل الزوال
وَالْآصَالِ	جمع أصيل وهو آخر النهار ما بعد الزوال
لَّا تُلْهِهِمْ	لا تشغلهم
تَتَقَلَّبُ	تتحول وتضطرب
بِغَيْرِ حِسَابٍ	بغير عدٍّ ولا حدٍّ

الشرح الإجمالي للآيات :

الله نور السماوات والأرض :

قال الله تعالى : ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ** ﴾ يدبر الأمر فيهما ويهدي أهلهما فهو سبحانه نور و حجاب نور ، به استنارت السماوات والأرض وما فيها ، وكتاب الله وهدايته نور منه سبحانه ، فلولا نوره تعالى لتراكمت الظلمات بعضها فوق بعض .

والله - ﷻ - نور السماوات والأرض ذاته نور وصفاته نور وآياته نور ونوره سبحانه يليق بجلاله وعظمته ، وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري - رضى الله عنه - قال : « **قام فينا رسول الله ﷺ - بخمس كلمات فقال إن الله - ﷻ - لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور** » وفي رواية أبي بكر « **النار لو كشفت لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** » ^(١) ، فيكون للآية معنيان كلاهما صحيح : أولهما : الله نور السماوات والأرض بذاته وصفاته وآياته ، والآخر : هو هادي السماوات والأرض ومنورهما وخالق النور فيهما . والنور نوعان :

أ - نورٌ حَسَنِي كنور الشمس والقمر والكواكب والمصابيح كما في قوله : ﴿ **وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا** ﴾ ^(٢) .

ب - نورٌ معنويٌّ وهو ما يلقيه الله - ﷻ - في قلب المؤمن كما في قوله تعالى : ﴿ **مِثْلُ نُورِهِ** ﴾ **كَمْشَكُوفٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ** ﴾ وقوله : ﴿ **وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ** ﴾ ^(٣) وهذا النور يكون من معرفة الله والعلم والإيمان .

ثم قال تعالى : ﴿ **مِثْلُ نُورِهِ** ﴾ مثل نور الله - ﷻ - في قلب المؤمن وهو النور الذي يهدي به ﴿ **كَمْشَكُوفٍ** ﴾ المشكاة هي الكوة في الجدار غير نافذة ، ﴿ **فِيهَا مَصْبَاحٌ** ﴾ سراج شديد الإضاءة ﴿ **الْمَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ** ﴾ أي القنديل من الزجاج ، ﴿ **الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ** ﴾ أن زجاجة

(١) (صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب في قوله - ﷻ - إن الله لا ينام وفي قوله حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه (١٧٩) .

(٢) سورة نوح : ١٦ .

(٣) سورة النور : ٤٠ .

القنديل لصفائها ونورها كالكوكب المتلألئ ، ولم يشبَّه بالشمس والقمر لأنهما يلحقهما الخسوف والكواكب لا يلحقها خسوف ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ يوقد من زيت شجرة كثيرة النفع ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ في مكان متوسط تصيبها الشمس فترة طويلة لتوسطها ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ﴾ أنه لشدة صفائه وقوته يوشك أن يضيء بنفسه من غير نار تشعله ، ﴿نُّورٌ عَلَى نُّورٍ﴾ أن ما يصيبه بعد الاشتعال يزيد في إضاءته ونوره لكونه مضيئاً من قبل ، لأن كل ما فيه يساعد على الإضاءة من المشكاة ، والزجاجة والمصباح والزيت . ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي يوفق الله -عز وجل- من يشاء من عباده إلى سلوك الطريق المستقيم .

والهداية في كتاب الله تعالى هدايتان :

١- هداية توجيه وإرشاد ؛ فهذه يملكها الرسل وأتباعهم كما قال -عز وجل- عن نبيه : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١) .

٢- هداية توفيق وتثبيت فهذه لا يملكها إلا الله وحده وهي المرادة من هذه الآية .

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾ يذكر الله -عز وجل- الأمثال ويوضحها ويبينها للناس ليعقلوا منه أمثاله و حكمه ، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء وقد أحاط بكل شيء علماً . قال ابن عباس -رضي الله عنهما- : « هذا مثل نور الله وهُده في قلب المؤمن ؛ فكما يكاد الزيت يضيء قبل أن تَمسه النار فإذا مسته ازداد ضوءاً على ضوء يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم ، فإذا جاءه ازداد هدى على هدى ونوراً على نور » . وفي هذا المثل وعد وبشارة لمن تدبر الأمثال ووعاها ، ووعيد لمن لم يتفكر فيها ولم يكثر بها فإنه لا يصل إلى الحق ولا يهتدي لطريقه .

قال عمرو بن مرة -رضي الله عنه- : « ما مررتُ بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنني لأني سمعت الله يقول : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ » (٢) .

(١) سورة الشورى : ٥٢ .

(٢) سورة العنكبوت : ٤٣ .

والغرض من ضرب الأمثال تقريب المعنى إلى أذهان الناس وبيانه وإيضاحه .
وفي الآية إشارة إلى فوائد شجرة الزيتون ، وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : قال رسول
الله - ﷺ - : « **كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة** » ^(١) .

عمارة المساجد :

قال الله تعالى : ﴿ **فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ** ﴾ .

بعد أن ذكر الله - ﷻ - نوره لعباده وهدايته إياهم على أتم الوجوه ، بين هنا أن ذلك النور في
مساجد أمر الله - ﷻ - أن يُرفع شأنها وبنائها ويُذكر فيها اسمه بتلاوة كتابه والتسبيح والتهليل
وغير ذلك من أنواع الذكر ، وتقام فيها الصلاة في أول النهار وآخره ، فتعظم هذه المساجد .
ويشرع للمسلم أن يأتيها بكامل زينته وبأطيب رائحة .

وأيضاً تُرفع المساجد ببنائها وتهيتها للمصلين ، وتنظيفها وتطيبها وتوقيرها واحترامها ؛ **عن
عائشة - رضى الله عنها - قالت : « أمر رسول الله - ﷺ - ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب »** ^(٢) .

والمساجد بيوت الله وهي أشرف البقاع وأرفعها وأعلاها قدراً ، مما يوجب تعظيمها وعمارته
بالعبادة والبناء ، وتطهيرها من النجاسات والقذارات والروائح الكريهة .

ومن تعظيم المساجد أن لا تُتخذ للبيع والشراء ، ولا لمجالس فضّ الخصومات ، أو مكاناً
للخوض في أمور الدنيا ، أو أن يُرفع الصوت فيها ، وأن لا يُمكن الأطفال من اللعب والصراخ
فيها بل يُمنعون منها إن كانوا سبباً لإيذاء المصلين .

قال تعالى : ﴿ **رِجَالٌ لَا نُلْحِمْهُمْ تَحْجَرَةً وَلَا يُعِيبُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** ﴾ ^(٣٧) .

مدح تعالى عُمّار المساجد الذين يسبحون الله فيها بالغدو والآصال ﴿ **رِجَالٌ** ﴾ فاعل للفعل

(١) سنن الترمذي - كتاب الأطعمة عن رسول الله - ﷺ - باب ما جاء في أكل الزيت (١٨٥١) .
(٢) سنن أبي داود - كتاب الصلاة - أمر رسول الله - ﷺ - ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب (٤٥٥) .

﴿يُسَبِّحُ﴾ وكلمة ﴿رِجَالٌ﴾ فيها مدح وثناء لهم ، وإشعار بالهمم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية التي صاروا بها عمّاراً للمساجد ، فهي بيوت الله في أرضه ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتنزيهه .

فالرجل هو من إذا سمع (حي على الصلاة ، حي على الفلاح) قام مبادراً مستجيباً مليئاً بهذا النداء العظيم ، قام فرحاً نشيطاً منشراح الصدر .

وفي الآية دلالة على مشروعية صلاة الرجال جماعة في المساجد ، أما النساء فصلاتهن في بيوتهن أفضل لهن ، ولا بأس بصلاتهن في المساجد فنعن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » ^(١) ، ثم نعت هؤلاء الرجال بقوله : ﴿لَا تُلْهِيمَهُمْ﴾ لا تشغلهم ﴿تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا﴾ والتجارة كل عقد معاوضة يقصد به الربح ، والبيع مبادلة مال بمال بقصد التملك ، وقد دلت الآية على إباحة أنواع التجارات والبيوع مالم تُشغِل عن طاعة الله ، والبيع معطوف على تجارة من باب عطف الخاص على العام لأن البيع من أهم أنواع التجارة ، ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وذكر الله -عز وجل- هو ما يجري على اللسان مع مواظبة القلب من تسبيح وتحميد وتهليل ونحوه ، ﴿وَأَقَامِ الصَّلَاةَ﴾ والصلاة هي التعبد لله -عز وجل- بأقوال وأفعال مخصوصة مُفْتَتِحَةٌ بالتكبيرة مُخْتَتَمَةٌ بالتسليم ، ﴿وَأَيِّئِ الزَّكَاةَ﴾ والزكاة عبادة مالية يبذل فيها المسلم قسطاً من ماله تقرباً إلى الله وتطهيراً لنفسه من الذنوب والبخل ، وتزكيةً لماله ونفعاً للإسلام والمسلمين ، ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ وهو يوم القيامة ﴿نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ من شدة الفزع وعظمة الأحوال وتقلب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة ، وجاءت ﴿يَوْمًا﴾ نكرةً للتعظيم والتخويف .

وأهل الله المؤمنون يزنون الأمور ويصلحون دينهم ودنياهم ، وفي الآية إشارة إلى أن هؤلاء الرجال جمعوا بين الإحسان والاستعداد بالعمل الصالح وبين الخوف ، فلم يغتروا بكثرة أعمالهم وصلاح أحوالهم بخلاف المسيئين الذين جمعوا بين التفريط والإساءة مع الأمن من مكر الله -عز وجل- .

(١) صحيح مسلم - كتاب الصلاة - لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها (٤٤٢) .

ثواب عُمَار المساجد :

ذكر الله -عزَّ وجلَّ- جزاء من أنار المساجد بالصلاة والذكر ، ومن ملأ قلبه خوفاً من الله تعالى ومن أهوال يوم القيامة بقوله : ﴿ لِيَجْزِيَهمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ واللام في ﴿ لِيَجْزِيَهمُ ﴾ لام العاقبة ، أي وتكون عاقبتهم أن يجزيهم الله أحسن ما عملوا ، ويحتمل أن تكون اللام لام تعليل ، أي لأجل أن يجزيهم ، ﴿ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ أي ليجزيهم أحسن ثواب ما عملوا أو أحسن ثواب عملهم .

﴿ وَيَزِيدهمُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي يزيدهم مما عنده من الفضل والزيادة في الدنيا والآخرة .
والفضل : الزيادة وكل ما يحصل عليه الإنسان من دون مقابل يسمى فضلاً .

﴿ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي أن الله يعطي من يشاء العطاء الكثير الجزيل فلا يحسب عليهم ما أعطاهم بغير حد ولا محاسبة .

من هداية الآيات :

١- إثبات أن الله -عزَّ وجلَّ- نور السماوات والأرض ؛ فالله بذاته نور وصفاته نور وآياته نور وهو منور السماوات والأرض .

٢- قوة نور الهداية في قلب المؤمن ونفوذ بصيرته ووضوح الطريق أمامه لأنه يسير على نور من الله .

٣- بيان أن شجرة الزيتون من الأشجار المباركة .

٤- ضرب الأمثال في القرآن لتوضيح المعاني وتقريبها إلى الأذهان .

٥- اختصاص الله -عزَّ وجلَّ- بالهداية للنور لمن يشاء من عباده .

٦- إثبات أن الله العليم وأنه وسع كل شيء علماً .

٧- تعظيم المساجد ورفع مكانتها عند الله -عزَّ وجلَّ- .

٨- الأمر بعمارة المساجد ببنائها وعبادة الله -عزَّ وجلَّ- فيها .

- ٩- مشروعية صلاة الجماعة للرجال في المساجد .
- ١٠- عَظُم شأن الذكر والصلاة والزكاة عند الله -ﷻ- .
- ١١- بيان شيء من أهوال وأحوال يوم القيامة .
- ١٢- من كرم الله -ﷻ- على عباده المؤمنين أن يجزيهم الجزاء المضاعف .

من القيم المستفادة :

- حُبُّ الخير وأهله .
- تعظيم المساجد وعمارتها .
- حسنُ الظن بالله -ﷻ- .



التقويم

السؤال الأول : أكمل ما يأتي :

النور نوعان هما :

١-

٢-

السؤال الثاني : ما فائدة ضرب الأمثال في القرآن ؟

.....

.....

السؤال الثالث : في الآيات الكريمة حثٌّ على عمارة بيوت الله والمحافظة عليها ؛ وضح ذلك .

.....

.....

السؤال الرابع : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

١- عمارة المساجد هي بنيانها والعناية بنظافتها . ()

٢- هداية البيان والإرشاد هي من الله لجميع الخلق . ()

٣- في الآيات دليل على إباحة أنواع التجارات والبيوع . ()

أعمال الكافرين

سورة النور الآيات (٣٩ - ٤٠)

تمهيد :

بعد أن بين الله تعالى أحوال المؤمنين وأنهم في الدنيا في نور الله وبه يستمسكون بالعمل الصالح ، وفي الآخرة يفوزون بالنعيم المقيم والثواب العظيم أردف ذلك ببيان حال أضدادهم وهم الكفار ؛ فذكر أنهم يكونون في الآخرة في أشد الخسران والبوار في الدنيا في ظلمات متراكمة فوق بعض ؛ وضرب لكلتا الحالتين مثلاً يوضحهما أتم الإيضاح والبيان .

وهذه هي طريقة القرآن الكريم : الجمع بين الخوف والرجاء حتى يرغّب العباد إلى طاعته والزيادة في الحسنات وما يرفع درجاتهم عند الله تعالى .

قال تعالى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ مُّظْلِمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرُهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
وَالَّذِينَ كَفَرُوا	الكفر : هو الستر والتغطية ؛ فالكافرون غطّوا الحق بجحودهم
كَسْرَابٍ	السراب : ما يترأى للناظر عن بُعد في وقت الظهيرة يسرب كأنه ماء يجري
بِقَيْعَةٍ	جمع قاع : وهي الفلاة المنبسطة من الأرض
يَحْسَبُهُ	يظنه
الظَّمْءَانُ	العطشان
فَوَفَّاهُ	أعطاه تاماً
حِسَابَهُ	جزاء أعماله
بَحْرٍ لَّيِّجٍ	بحر عميق كثير الماء ، وسمي لجياً نسبة إلى لجة البحر : وهي قعره وعظمه وماؤه الكثير
يَغْشَاهُ	يغطيه
مَوْجٍ	ما ارتفع من الماء على الماء بسبب الرياح

الشرح الإجمالي للآيات :

بعد أن أثنى الله -عزّ وجلّ- في الآيات السابقة على رجال بذكر ما هم عليه من جليل الصفات وفضائل الأعمال ، و ما أعد لهم من جزيل الثواب و الزيادة و الإفضال ، ثم أتبع ذلك بذكر أعمال أهل الكفر والضلال ونهايتها وبطلانها ، وقد ضرب الله -عزّ وجلّ- في هاتين الآيتين مثلين لأعمال الكفار في الدنيا والآخرة :

المثال الأول (في الآخرة) :

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْءَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا بهذا القرآن وكذبوا رُسُلَه
﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ فَإِنَّ ما عملوه في الدنيا التي ظنوها نافعة لهم في الآخرة كصلة الأرحام وفك
الأسرى وغيرها ، ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً﴾ شبهها الله لهم كالسراب وهو ما
يشاهد كالماء على الأرض المستوية في الظهيرة ، يظنه العطشان ﴿مَاءً﴾ ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ
يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ فإذا أتاه لم يجده ماءً كاملاً فيا للخيبة ، خيبة ظمآن يقتله العطش فرأى سراباً
فجرى وراءه يظنه ماءً فإذا به لم يجد الماء فينتفع به ، واحتاج إلى ما يروي غلته ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ
فَوْقَهُ حِسَابَهُ﴾ أي ووجد عقاب الحق تبارك وتعالى الذي توعد به الكافرين أمامه ، وتحول ما
كان يظنه نفعاً عظيماً إلى ضرر محقق ، وتجيئه الزبانية تعتله وتسوقه إلى جهنم وتسقيه الحميم
والغساق ، فخسر خسراناً مبيئاً ، هكذا حال الكافرين يحسبون أعمالهم نافعة منجية لهم من
بأس الله ، حتى إذا جاءهم العذاب يوم القيامة لم تنفعهم أعمالهم ولم تغنيهم من عقابه .
﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فما هي إلا لحظات و الكافر في سواء الجحيم فلا يستبقي الجاهلون
ذلك الوعيد فإنه لا بد من إتيانه .

ومن عدل الله -عز وجل- أن الكفار يجازون في الدنيا على ما يقومون به من أعمال البر كالصدقات
ونحوها ، كما في الحديث عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « إِنْ اللَّه لَا
يُظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطِي بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزِي بِهَا فِي الْآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ
بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا » (١) .

المثال الثاني (في الدنيا) :

قال الله تعالى : ﴿أَوْ كُظِّلُمْتِ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ
ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ يَرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ (٤٠)
وهذا مثل آخر لعمل الكافر ، وهو أنه في ظلمته وضلاله وبعده عن نور الله ومنهجه كمثل
الظلمات الحالكة التي تكون في قاع بحر واسع عميق تغطيه الأمواج المتتابعة في يوم غائم ، فهو
لشدة ظلمته لا يكاد من فيه يرى يده مع قرَّبها إليه ومعرفته لوصفها .

(١) صحيح مسلم - كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا (٢٨٠٨) .

و ﴿أَوْ﴾ في قوله : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ عاطفة وهي للتقسيم والتنويع .

وفي كيفية تنزيل الأعمال على هذين المثليين : إن الذين شُبِّهَتْ أعمالهم بالسراب هم أهل الضلال والجهل المركَّب ، الذين يجهلون الحق ويعادون أوليائه ويناصرون الباطل ويوالون أهله ؛ والذين شُبِّهَتْ أعمالهم بالظلمات هم أهل الجهل البسيط أو بمعنى آخر أنَّ المثل الأول للمتبوعين وأئمة الكفر والدعاة إليه والثاني للتابعين المقلِّدين .

ثم قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ فالنور له ﷻ ويده وبتوقيفه ولطفه ومن لم يرزقه الله نور الإيمان والهدى من الضلالة فما له هداية من أحد فهو في ظلمة الباطل ، فإن لم يطلبه العبد حُرْم منه وعاش في الظلمات .

وجاء التعبير في قوله ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام وبمعنى المؤكدة ؛ أي : فما له على الدوام أي نور وسط ظلمات الجهل والكفر .

ومن لم يهده الله ويوفقه إلى الطريق المستقيم فلا أحد يستطيع هدايته ؛ فعلى المرء أن يجتهد لطلب هذا النور بتحري مرضات الله -ﷻ- والقيام بحقوقه وسؤاله .

من هداية الآيات :

- ١- القرآن الكريم جمع بين الترغيب والترهيب .
- ٢- يحبط الله -ﷻ- أعمال الكافرين يوم القيامة .
- ٣- ضرب الأمثال في القرآن لتقريب المعاني إلى الأذهان .
- ٤- الله -ﷻ- شهيد على أعمال العباد لا يخفى عليه شيء منها .
- ٥- سرعة حساب الله -ﷻ- ومجازاته لعباده .
- ٦- يُطلب النور من الله -ﷻ- فهو الهادي سبحانه .
- ٧- الكافرون يتيهون في ظلمات الكفر والضلال .



من القيم المستفادة :

- تجديد النية .
- تدبر الأمثال .
- الاستعانة بالله - عَزَّوَجَلَّ - .



التقويم

السؤال الأول :

قال رسول الله - ﷺ - : « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنةً يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها » .

ما علاقة الحديث السابق بآيات الدرس ؟

.....

.....

.....

السؤال الثاني : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة أو علامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- من أطاع الله - ﷻ - فإنه موافق لما فطر الله - ﷻ - الناس عليه . ()
- ٢- يُجازى الكافر على أعمال الخير في الدنيا . ()
- ٣- نوع ﴿أَوْ﴾ في قوله : ﴿أَوْ كُظِّلِمَتْ فِي بَحْرِ لُجِّي﴾ للتقسيم والتنويع . ()

السؤال الثالث : أجب عما يأتي :

١- ما صلة الآيات بما قبلها ؟

.....

٢- كيف السبيل لطلب النور من الله - ﷻ - ؟

.....



السؤال الرابع : بيّن الغرض من ضرب المثيلين لأعمال الكافرين :

.....

.....

.....



من دلائل التوحيد

سورة النور الآيات (٤١ - ٤٦)

تمهيد :

أكثر الله -ﷻ- في كتابه العظيم من ذكر تفرد سبحانه بالخلق والملك والرزق وغيرها ، وقد كان ذلك لتقرير توحيد الألوهية وهو أفراد الله -ﷻ- بالعبادة وحده لا شريك له ، وهو معنى لا إله إلا الله ، وإلزام المشركين به إذ كانوا يقولون بتوحيد الربوبية ، والآيات التي معنا ما هي إلا دلالات على ربوبيته تعالى الدالة على وحدانيته .

قال تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يَقُلُّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
أَلَمْ تَرَ	ألم تعلم
يُسَبِّحُ لَهُ	ينزه الله تعالى عن النقائص والعيوب
وَالطَّيْرُ صَفَّتْ	باسطت أجنحتهن بالطيران
وَالِىَ اللَّهِ الْمَصِيرُ	إليه المرجع والمآب
يُنْزِجِي سَحَابًا	يسوقه بلطف
يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ	يجمع بينه
رُكَّامًا	ما يُجعل بعضه على بعض
الْوَدَقِ	المطر
مِنْ خِلَالِهِ	من شقوق وفتوق السحاب
سَنَا بَرْقِهِ	لمعان وضوء السحاب ، والبرق : هو ما يظهر من السحاب من بريق وإضاءة خاطفة
يُقَلِّبُ اللَّهُ	التقليب : تغيير الشيء من جهة إلى جهة
لَعِبْرَةً	لدلالة وعظة
دَابَّةٍ	كل ما يدب على وجه الأرض من الحيوانات
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	إلى طريق لا عوج فيه

الشرح الإجمالي للآيات :

تسبيح الكائنات العلوية والسفلية لله تعالى :

لما وصف الله -عز وجل- قلوب أوليائه بالنور والهداية وقلوب أعدائه بالظلمات ، أتبع ذلك بذكر دلائل التوحيد ؛ فقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أي ألم تعلم بالدليل ، والاستفهام هنا للتقرير وذلك لدخوله على ﴿ لَمْ ﴾ النافية . ﴿ أَنْ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ ﴾ وخص التنزيه بالذكر مع دلالة ما

فيهما على اتصافه بجميع أوصاف الكمال ، من جرّاء أنّ سياق الكلام لتقبيح شأن الكفار الذين أخلّوا بالتنزيه ، فجعلوا الجمادات شركاء له سبحانه ، ونسبوا له اتخاذ الولد إلى نحو أولئك ، تعالى ربنا عمّا يقول الكافرون علوّاً كبيراً .

فكل ﴿ **مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ من ملائكة و إنس و جن و حيوانات و نباتات و جمادات ينزه الله -عزّ وجلّ- عن النقائص والعيوب ، إذ كل المخلوقات في وجودها وبقائها دالة على وجود خالق لها متصف بصفات الكمال منزّه عن صفات النقص .

والتسبيح تسبيحان :

- ١- تسبيح بلسان المقال وهو تسبيح الملائكة و المؤمنين من الإنس و الجن .
 - ٢- تسبيح بلسان الحال وهو تسبيح جميع المخلوقات بالانقياد لله تعالى كوناً و قدراً و دلالة على وجوده و توحيده ، وهذا التسبيح لا نعلم كُنْهه ولا نفقه كيفيته .
- ﴿ **وَالطَّيْرُ صَفَّتْ** ﴾ أي و الطير باسطات أجنحتهن بين السماء و الأرض ، و إنما خص الطير مع أنها تدخل في عموم المخلوقات للتنبيه على عظم قدرة الله -عزّ وجلّ- في تمكين هذا الطائر من الطيران ، و إمساكه بين السماء و الأرض ، و صموده في الرياح الشديدة و الباردة ، و كذلك لعل تخصيصه للدلالة على أنّ ما بين السماء و الأرض ، يسبح الله أيضاً .

ثم قال تعالى : ﴿ **كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾ لها معنيان :

الأول : كلُّ قد علم الله -عزّ وجلّ- صلّاته و تسبيحه .

الثاني : أي كلُّ قد علّمه الله -عزّ وجلّ- الصلاة و التسبيح حسب حاله اللاتقة به عن طريق الرسل أو الإلهام .

ثم ختم الله -عزّ وجلّ- هذه الآية بعلمه الواسع : ﴿ **وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ** ﴾ لا تخفى عليه خافية من أفعال العباد و سيجازيهم عليها ، و في هذا من الوعد لمن فعل الخير و الوعيد لمن فعل الشر .

ثم قال الله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** ﴾ أي أن لله تعالى ملك السماوات و الأرض و هو الحاكم المتصرف فيهما إيجاداً و إعداماً بدءاً و إعادةً ؛ و إليه وحده

مصيركم ومعادكم فيوفّيكم أجور أعمالكم التي عملتموها في الدنيا فأحسنوا عبادته واجتهدوا في طاعته وقدموا لأنفسكم صالح الأعمال .

آية المطر :

ثم ذكر الله -عزّ وجلّ- آية عظيمة من آياته المشاهدة فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ﴾ أي يسوق السحاب سوقاً رقيقاً سهلاً إلى حيث يشاء ، ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ﴾ أي بين أجزائه فيضم بعضه إلى بعض ويجمعه بعد تفرّقه ليقوى ويثقل ، ﴿ ثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَّامًا ﴾ أي متراكماً يركب بعضه بعضاً ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ فترى المطر يخرج من فتوقه وشقوقه التي هي مخارج القطر ، وجملة ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ في محل نصب على الحال لأن الرؤية هنا هي البصرية .

وقال تعالى ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ وينزل من العلو قطع من البرد عظام تشبه الجبال . والبرد : هو الذي ينزل جامداً وسمي برداً لبرودته ، ﴿ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي فيصيب بما ينزل من البرد من يشاء أن يصيبه من عباده ﴿ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ ﴾ منهم ، فمعنى الإصابة هنا العقوبة والصرف رحمة ، ويحتمل أن المعنى : فيصيب بهذا المطر والبرد من يشاء رحمة لهم ويصرفه عن من يشاء حرماناً لهم .

﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴾ يكاد ضوء برقه من شدة إضاءته ولمعانه وبريقه ليخطف الأبصار ويزيلها ، والأبصار جمع بصر وهي حاسة البصر .

آيتا الليل والنهار :

قال الله تعالى : ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ .

ومن عظيم دلائل قدرة الله -عزّ وجلّ- ووحدانيته أنه تعالى : ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ أي يعاقب بينهما بمجيء أحدهما بعد الآخر واختلافهما طولاً وقصرًا .

والتقليب تقلبان :

١- تقليب حسي وهو ما تقدم ذكره .

٢- تقليب معنوي وهو أن يقلب الأحوال فيهما من حر إلى برد ومن برد إلى حر ، ومن أمن

إلى خوف ومن خوف إلى أمن ، ومن رخاء إلى شدة ومن شدة إلى رخاء ، ومن عزٍّ إلى ذل ومن ذلٍّ إلى عز ، ومن سقم إلى صحة ومن صحة إلى سقم .

ثم ختم الله -وَعَلَى- هذه الآية بقوله : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ** ﴾ يعني أنّ كل ما تقدم من إزجاء السحاب والتأليف بينه وجعله متراكماً ، وإخراج الودق من خلاله ، والإصابة به من يشاء وصرفه عمن يشاء ، وكون برقه يخطف الأبصار ، وتقلب الليل والنهار ﴿ **لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ** ﴾ لدلالة يعتبر بها كل من له بصيرة ، واللام في قوله : ﴿ **لَعِبْرَةً** ﴾ للتأكيد .

من عجائب خلق الحيوان وبديع صنعته :

ثم ذكر الله ﷻ دليلاً آخر على قدرته ووحدانيته ، قال الله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ** ﴾ أي والله خلق كل حيوان يدبُّ على الأرض من ماء ، ومادة هذا الماء ماء النطفة ، ﴿ **فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ** ﴾ كالحيات وغيرهما من الزواحف التي سمى حركتها مشياً مع كونها تزحف زحفاً ، إشارة إلى كمال القدرة وأنها على عدم وجود آلة المشي كأنها تمشي ﴿ **وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ** ﴾ كالإنسان والطير ﴿ **وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ** ﴾ كالأنعام والوحوش .

ولم يذكر سبحانه ما يمشي على أكثر من ذلك كالعناكب وغيرها من الحشرات ، لدخوله في قوله : ﴿ **يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** ﴾ مما ذكر ومما لم يذكر من الجمادات وغيرها ، مع الاختلاف في الصور والأعضاء والحركات والطباع والأفاعيل .

ثم ختم هذه الآية بقوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ ليؤكد قدرته على كل شيء ، والقدرة هي التمكن من الشيء دون عجز .

الصراط المستقيم :

قال الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ** ﴾ أي القرآن العظيم فإنه قد اشتمل على بيان كل شيء من العقائد والأحكام والأخبار والمواعظ ، ﴿ **وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ بتوفيقه للنظر الصحيح وإرشاده إلى التأمل الصادق ﴿ **إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ إلى طريقٍ مستوي لا عوج فيه فيتوصل بذلك إلى الخير التام وهو نعيم الجنة .

وقد أمرنا أن نسأل الله -عز وجل- الهداية إلى الصراط المستقيم في كل ركعة من ركعات الصلاة في سورة الفاتحة ، لما في ذلك من السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة .

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عظمة الله -عز وجل- وأن كل من في السماوات والأرض يسبح له .
- ٢- الآية العظيمة في تمكين الطير من الطيران .
- ٣- تعليم الله -عز وجل- لكل مخلوق صلاته وتسبيحه .
- ٤- بيان بعض آيات الله -عز وجل- من إنزال المطر والبرد وسوق السحاب وتأليفه وتراكمه وتقلب الليل والنهار .
- ٥- من ينتفع بهذه الآيات هم أهل العقول السليمة .
- ٦- بيان قدرة الله -عز وجل- الباهرة وحكمته الظاهرة في خلق كل دابة من ماء .
- ٧- إن أقوم الطرق وأعدلها وأقربها للسعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة هو طريق الله -عز وجل- .

من القيم المستفادة :

- تعظيم الله -عز وجل- .
- التأمل .
- اتباع الحق .



التقويم

السؤال الأول : ما العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ؟

.....

.....

السؤال الثاني : اختر من الآيات الكريمة دليلاً واحداً يدل على وحدانية الله - عَزَّوَجَلَّ - ثم اكتب وجه الدلالة فيه :

.....

.....

السؤال الثالث : ما نوع الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ . . ﴾ ؟

.....

.....

السؤال الرابع : علّل : تخصيص الطير بالذكر رغم أنها تدخل ضمن المخلوقات :

.....

.....

السؤال الخامس : وضح نوعي الهداية على ضوء دراستك للآيات :

.....

.....



تذبذب المنافقين وثبات المؤمنين

سورة النور الآيات (٤٧ - ٥٤)

تمهيد :

حذرنا الله - ﷻ - في كتابه العظيم في غير موضع من شرّ عظيم وخطر جسيم وفساد عريض ، وخافه علينا نبينا - ﷺ - ألا وهو النفاق وأهله وهو إظهار الخير وإبطان الشر ، وقد وصفهم الله تعالى بصفات كثيرة يتجلى فيها المنافق ومن اتخذ النفاق مسلكاً يسير فيه .

والنفاق في كل زمان ومكان داء خطير ، ومصدر فساد وإفساد ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٢) ﴿ (١) .

ومن قبيح خصالهم استخفافهم بأمر الله ﷻ وأمر رسوله - ﷺ - ، ومخادعتهم لله - ﷻ - ، وعدم رضاهم بحكم الله ورسوله ومعارضة ذلك بآرائهم الفاسدة وأقوالهم الكاسدة .

قال تعالى

وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ
بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ
الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ
أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ
يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ	صدّقنا بالله وبالرسول
وَأَطَعْنَا	انقذنا ، والطاعة موافقة الطلب
ثُمَّ يَتَوَلَّى	ثم يُعْرِض ، والتوليّ الإعراض عن الشيء
مُذْعِنِينَ	منقادين طائعين ذليّين ، والإذعان : سهولة الانقياد
أَنْ يَحِيفَ	الحيف : الجور والظلم
وَيَخْشَى اللَّهَ	الخشية : هي الخوف ولكنها خوف مبنيّ على علم وتعظيم وإجلال
وَيَتَّقِهِ	من الوقاية بأن جعل بينه وبين عذاب الله وقاية بفعل الطاعة وترك المعصية
إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ	اسم من أسماء الله تعالى ، من الخبرة وهي أخص من العلم وهي معرفة بواطن الأمور ودقائقها
أَلْبَلَغُ الْمُبِينِ	التبليغ الواضح أو الموضح

الشرح الإجمالي للآيات :

قال الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ في الآيات السابقة ذكر الله -عزّ وجلّ- المؤمنين وما هم عليه من صفات جليلة وأعمال عظيمة ، وذكر الكافرين وما هم عليه من ظلمات الجهل والكفر والضلال ، وشرع هنا بيان من لم تحصل له الهداية إلى الصراط المستقيم من القوم المذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء

ولا إلى هؤلاء وهم المنافقون ، ذلك المرض العضال ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ ﴾ أي يقول المنافقون مرضى القلوب وضعاف الإيمان بألستهم صدقنا بالله وبالرسول ﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ أي انقدنا بجوارحنا لله ولرسوله بفعل الأوامر واجتناب النواهي . وهذا كله مجرد قول باللسان لا عن اعتقاد صحيح .

ولذلك كان من حالهم أنهم ﴿ ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ أي ثم يُعرض فريق منهم عن الإيمان الصحيح والطاعة المطلقة لله ولرسوله من بعد قولهم ﴿ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴾ .

ثم حكم الله عليهم بعدم الإيمان فقال تعالى : ﴿ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ فليسوا بمؤمنين على الحقيقة وذلك أنهم يقولون ما لا يفعلون .

حقيقة إعراض المنافقين :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾

قال المفسرون : هذه الآية والتي بعدها نزلتا في (بشر) المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض ، فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله - ﷺ - ليحكم بينهما ، وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول : إن محمداً يحيف علينا .

بين الله - ﷻ - وتولي المنافقين بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ أي وإذا دُعي هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسوله ليحكم بينهم فيما اختصموا فيه بحكم الله ، أعرضوا عن قبول الحق واستكبروا عن اتباع حكمه لأنهم علموا أنّ محمداً - ﷺ - لا يحكم إلا بالحق .

وفي تصدير الآية بقوله : ﴿ وَإِذَا ﴾ الفجائية دليل على استكبار هؤلاء وعنادهم وأنهم يفاجئون من دعاهم بالإعراض إن كان الحق عليهم .

أما إن كان الحق لهم فإنهم يأتون إليه ﴿ مُّذْعِنِينَ ﴾ أي منقادين و مطيعين وخاضعين لعلمهم أنّ الرسول - ﷺ - لا يضيع الحق عنده ، فإذا عانهم لم يكن عن اعتقاد أنّ حكمه الحق ، بل لأنه وافق هواهم ، ومن جرّاء هذا لما خالف الحق قصدتهم عدلوا عنه إلى غيره .



ثم فصل ما يحتمل أن يكون هو السبب في عدولهم عن قبول حكمه - ﷺ - بقوله : ﴿ **أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ** ﴾ أي : أسبب إعراضهم عن المحاكمة إليه - ﷺ - أنهم مرضى القلوب بالكفر والنفاق ، أم سببه أنهم ارتابوا وشكوا في نبوته - ﷺ - رغم ظهور أمرها ، أم سببه أنهم يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم . وكل هذه الأسباب كفر وضلال والله عليهم بما انطوت عليه قلوبهم من المرض .

والاستفهام في قوله : ﴿ **أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ** . . . ﴾ للتوبيخ والتفريع والإنكار . والمراد بالمرض هنا مرض الشبهة والشك والنفاق .

ثم ختم الله - ﷻ - هذه الآية بالسبب الحقيقي لإعراضهم ، قال تعالى : ﴿ **بَلْ أَوَّلَتْكَ هُمْ الظَّالِمُونَ** ﴾ فهم بهذا العمل قد بلغوا الغاية في الظلم ، ولهذا أكد وصفهم بالظلم بضمير الفصل ﴿ **هُم** ﴾ .

والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه على سبيل العدوان والتعدي .

قال القرطبي - رحمه الله - : « وفي الآية دليل على وجوب إجابة الداعي إلى الحاكم ، لأن الله سبحانه ذم من دعي إلى رسوله - ﷺ - ، ليحكم بينه وبين خصمه بأقبح ذم » والمراد بالحكام هم الذين يقومون بالقضاء بين الناس والفصل فيما بينهم ، وهم العارفين بالكتاب والسنة العادلين في حكمهم .

حال من اهتدى :

بعد أن ذكر الله - ﷻ - حال المنافقين وما هم عليه من قبيح الأفعال والصدود أعقب ذلك بيان ما عليه أهل الإيمان وحالهم إذا دُعوا إلى حكم الله ورسوله ، ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** ﴾ فهم سريعو الاستجابة والانقياد لحكم الله ورسوله - ﷺ - طاعة لله ورغبة فيما عنده من ثواب ، وهم بهذا بخلاف من قال : ﴿ **سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** ﴾ ^(١) و ﴿ **إِنَّمَا** ﴾ أداة حصر وقصر .

ثم أثنى الله -ﷻ- عليهم بقوله : ﴿ وَأُولَئِكَ ﴾ أي المؤمنون الذين قالوا هذا القول ﴿ هُمْ ﴾ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي الفائزون بخيري الدنيا والآخرة .

وفي الآية أمرٌ بقبول حكم الله ورسوله وأن ينشرح صدر المؤمن له وإن كان عليه فبذلك فوزه وفلاحه .

ثم أردف الله -ﷻ- الثناء عليهم بشيء آخر ، حيث سلكوا المسلك الصحيح والمنهج القويم فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ ﴾ وهذه الجملة مُقرّرة لما قبلها من حسن حال المؤمنين ، وترغيب من عداهم إلى الدخول في عدادهم والمتابعة لهم في طاعة الله ورسوله فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه ، والخشية من الله -ﷻ- فيما صدر منه من الذنوب ، فيحمله ذلك على التقوى في مستأنف أموره ، والتقوى هي جامع الخيرات وأصل صلاح العبد .

وقد قرأ حفص ﴿ وَيَتَّقْهُ ﴾ بإسكان القاف على نية الجزم ، وقرأ الباقون من القراء بكسرها . ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ أي أولئك الذين وُصفوا بكل هذا هم الفائزون برضاه عنهم يوم القيامة ، والأمينون من عذابه .

من كذب المنافقين :

ثم ذكر الله -ﷻ- لونا آخر من أكاذيب المنافقين ونوعاً من إغراضهم عن الاستجابة لله ورسوله -ﷺ- ، قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ أي وحلفوا جاهدين أيمانهم بالغين غايتها لئن أمرتهم بالخروج للجهاد والغزو ليلبُنَّ الطلب وليخرجنَّ كما أمرت ، فرد الله -ﷻ- عليهم وزجرهم عن التّفوّه بهذه الأيمان الفاجرة وأمره أن يقول لهم : ﴿ لَا نَقْسِمُكُمْ ﴾ أي : لا تحلفوا فإن العلم بما أنتم عليه لا يحتاج إلى قسم لوضوح كذبه .

وفي الآيات ذكر جملة من صفات المنافقين ، منها : القول بلا عمل ، والمماطلة والتسويف ، والدعوة الكاذبة ، وكل هذه الصفات يمقتها الله وينهى عنها ، ويؤخذ من هذا أنه لا ينبغي القسم إذا لم تدعُ إليه حاجة .



ثم قال تعالى : ﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ أي يجب عليكم إذا أمرتم أن تطيعوا ولا حاجة إلى أن تقسموا فالطاعة أولى من قسمكم فلا تقسموا لأن طاعتكم معروفة لنا ، فهي طاعة باللسان فحسب من غير مواطاة القلب لها ، ولا يجهلها أحد من الناس .

ثم ختم الله - ﷻ - هذه الآية بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فإن الله تعالى مطلع على ما تضمرونه من أعمال ، فهو سبحانه لا تخفى عليه خافية من ظاهر أعمالكم وخافيتها ، فيعلم ما تظهرونه من الطاعة المؤكدة بالآيمان الكاذبة ، وما تبطنونه من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين ونحو ذلك من أفانين الشر والفساد التي دبّرتوها .

الاهتداء بالكتاب والسنة :

ثم أمر الله - ﷻ - نبيه - ﷺ - أن يأمرهم بطاعة الله ورسوله فقال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ طاعة ظاهرة وباطنة واعتقاداً خالصاً وصحةً نيةً ، وهذا التكرير منه تعالى لتأكيد وجوب الطاعة عليهم . ثم أكد الأمر وحمل عليه بالترغيب والترهيب بقوله : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ﴾ أي فإن تولوا عن الطاعة بعد أن أمركم الرسول بها فما ضررتم الرسول - ﷺ - بشيء بل ضررتم أنفسكم ، لأنه عليه ما أمر به من التبليغ وقد بلغ ، وعليكم ما أمرتم به من الطاعة ؛ فإن أنتم لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم أنفسكم لسخط الله - ﷻ - وعذابه وإن أطعتموه فقد خرجتم من الضلال إلى الهدى .

ولهذا قال : ﴿ وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَغُ الْمُبِيتُ ﴾ أي وإن تطيعوا الرسول فيما أمركم به ونهاكم عنه ، تهتدوا إلى الحق الموصل إلى كل خير في الدنيا والآخرة المنجّي من كل شر وما الرسول لكم إلا ناصح هادٍ مبلغ .

وقوله : ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَغُ الْمُبِيتُ ﴾ مقرّرة لما قبلها ، والألف واللام في الرسول للعهد فيراد بهما نبينا - ﷺ - .

والآية دليل على حُجّة السنة الثابتة وأنها مثل القرآن في وجوب الأخذ عنها ؛ قال النبي - ﷺ - : « أَلَا إِنِّي أُتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ » أي السنة ^(١) .

(١) رواه أبو داود في السنن (٤٦٠٤) والترمذي في العلم (٢٦٦٤) .

قال أبو عثمان النيسابوري -رحمه الله- : « من أَمَرَ السُّنَّةَ على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أَمَرَ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ » .

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما عليه أهل النفاق من التردّد والتذبذب ومخالفة الظاهر للباطن .
- ٢- أنّ من صفات غير المؤمنين عدم الاستجابة لله -عزّ وجلّ- ولرسوله -صلّى الله عليه وسلّم- .
- ٣- جمع المنافقون بين مرض القلوب والظلم .
- ٤- وجوب الانقياد لأمر الله -عزّ وجلّ- ورسوله -صلّى الله عليه وسلّم- .
- ٥- بيان فضل من استجاب لأمر الله -عزّ وجلّ- ورسوله -صلّى الله عليه وسلّم- بأنهم مخلصون فائزون .
- ٦- من أبرز صفات المنافقين تركهم الجهاد مع القدرة عليه .
- ٧- طاعة الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- من طاعة الله -عزّ وجلّ- .
- ٨- حصول الاهتداء في الدنيا والآخرة باتّباع السنة .
- ٩- أقام الله -عزّ وجلّ- الحجة بتبليغ النبي -صلّى الله عليه وسلّم- البلاغ المبين .

من القيم المستفادة :

- بُغض النفاق وأهله .
- الاستجابة لله ولرسوله -صلّى الله عليه وسلّم- .
- تعظيم السنة .



التقويم

السؤال الأول : وضح خطر النفاق على المجتمع المسلم :

.....

.....

.....

السؤال الثاني : استخرج من آيات الدرس صفات المنافقين وخصالهم :

- ١ -
- ٢ -
- ٣ -

السؤال الثالث : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة ، وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- في قوله : ﴿ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ نفى عنهم الإيمان الكامل . ()
- ٢- المراد بمرض القلب في الآيات مرض الشك والشبهة والنفاق . ()
- ٣- نوع الاستفهام في قوله : ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ للتقرير . ()
- ٤- ﴿ إِنَّمَا ﴾ أداة حصر وقصر . ()

السؤال الرابع : علام يدل تصدير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ بـ ﴿ إِذَا ﴾ الفجائية ؟

.....



الرفعة والتمكين لهذه الأمة

سورة النور الآيات (٥٥ - ٥٧)

تمهيد :

يتميز المؤمنون الصالحون في جميع أحوالهم بأنهم رسل هداية ودعاة صلاح وإصلاح ، يعبدون الله -عز وجل- بقلوب صادقة وأعمال صالحة ويتجنبون الشرك صغيره وكبيره ويحذرون منه ، ويطيعون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم- .

ويبتعدون عن كل فساد وإفساد وتخريب وإهانة ، وبهذه الأوصاف أقام الله -عز وجل- لهم الدين والدنيا معاً ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٤١) (١) .

بهذا ساد القوم ، و بهذا ارتفعت الأمة ، بهذا انخذل أعداؤها ، بهذا أعز الله تعالى الدين وأهله فحريّ بنا أن نعود إلى الله -عز وجل- بالإيمان والعمل الصالح ونحاسب أنفسنا ، ونصلح أحوالنا ، ونصدق مع الله -عز وجل- .

قال تعالى

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا

الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَاؤُهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
وَعَدَ	تعهد
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ	ليجعلنهم في الأرض خلفاء
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ	التمكين : التثبيت والتقرير والتأييد والتقوية
الْفَاسِقُونَ	جمع فاسق ، والفسق : الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ	أي أدوا الصلاة على الوجه المطلوب المعتدل
وَءَاتُوا الزَّكَاةَ	أعطوها للمستحقين
لَا تَحْسَبَنَّ	لا تظنن
وَلَيْسَ الْمَصِيرُ	أسلوب ذم ، أي : بئس المرجع والمآب الذي يصيرون إليه

سبب النزول :

عن أبي بن كعب -رضي الله عنه- قال : لما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه المدينة وأوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة كانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه ، فقالوا : ترون أننا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله ، فنزلت : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ يَعْنِي بِالنِّعْمَةِ ﴾ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ .

(١) رواه الحاكم كتاب التفسير (٢ / ٤٠١) وصححه ووافقه الذهبي .

الشرح الإجمالي للآيات :

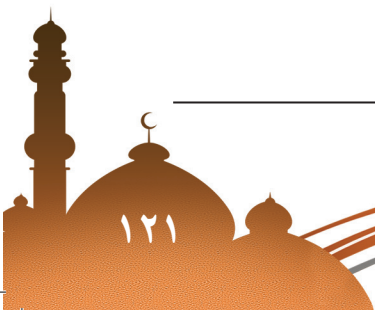
الوعد الحق :

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ هذا وعد من الله سبحانه لمن آمن بالله وعمل الأعمال الصالحة بأن يجعلهم خلفاء لغيرهم في الأرض حاكمين في أهلها سائدين سكانها ، ﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ كاستخلاف الذين من قبلهم من بني إسرائيل ، حيث أجلى الكنعانيين العمالقة من أرض القدس وورثها بني إسرائيل ، وهذا الوعد يعم جميع الأمة وذلك بأن يجعلهم خلفاء يخلفون غيرهم في أرض الله ، ثم قال : ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ والتمكين التثبيت والتقوية ، وهو الإسلام فيظهره على الدين كله ويظهره على سائر الأديان ويحفظه من التغيير والتبديل و الزوال إلى قرب الساعة ، وهذا الدين الذي ارتضاه الله - ﷻ - لهذه الأمة لفضلها وشرفها ونعمته عليها بأن يتمكنوا من إقامته وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة في أنفسهم وفي غيرهم ، وعن تميم الداري - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « ليلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر » ^(١) وكان تميم الداري يقول قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية .

ثم قال الله تعالى : ﴿ وَلَيَسْبِدَنَّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ وهذا أيضاً من وعوده الصادقة سبحانه لأهل الإيمان والعمل الصالح ، من بعد أن كان أحدهم لا يتمكن من إظهار دينه وما هو عليه من خوف ورهبة من أذى الكفار ، ولا شك أن الخائف لا يأمن على دينه ولا على نفسه ولا على ماله ولا على عرضه .

ولا شك أن الأمن من أكبر النعم وأعظم أسباب السعادة ؛ فبالأمن تتحقق أمور الدين والدنيا .

(١) مسند أحمد - مسند الشاميين - باب « ليلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ... » (١٦٥٠٩)



أسباب الرفعة والسناء والأمن :

ثم ذكر الله -ﷻ- ما به نهضة الأمة ورفعتها وسناها وأمنها وهو الإيمان والعمل الصالح ، هي العبادة وإقامة التوحيد ، فمتى ما أخل المسلمون بذلك أدال الله عليهم الكفار والمنافقين ، وفي هذا تنبيه للدعائم التي تقوم عليها الدولة الإسلامية والركائز التي تنهض بها وترتفع على غيرها ، ليس لنا ونحن في وقت كثرت فيه الفتن واختلقت فيه العقائد والمفاهيم إلا أن نعود إلى الله حقاً ونراجع أنفسنا صدقاً ، وأن لا نصر لنا ولا قيام إلا بنصر دين الله والقيام بما أمر الله .

وأسباب النصر وركائز القوة بقوله تعالى : ﴿ **يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكْ بِي شَيْئاً** ﴾ وهذا معنى النفي والإثبات في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) نفي جميع ما يعبد من دون الله ، وإثبات العبادة لله وحده .

والعبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة .

والشرك : صرف حق لله تعالى لغيره ، والشرك شركان : شرك أكبر وهو الذي يُخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار إن مات عليه ، وهو شرك المقاصد كالذبح والنذر لغير الله تعالى .
وشرك أصغر وهو الذي لا يُخرج من الملة ولكن صاحبه على خطر وهو شرك وسائل وذرائع للشرك الأكبر كيسيّر الرياء والحلف بغير الله ونحو ذلك .

ثم بعد هذا الوعد الصادق العظيم أتبع ذلك بالتهديد والوعيد لمن كفر بعده ، فقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ أي ومن كفر بعد هذا التمكين والسلطة التامة فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله وطاعة رسوله -ﷺ- ، ثم زاد في بيان صلاح الأعمال والأحوال وما يكون سبباً في النصر والتمكين ، قال تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ وخصّهما بالذكر لمزيتهما بين الطاعات ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ وكرر الأمر بطاعة الرسول -ﷺ- للتأكيد ، وخصّه بالطاعة لأن طاعته طاعة لله ، ولم يذكر ما يطيعونه فيه لقصد التعميم ، يعني يطاع في كل شيء . ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ** ﴾ أي افعلوا ما ذكر من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول -ﷺ- راجين أن يرحمكم الله سبحانه . فهذه الطاعات سبب عظيم لنيل رحمة الله -ﷻ- .

إمهال الكافرين :

قال الله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٥٧) لا تظنن أن هؤلاء الكافرين معجزين الله تعالى أو أنهم سيفوتونه فلا يدركهم أو يفلتون من عذابه أو يعملون ما يعجزه ، فلا يغرك ما مُتّعوا به في الحياة الدنيا فإن الله تعالى وإن أمهلهم فإنه لا يمهّلهم ، ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ ﴾ فالنار هي مآلهم و مرجعهم ﴿ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴾ الواو : للقسم ، واللام موطئة له ، والتقدير : والله لبئس المصير ؛ أي : بئس المآل مآل الكافرين مآل الشر والعقوبة الأبدية .

ومن هذه الآية الكريمة نستفيد أمراً مهماً وهو عدم الاغترار بما عليه الكفار من يهود ونصارى ومشركين من زخارف الحياة والتطور الهائل والتقدم في الحياة الدنيا ، بل على المرء المسلم أن يحسن الظن بربه ويعلم أن هؤلاء حريصون تمام الحرص على هذه الحياة الفانية الزائلة .

من هداية الآيات :

- ١- بيان الوعد الصادق للذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف في الأرض والتمكين والأمن .
- ٢- الإيمان قول وعمل واعتقاد .
- ٣- الترغيب في الإيمان والعمل الصالح .
- ٤- الدين الإسلامي هو الدين الذي رضيّه الله -ﷻ- لعباده ؛ فلا يقبل ديناً سواه .
- ٥- قبح الكفر وبشاعته وأنه من أعظم أنواع الفسق .
- ٦- عظم شأن الصلاة والزكاة .
- ٧- وجوب طاعة الرسول -ﷺ- فيما أمر به أو نهى عنه .
- ٨- رحمة الله تعالى لا ينالها إلا المطيعون لله ولرسوله -ﷺ- .
- ٩- وعيد الله ﷻ للكافرين وقهره لهم وغلبته عليهم .
- ١٠- النار لا تدخلها نفس طيبة مؤمنة .



من القيم المستفادة :

- الرغبة في الخير .
- حبُّ العمل الصالح .
- شكر النعم .



التقويم

السؤال الأول : أجب عما يأتي :

١- ما مقومات الدولة الإسلامية ؟

.....

.....

٢- ما سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ؟

.....

.....

السؤال الثاني : عرّف ما يأتي :

١- العبادة :

.....

٢- الشرك :

.....

السؤال الثالث : علّل ما يأتي :

١- تكرار الأمر بطاعة الرسول - ﷺ - .

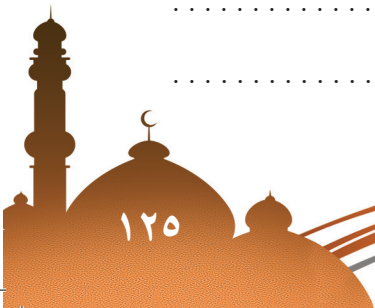
.....

.....

٢- الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول - ﷺ - .

.....

.....



السؤال الرابع :

١- استخرج حقيقة من قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَكَ فِي الْأَرْضِ وَمَاؤْنَهُمُ النَّارُ وَلَيْئَسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٥٧) :

.....

.....

٢- استخرج قيمة مستفادة ومظهرين سلوكيين من قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٥٦) :

القيمة المستفادة :

المظاهر السلوكية :

.....

.....



من الآداب الرفيعة

سورة النور الآيات (٥٨ - ٦٠)

تمهيد :

من محاسن الدين ومفاخر الإسلام ومن أصول الشريعة ما أدبنا الله -ﷻ- به من آداب اجتماعية سامية ومثل إنسانية رفيعة ، مما يدل على أن الإسلام الدين العظيم رسالة فضائل وآداب وعقائد وأحكام ينشأ عليها الصغار ويعتادون عليها ويأمر بها الكبار ويفتخرون بها ، وما هذه التشريعات النبيلة إلا للسمو بالإنسان إلى كمال الأخلاق ورفيع الآداب .

ومن جملة الآداب التي أدبنا ربنا -ﷻ- بها الاستئذان في أوقات مخصوصة حتى لا ينكسر حاجز الحياء بين أهل البيت الواحد .

وفي الآيات التالية جملة من هذه الآداب التي شرعها الله -ﷻ- للمؤمنين .

قال تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
لَيْسَتَّعْزِدُنكُمْ	الاستئذان : طلب الإذن
الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ	الإماء والعبيد
الْحُلُمُ	البلوغ والاحتلام
مِّنَ الظَّهْرِ	وقت القيلولة ، وهو وقت راحة واستجمام
عَوْرَتِي	جمع عورة : وهي في الأصل كل ما يُستحيى من كشفه
جُنَاحٌ	حرج وضيق وإثم
طَوَافُونَ	جمع طَوَّاف ، وهو الذي يدور على أهل البيت للخدمة
وَالْقَوَاعِدُ	جمع قاعد ، وهن العجائز
لَا يَرْجُونَ	لا يرغبون ولا يطمعون فيه
بِكُلِّ	زواجاً
غَيْرَ مُتَبَرِّجَتٍ	غير كاشفات لما يجب ستره ولا متزينات

سبب النزول :

رُوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : وجّه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غلاماً من الأنصار يُقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وقت الظهيرة ليدعوه فدخل ، فرأى عمر بحالةٍ كره عمر رؤيته على ذلك ، فقال : يا رسول الله ؛ وددت أنّ الله تعالى أمرنا ونهانا في حال الاستئذان ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

الشرح الإجمالي للآيات :

الاستئذان للدخول :

ينادي الله -عز وجل- أهل الإيمان بأعظم وصف وهو وصف الإيمان وما في هذا النداء من العناية

و الرعاية والتشريف والتكريم ولهذا قال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - : « إذا سمعت الله يقول : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ فأرعها سمعك فإنه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه » .

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يا من صدّقوا الله ورسوله وأيقنوا بشريعة الله ﴿ لِيَسْتَعِزَّذَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾ ليطلب منكم الإذن في الدخول عليكم هؤلاء العبيد والإماء الذين تملكونهم بملك اليمين ، وكذلك الأطفال الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال الأحرار في ثلاث أوقات وهي ﴿ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ﴾ وهي ساعات النوم من الليل ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ ﴾ وقت القيلولة ﴿ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ﴾ بداية نوم الليل إلا بإذن منكم ، لأن هذه الأوقات أوقات خلودكم إلى النوم والراحة وهي أوقات يختل فيها تستركم والتكشف فيها غالب .

ولهذا قال تعالى : ﴿ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ﴾ أي هذه الأوقات مظنة انكشاف العورات والاطلاع عليها ، والعورة هي كل ما لا يحب الإنسان أن يطلع عليه ويحرم النظر إليها . والخطاب في هذه الآية موجه إلى الأولياء والسادة .

ثم قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ﴾ أي ليس عليكم أيها الأولياء وأيها السادة ولا عليهم يعني الممالك والأطفال حرج ولا إثم بعد هذه الأوقات الثلاثة في دخولهم عليكم بلا استئذان .

وفي الآية إشارة إلى أن الولي أو السيد يأثم إذا فرط في هذا الأمر ، ولم يعلم الأطفال ولا الممالك ولم يريهم على هذا الأدب .

ثم علّل الله - عز وجل - هذه الإباحة بقوله : ﴿ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي ليس عليكم ولا عليهم حرج ولا إثم في دخولهم بلا استئذان في غير الأوقات الثلاثة لأنهم طوافون عليكم للخدمة ؛ وهذا فيه دلالة على قاعدة من قواعد الشرع وهي أن المشقة تجلب التيسير لأنه لو طُلب منهم الاستئذان في كل وقت لشق ذلك عليهم .

بيّن الله - عز وجل - لعباده أحكام دينهم ؛ فقال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي ومثل هذا التبيين لتلك الأحكام والآداب يبين الله لكم شرائع الدين وأحكامه ،

والله عليم بما يُصلح أحوال عباده حكيم في تدبير أمورهم فيشرّع لهم ما يُصلح أحوالهم في
الممات والمعاد .

البالغون الأحرار :

ولما بين الله تعالى حكم المماليك والأطفال الصغار أتبعه بحكم البالغين الأحرار بقوله تعالى :
﴿ **وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا** ﴾ أي وإذا بلغ الأطفال من أولادكم وأقربائكم
الأحرار سن الاحتلام أو بلوغ خمس عشرة سنة (وهناك علامات أخرى للبلوغ منها ما يخص
الذكور وأخرى للنساء ذكرها أهل العلم في كتب الفقه) فلا يدخلوا عليكم في كل حين إلا
بإذن ، لا في أوقات العورات الثلاث ولا في غيرها ﴿ **كَمَا أَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾ أي
كما يستأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه حين الدخول .

ولم يذكر الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية المماليك لأن حكم ما ملكت اليمين واحد ، كبارهم
وصغارهم ، وهو الاستئذان في الساعات الثلاث ، ثم أكد نعمه عليهم ببيان أحكام الدين بقوله :
﴿ **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ أي كما بين لكم ما ذكر غاية البيان
يبين لكم ما فيه سعادتكم في دنياكم وآخرتكم وهو العليم سبحانه بأحوال خلقه ، الحكيم فيما
يدبر لهم .

القواعد من النساء :

ذكر الله -عزّ وجلّ- حكم القواعد من النساء وهن العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والولادة
لكبر سنهن ، قال تعالى : ﴿ **وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا** ﴾ أي لا يطمعن في الزواج
لكبرهن فلا يرجون نكاحاً ولا يرجى منهن ﴿ **فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ** ﴾
أي ليس عليهن إثم ولا حرج في أن تضع خمارها من فوق رأسها أو عباءتها من فوق ثيابها التي
تكون على ظاهر البدن كالجلباب ونحوه ، وإنما جاز لهن ذلك لانصراف الأنفس عنهن إذ لا رغبة
للرجال فيهن ، فأباح الله سبحانه لهن ما لم يباح لغيرهن ، ثم استثنى حالة من حالاتهن فقال :
﴿ **غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ** ﴾ أي غير مظهرات للزينة التي أمرن بإخفائها ولا متعرّضات بالتزين
لينظر إليهن الرجال .

ثم قال : ﴿وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ﴾ أي ومن لازمت خمارها ولم تظهر للأجانب كاشفة وجهها ومحاسنها ﴿خَيْرٌ لَهُمْ﴾ أي خير لها حالاً ومالاً ، فحسبها أن يختار الله -عز وجل- لها فما أختاره لها الله -عز وجل- لن يكون إلا خيراً في الدنيا والآخرة ، فللمؤمنات أن يخترن ما اختاره الله -عز وجل- لهن ، فهذا الحكم لهن رخصة من الله -عز وجل- وتخفيفاً عنهن ، إذ لم يوجب عليهن ما أوجبه على غيرهن من التستر التام .

ثم ختم الآية باسمين عظيمين من أسمائه الحسنى فقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ سميع لجميع الأقوال والأصوات ﴿عَلِيمٌ﴾ بجميع الأحوال والأعمال لا تخفى عليه خافية ؛ وهذا يورث المؤمن تقوى الله -عز وجل- واجتناب ما يسخطه سبحانه .

من هداية الآيات :

- ١- وجوب تعليم الآباء والسادة الاستئذان للأطفال والخدم .
- ٢- عناية الله -عز وجل- بأهل الإيمان والعمل الصالح .
- ٣- بيان أن غير المكلف لا يوجه له الخطاب ، ولذلك وجه الله -عز وجل- الخطاب إلى الأولياء .
- ٤- حرمة النظر إلى العورات .
- ٥- الإشارة إلى وجوب استئذان البالغين عند الدخول على أهليهم من الرجال والنساء في جميع الأوقات .
- ٦- ذكر منة الله -عز وجل- على عباده بأن بين لهم الأحكام والآداب .
- ٧- إثبات أسماء الله الحسنى : العليم ، الحكيم ، السميع .
- ٨- رخص للقواعد أن يضعن ثيابهن من غير قصد التبرج بالزينة .
- ٩- الإشارة إلى مراقبة الله -عز وجل- في جميع الأحوال والأعمال والأقوال .

من القيم المستفادة :

- التأدب بآداب الشرع .
- الاعتزاز بأحكام الدين .
- مراقبة الله -عز وجل- .



التقويم

السؤال الأول : ضع من مفردات الآيات الكريمة ما يتوافق مع المعاني في الجدول الآتي :

المعاني	مفردات الآيات الكريمة
الإماء والعبيد	
وقت القيلولة	
يدورون على أهل البيت للخدمة	
حرج وضيق وإثم	

السؤال الثاني : علّل ما يأتي :

١ - مشروعية الاستئذان في أوقات مخصوصة :

.....

٢ - دخول الأطفال والمماليك بلا استئذان في غير الأوقات الثلاثة :

.....

السؤال الثالث : استخرج من آيات الدرس ما يتوافق مع المعنى التالي :

- رفع الشرع الإثم والخرج عن النساء الكبيرات في السن بوضع ثيابهن دون تبرج أو زينة .

قال تعالى :



السؤال الرابع : استخرج قيمة مناسبة ومظاهرها السلوكية من الآية رقم ﴿ ٥٨ ﴾ :

القيمة :

المظاهر السلوكية :

١-

٢-



آداب وأحكام

سورة النور الآية (٦١)

تمهيد :

من عظيم نعم الله تعالى على عباده وامتنانه عليهم أن شرّع لهم من الأحكام والآداب التي تكمل لهم تماسكهم وتنشر بينهم المحبة والوئام والترابط والصلة ، ومن ذلك التواضع وإفشاء السلام ونشره ، وغير ذلك مما فيه تقوية للمجتمع المسلم وسلامته من كل عوائق ينشأ عنها التفرق والخصام ، والآيات التالية فيها أيضاً من الآداب والأحكام ما من شأنه تقوية أو اصر القربة والصداقة وإزالة الكلفة ، والدعوة إلى المؤانسة والانبساط ، وفي هذه الإباحة رفع للحرَج والتيسير على المسلمين .

قال تعالى

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَمَتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
الْأَعْمَى	فاقد البصر
حَرْجٌ	ضيق
الْأَعْرَجُ	هو الذي لا يمشي مشياً مستقيماً
مَفَاتِحُهُ	جمع مفتاح وهو ما تفتح به أغلاق الأبواب والخزائن والكنوز
جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً	مجتمعين على الطعام أو متفرقين
مُبْرَكَةً	من البركة وهي النماء والزيادة
طَيِّبَةً	حسنة جميلة

سبب النزول :

قال سعيد بن جبیر : كان العرجان والعميان يتنزّهون عن مؤاكلة الأصحاء ، لأن الناس يتقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم ، وكان أهل المدينة لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا أعرج ولا مريض تقذراً ، فأنزل الله -ﷻ- هذه الآية . وقال مجاهد : نزلت هذه الآية ترخيصاً للمرضى والزمنى في الأكل من بيوت من سمى الله -ﷻ- في هذه الآية ، وذلك أنّ قوماً من أصحاب رسول الله -ﷺ- كانوا إذا لم يكن عندهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمى الله -ﷻ- في هذه الآية ، وكان أهل الزمانة يتحرّجون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنه من أطعمهم غير مالكيه ، ويقولون : إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم ، فأنزل الله -ﷻ- هذه الآية .

الشرح الإجمالي للآيات :

رفع الحرج :

تحرّج المسلمون عن مؤاكلة الأعمى لأنه لا يبصر موضع الطعام الطيب ، والأعرج لأنه لا

يستطيع المزاحمة على الطعام ، والمريض لأنه لا يستطيع استيفاء الطعام فَكَّرَ هُوَا أَنْ يُؤَاكِلُوهُمْ لِيَلَّا يَظْلِمُوهُمْ فَقَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- رَفْعًا لِلْحَرَجِ أَنَّهُ ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ مَبِينًا أَنَّ لَيْسَ عَلَى أَهْلِ الْأَعْذَارِ وَذَوِي الْعَاهَاتِ حَرَجٌ أَنْ يَأْكُلُوا مَعَ الْأَصْحَاءِ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ وفي هذا توطئة وتمهيد لما بعده إذ جاز للإنسان أَنْ يَأْكُلَ مِنْ بَيْتِهِ أَصْلًا ، وكذلك قوله : ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ يشمل بيوت الأولاد لأن بيوت الأولاد كبيوتهم ولهذا لم يذكر بيوت الأولاد ، ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ﴾ أي وليس عليكم أيها المؤمنون حرج أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بَيْتِ أَقْرَبَائِكُمْ وَهُمْ مَعْرُوفُونَ ، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ أي : البيوت التي أنتم متصرفون فيها بوكالة ، أو ولاية ونحو ذلك ، وأما تفسيرها بالمملوك ، فليس بوجيه ، لوجهين :

أحدهما : أَنَّ الْمَمْلُوكَ لَا يَقَالُ فِيهِ (مَلَكْتَ مَفَاتِحَهُ) بَلْ يَقَالُ : (مَا مَلَكَتُمُوهُ) أَوْ (مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) لِأَنَّهُمْ مَالِكُونَ لَهُ جُمْلَةً ، لَا لِمَفَاتِحِهِ فَقَطْ . والثاني : أَنَّ بَيْتَ الْمَمَالِيكِ ، غَيْرُ خَارِجَةٍ عَنْ بَيْتِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ ، لِأَنَّ الْمَمْلُوكَ وَمَا مَلَكَهُ لِسَيِّدِهِ ، فَلَا وَجْهَ لِنَفْيِ الْحَرَجِ عَنْهُ . ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ فِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَرْءَ يَحْتَاجُ إِلَى صَدِيقٍ يَكُونُ لَهُ عَوْنًا عَلَى أُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ . قَالَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- : « مِنْ عَظَمِ حَرَمَةِ الصَّدِيقِ أَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْإِنْسَانِ وَالثِّقَةِ وَالْإِنْبِسَاطِ وَرَفَعَ الْحِشْمَةَ بِمَنْزِلَةِ النَّفْسِ وَالْأَبِ وَالْأَخِ » .

وهذا الحرج المنفي عن الأكل من هذه البيوت لا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى اسْتِئْذَانٍ ، وَالْحِكْمَةُ فِيهِ مَعْلُومَةٌ مِنَ السِّيَاقِ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَسْمُومِينَ قَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ وَالْعَرَفُ بِالمَسَامَحَةِ فِي الْأَكْلِ مِنْهَا لِأَجْلِ الْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ، أَوْ التَّصَرُّفِ التَّامِّ ، أَوْ الصَّدَاقَةِ ، فَلَوْ قَدَّرَ فِي أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ عَدَمَ الْمَسَامَحَةِ وَالشَّحِّ فِي الْأَكْلِ الْمَذْكُورِ ، لَمْ يَجْزِ الْأَكْلُ ، وَلَمْ يَرْتَفَعْ الْحَرَجُ ، نَظَرًا لِلْحِكْمَةِ وَالْمَعْنَى .

قال الشافعي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- :

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها
صديق صدوق صادق الوعد منصفاً

من آداب الطعام :

قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا ﴾ أي مجتمعين - ولا ينبغي أن يفهم من كلمة ﴿ جَمِيعًا ﴾ أنهم رجال أجنب مع نساء أجنبيات ، بل هم محارم بعضهم لبعض ، وقوله ﴿ أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ أي متفرقين كل يأكل وحده متى بدا له ذلك ، وجاءت السنة بأن الاجتماع على الأكل أفضل لأنه سبب الألفة وحصول البركة ، عن وحشي بن حرب بن وحشي ، عن أبيه ، عن جده - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالُوا : « يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ ؟ » قَالَ : « فَلْعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : « فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ يَبَارِكُ لَكُمْ فِيهِ » ^(١) .

آداب دخول البيوت :

ثم شرع الله - ﷻ - ما ينبغي رعايته حين دخول البيوت بعد أن ذكر الرخصة فيه فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي فإذا دخلتم بيتاً من هذه البيوت فليسلم بعضكم على بعض ، وقد ورد في كيفية الدخول إلى المنزل أن يقول : « اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى ربنا توكلنا ثم يسلم على أهله » ^(٢) ، وجاءت ﴿ بُيُوتًا ﴾ في الآية نكرة تعم جميع البيوت له أو لغيره ؛ مسكونة كانت أو غير مسكونة وكذا بيوت الله المساجد . ﴿ فَسَلِّمُوا ﴾ بقولكم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وإن كان البيت خالياً أو كان مسجداً قال : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ثم قال ﴿ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ إشارة إلى أن السلام على أخيك بمثابة السلام على النفس لأن المؤمنين كالجسد الواحد ، وقد أمرنا الله - ﷻ - أن نرد السلام على من حيّانا ومعنى السلام : الدعاء بالبقاء والحياة والسلامة .

﴿ تَحِيَّةٌ ﴾ أي تلقونها ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ إذ هو تبارك وتعالى الذي أمر بها وأرشد إليها ، ﴿ مُبْرَكَةٌ ﴾ أي ذات بركة ؛ والبركة : الخير الكثير الثابت لأن هذه التحية طريق للتحابب والتآلف ، ﴿ طَيِّبَةٌ ﴾ حسنة جميلة تطيب بها النفوس ويرجى بها الخير والثواب .

(١) سنن أبي داود - كتاب الأطعمة - فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه - باب في الاجتماع على الطعام (٣٧٦٤) .

(٢) سنن أبي داود - أبواب النوم - باب ما يقول الرجل إذا دخل بيته (٥٠٩٦) .

والسلام من الكلم الطيب الذي يحبه الله تعالى ويقبله ويصعد إليه ، وعلى المسلم أن يلتزم هذه التحية ولا يستبدلها بتحية أخرى .

ثم ختم الله -وَعَلَّمَ- هذه الآية بقوله : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ أي مثل ذلك البيان يبين الله لكم الآيات الشرعية العظيمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفقهوا أمره ونهيه وأدبه وبهذا يحصل لكم الفوز في الدارين .

من هداية الآيات :

- ١- تقرير لقاعدة عظيمة من قواعد الشرع : (التيسير ورفع الحرج) .
- ٢- مراعاة ذوي الأعذار والعاهة بأن لا حرج عليهم في الأكل مع غيرهم من الأصحاء .
- ٣- جواز الأكل من بيوت من ذكرهم الله -وَعَلَّمَ- بلا إذن .
- ٤- وجوب الإذن عند الأكل من بيوت غير من ذكر .
- ٥- تعظيم حقوق الأقربين والأصدقاء والأمناء بعضهم على بعض .
- ٦- التنويه بحق الصداقة .
- ٧- مشروعية السلام وبيان شيء من أحكامه وإبراز فضله .
- ٨- امتنان الله -وَعَلَّمَ- على عباده بهذه الآداب السامية والأحكام العظيمة .

من القيم المستفادة :

- الرحمة بأهل الأعذار .
- تعظيم الحقوق .
- التآلف والمحبة .

التقويم

السؤال الأول : أجب عما يأتي :

١ - بم يكون المجتمع الإسلامي متماسكاً ؟

.....

.....

٢ - من خلال فهمك لآيات الدرس اكتب الطريقة المناسبة لدخول البيوت :

.....

.....

السؤال الثاني : علّل لما يأتي :

١ - لم يذكر الله سبحانه الأولاد في جملة الأقارب :

.....

.....

٢ - ختمت الآية بقوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ :

.....

.....

السؤال الثالث : ماذا يفيد تنكير كلمة ﴿بُيُوتًا﴾ في قوله : ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ ؟

.....

.....



السؤال الرابع : اكتب بحثاً مختصراً عن :

- ١- معنى السلام .
- ٢- حكم السلام .
- ٣- صيغ السلام .
- ٤- فضله .

.....

.....

.....

.....



مكانة الرسول - ﷺ -

سورة النور الآيتان (٦٢ - ٦٤)

تمهيد :

نبينا محمد - ﷺ - له المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة في نفوس المؤمنين ، حيث أوجب الله - ﷻ - محبته وجعل ذلك من أصول الإيمان وأن محبته تُقدّم على كل محبوب من نفس ومال وولد ، وهو خاتم النبيين وسيدهم وأكرمهم على الله ، وهو أفضل أولي العزم من الرسل ، وهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة أرسله الله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فختم الله به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وفتح برسالته أعيناً عمياً وآذاناً صمّاً وقلوباً غلفاً ، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها وتألّفت به القلوب بعد شتاتها ، فأقام الله - ﷻ - به العوجاء وأوضح بها المحاجة البيضاء ، وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، وما من مخلوق إلا ويمتحن بهذا النبي - ﷺ - في قبره .

و الآيات التي معنا تبين شيئاً من ذلك من وجوب طاعته وعدم مخالفته والتأدب معه عليه الصلاة والسلام .

قال تعالى

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا
حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾
 أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
أَمْرٍ جَامِعٍ	أمر عام وهام يستدعي الاجتماع
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ	لبعض أمورهم
دُعَاءَ الرَّسُولِ	نداءه وطلبه
يَتَسَلَّلُونَ	التسلل : الخروج في خفية
لِوَاذًا	خفية ، من لاذ بالشيء يلوذ به ، أي : اختفى من ورائه
فِتْنَةً	بلاء وامتحان
فَيُنَبِّئُهُمْ	يخبرهم ، والنبأ : الخبر العظيم

الشرح الإجمالي للآيات :

طاعة الإمام :

ختم الله -ﷺ- هذه السورة المباركة بالتنويه بالأدب الرفيع مع النبي -ﷺ- ومخاطبته بما نعته الله -ﷺ- من وصف الرسالة والنبوة ، وأن يتقيدوا بطاعته ويحذروا مخالفته .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ﴿١﴾ إنما المؤمنون حقاً الكاملين

في إيمانهم هم الذين صدّقوا الله ورسوله ، وعملوا بشرع الله ، وحقيقة الإيمان أنه قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان ، والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ أي إذا كان المؤمنون مع رسول الله - ﷺ - على أمر عظيم جمعهم في مصلحة المسلمين ، كالجمعة والجهاد والمشورة ونشر السنة أو ترهيب عدو ونحو ذلك ، لم ينصرف أحد منهم حتى يستأذنه أي يطلب منه الإذن بالانصراف لئلا يكون الأمر فيه نوع من الفوضى والإخلال ، وهذا مما يضعف الدولة ويشتت الجماعة ويضر بالمصلحة .

ولما كان الاستئذان علامة الإيمان أكدّه بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي هم المؤمنون حقاً ، وهذه الجملة تدل على الثبوت والدوام ، أما الذين لم يطلبوا الإذن فهم الذين لا يؤمنون بالله ورسوله ويُقصد بهم المنافقون ، ﴿ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ فإذا طلبوا منك الإذن لبعض حاجتهم وأمورهم فأذن لمن شئت ممن طلب الإذن في الانصراف لعذر ، ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ واطلب من الله تعالى المغفرة لهم لأن الله غفور لذنوب عباده التائبين رحيم بهم .

واقتران هذين الاسمين الكريمين ﴿ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ يؤخذ منه : أنّ بالمغفرة زوال المرهوب وبالرحمة حصول المطلوب .

من الأدب مع الرسول الكريم - ﷺ - :

قال الله - ﷻ - مُظهراً شرف الرسول - ﷺ - وفضله ومؤكداً ذلك بقوله : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ﴾ أي لا تجعلوا نداء الرسول بينكم كنداء بعضكم بعضاً بأن تقولوا : يا محمد أو يا أبا القاسم ، بل نادوه بوصف النبوة والرسالة فقولوا : يا نبي الله ، يارسول الله مع خفض الصوت ولين اللفظ وترقيق العبارة ، وما ذلك إلا تكريماً له - ﷺ - وتعظيماً لشأنه وتوقيراً لحرمة ، ثم قال الله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذٍ ﴾ أي أنّ الله لا يخفى عليه الذين ينصرفون ويخرجون عمّا أجمع عليه المسلمون من الجهاد ونحوه . وهذا وعيد وتهديد لهم بمجازاتهم على ذلك ، وجاء الفعل : ﴿ يَتَسَلَّلُونَ ﴾ بصيغة المضارع للدلالة على استمرارهم في المستقبل .

عظم المعصية بمخالفة النبي - ﷺ - :

ثم قال الله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦٣) أي فليحذر المخالفون لأمر رسوله - ﷺ - ، أن تصيبهم فتنة وشر وبلاء في الدنيا وعذاب موجه في الآخرة .

وحرف ﴿ عَنْ ﴾ في الآية زائد لتوكيد المعنى . وجاءت كلمة ﴿ فِتْنَةٌ ﴾ في الآية مُنْكَرَةً لتفيد العموم إما الزلازل أو الأمراض والأسقام ، أو الشرك والضلال ، أو الطبع على القلوب والزيغ والانحراف والفتنة في الدين .

وفي الآية أمر بالاتباع ونبذ الابتداع والتقليد ، قال ابن كثير - رحمه الله - : « أي عن أمر رسول الله - ﷺ - سبيله هو ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته ، فتوزن الأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان » ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ^(١) . فالمذهب الحق ما وافق السنة .

ملك الله الشامل وعلمه الواسع :

خُتِمت السورة الكريمة ببيان أن الله تعالى مالك لكل شيء وله كل شيء خلقاً وملكاً وتصرفاً وإيجاداً وإعداماً بدءاً وإعادة فقال : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ألا : أداة تنبيه ، ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ قد : للتحقيق ؛ أي : قد يعلم الله - ﷻ - ما أنتم عليه أيها الناس في الماضي والحاضر والمستقبل لا يخفى عليه شيء .

﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة لتنبيه المخاطب ، ﴿ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ﴾ أي فيخبرهم يوم القيامة بعملهم الذي عملوه في الدنيا ، ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أي عليم بكل شيء من الأشياء صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها من الأعمال والأقوال وغيرها .

(١) رواه البخاري في كتاب الصلح (٢٥٥٠) ورواه مسلم في كتاب الأفضية (١٧١٨) .

من هداية الآيات :

- ١- من أبرز صفات أهل الإيمان الاستجابة لأمر الله ورسوله - ﷺ - .
- ٢- وجوب الاجتماع فيما يتعلق بمصالح الأمة .
- ٣- وجوب الاستئذان من إمام المسلمين إن كان الأمر جامعاً .
- ٤- من حق الإمام أن يأذن لمن شاء ويترك من يشاء حسب المصلحة العامة .
- ٥- حسنُ الأدب مع النبي - ﷺ - وتكريمه وتعظيمه .
- ٦- الإشارة إلى بعض أحوال المنافقين مرضى القلوب .
- ٧- تعظيم سنة النبي - ﷺ - والحذر من مخالفتها .
- ٨- تعظيم مكانة الرسول الكريم - ﷺ - وتعظيم أمره .
- ٩- شمول مُلك الرب - ﷻ - وعلمه بكل شيء .
- ١٠- تقرير عقيدة المعاد والجزاء .

من القيم المستفادة :

- تعظيم أمر النبي - ﷺ - .
- اتباع السُّنة .
- المراقبة .

التقويم

السؤال الأول : أجب عما يأتي :

١ - حدّد سمات المؤمنين وصفاتهم كما وردت في آيات الدرس :

.....

.....

.....

.....

٢ - في الآية أمر بالاتباع ونبذ الابتداء والتقليد . وضّح ذلك :

.....

.....

.....

.....

٣ - اكتب مظاهر الأدب مع الرسول الكريم - ﷺ - كما في الآيات :

.....

.....

.....

.....



السؤال الثاني :

اختر المكمل الصحيح لتكملة العبارات التالية :

١- أكد الله -ﷻ- أن الذي يستأذن هو من :

☐ الكافرين

☐ المؤمنين

☐ المنافقين

٢- نوع ﴿عَنْ﴾ في قوله ﴿عَنْ أَمْرِهٖ﴾ :

☐ بمعنى على

☐ زائدة للتوكيد

☐ للمجاوزة

٣- دعاء الرسول -ﷺ- في الآيات تعني :

☐ نداؤه وطلبه

☐ دعوته للخير

☐ التقرب منه

السؤال الثالث : من خلال فهمك لآيات الدرس وضح مكانة الرسول -ﷺ- وواجبك نحوه :

.....

.....

.....

.....





سورة الفرقان

بين يديّ السورة الكريمة :

سورة الفرقان سورة مكية ، سمّيت بذلك لأن الله -ﷻ- فرّق بها بين الحق والباطل ، وعندما نقرأ هذه السورة الكريمة نرى جلياً فيها منهج الرد على المبطلين الذين يريدون إزهاق الحق أو إضعافه ، وما يكون هذا الرد إلا بالحجة والبرهان على هذه الأقوال العارية من الأدلة العقلية فضلاً عن الأدلة النقلية .

وفي هذه السورة تكلم الله -ﷻ- عن ثلاثة محاور :

١- تقرير التوحيد .

٢- إثبات الرسالة .

٣- الترغيب والترهيب بذكر المعاد .

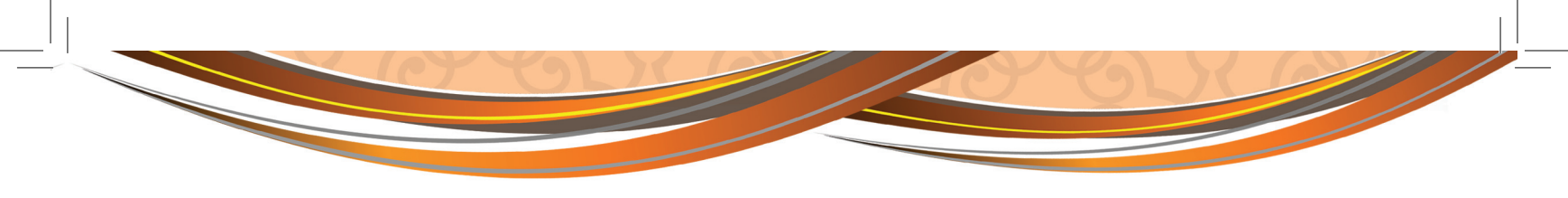
أما مجمل ما احتوت عليه سورة الفرقان فهو :

١- التنويه بشأن القرآن الكريم .

٢- تكريم الله -ﷻ- لنبية محمد -ﷺ- .

٣- ذكر ما لله -ﷻ- من أسماء حسنى وصفات عُلّى وأفعال جليلة عظيمة متضمنة

لاستحقاق الله -ﷻ- للعبادة وحده لا شريك له .

- 
- ٤- الرد على أباطيل المشركين وكشف شبهاتهم .
- ٥- الترغيب والترهيب بذكر الجنة ونعيم أهلها وبذكر النار وعذاب أصحابها .
- ٦- التذكير بهلاك الأمم الغابرة .
- ٧- بيان شيء من المشاهد الباهرة العظيمة من بديع صنع الله -عز وجل- وعظيم خلقه .
- ٨- بيان بعض صفات عباد الرحمن التي أثنى الله -عز وجل- عليهم بها وأثابهم عليها .



علو منزلة القرآن

سورة الفرقان الآيات (١ - ٣)

تمهيد :

للقرآن الكريم أسماء وصفات كثيرة وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية ، دلت على شرفه وفضيلته ، منها : القرآن ، الذكر ، التنزيل ، والفرقان ، وقد وصف كذلك بأنه بشير ونذير وبيان ومهيمن ، إلى غير ذلك من الصفات العظيمة التي تدل على عظمة هذا الكتاب وعُلو قدره ومنزلته كما أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى .
والآيات التالية من سورة الفرقان توضح جانباً من ذلك .

قال تعالى

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾
وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
تَبَارَكَ	من البركة ، وهي النماء والزيادة والكثرة من كل خير
الْفُرْقَان	القرآن ، وسمي فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل
لِلْعَالَمِينَ	جمع عالم ، وهو كل ما سوى الله -عز وجل- والمراد بالعالمين هنا الجن والإنس
نَذِيرًا	النذير والمنذر من النذارة وهي التخويف
فَقَدَرَهُ	هيأه لما يصلح له
وَلَا تُشْوَكَ	الإحياء بعد الموت

الشرح الإجمالي للآيات :

التنويه بشأن القرآن الكريم :

قال الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ، ﴿ تَبَارَكَ ﴾ اختُلف في معناها ، فقال الفراء : هو في العربية و (تقدّس) واحد ، وهما للعظمة ، فيكون المعنى تعظيم ودام وكثر خيره وعطاؤه ، فتعظيم الله -عز وجل- في ذاته وفي أسمائه وصفاته وفي أفعاله وإلهيته سبحانه .

وقال الزجاج : تبارك من البركة ، وهي الكثرة من كل ذي خير ، وأصل البركة النماء والزيادة والدوام ، وقيل : ﴿ تَبَارَكَ ﴾ تعالى عطاؤه : أي زاد وكثر ، وقيل : المعنى : دام وثبت إنعامه ، قال النحاس -رحمته- : وهذا أولها في اللغة والاشتقاق من برك الشيء إذا ثبت ، ومنه برك الجمل والطير على الماء : أي دام وثبت . وهذه الكلمة ﴿ تَبَارَكَ ﴾ لا تستعمل إلا في حق الله -عز وجل- ، ولا تستعمل إلا بلفظ الماضي . وهي تتضمن تمجيد الله وتعظيمه وتقديسه .

﴿ الَّذِي نَزَّلَ ﴾ بالتضعيف مما يدل على أن هذا القرآن نزل مُنَجَّمًا بحسب الوقائع والأحداث والمناسبات ليكون البيان أبلغ والتأثير به أعظم ، والتعبير بقوله ﴿ نَزَّلَ ﴾ تدل أيضاً على علو الله -عز وجل- على خلقه .

فمن أعظم خيراته ونعمه سبحانه أن نزل ﴿الْفُرْقَان﴾ مبالغة من الفرق وهو القرآن ، فهذا القرآن هو الفارق بين الحلال والحرام والهدى والضلال وأهل السعادة من أهل الشقاوة والقرآن يفرق بين الحق والباطل ، وبين أهل الإيمان وأهل الكفر .

﴿ عَلَى عَبْدِهِ ۖ ﴾ وهو محمد - ﷺ - وهذا الوصف من أعظم الأوصاف ، وهذه الإضافة إضافة تشريف وتكريم له بأن نزل عليه القرآن ، ومن فوائدها الإشارة إلى عناية الله - ﷻ - بنبيه - ﷺ - وأن ليس له شيء من خصائص الإلهية والربوبية بل هو عبد لا يُعبد ونبي لا يكذب .

والعبودية عبوديتان :

١- عبودية عامة وهذه العبودية تشمل جميع الناس برُّهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ (١) .

٢- عبودية خاصة وهي تتعلق بمن عبد الله حقَّ عبادته ووحدَه ولم يشرك مع الله أحداً .

﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ليكون محمد - ﷺ - منذراً ﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾ وهم الجن والإنس ﴿ نَذِيرًا ﴾ مخوفاً مَنْ كذبوا بعذاب الله - ﷻ - فينذرهم بأس الله ونقمه ويبين لهم مواقع رضا الله من سخطه ، حتى إن من قبل نذارته وعمل بها كان من الناجين في الدنيا والآخرة الذين حصلت لهم السعادة الأبدية والملك السرمدي ، فهل فوق هذه النعمة وهذا الفضل والإحسان شيء؟ فتبارك الذي هذا من بعض إحسانه وبركاته .

وهذه من صفات القرآن والرسول - ﷺ - : النذارة والتخويف من عذاب الله - ﷻ - . وقد ذكر هنا النذارة ولم يذكر البشارة كما ذكرت في آيات أخر ، قالوا : إن في ذلك إشارة إلى مقصد من مقاصد هذه السورة الكريمة ؛ وهو الرُّدُّ على من كذب بهذا القرآن فناسب أن يذكر النذارة دون البشارة .

ومعنى هذه الآية : عظمت بركات الله - ﷻ - وكثرت خيراته وكملت أوصافه سبحانه الذي نزل هذا القرآن الفارق بين الحق والباطل على عبده ومصطفاه محمد - ﷺ - ليكون هذا

القرآن أو هذا النبي مخوفاً لهم من بعثهم بعد الموت وحشرهم إلى الله -وَعَجَّلَ- ليجزيهم عذاب الله -وَعَجَّلَ- بما عملوا .

من صفات الربّ جل وعلا وأفعاله :

ثم وصف الله -وَعَجَّلَ- نفسه بصفات أربع تدل على الكمال والجمال والجلال :

الصفة الأولى : قال الله تعالى : ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي له التصرف فيهما وحده ، وجميع مَنْ فيهما ممالكك وعبيد له مدعنون لعظمته ، خاضعون لربوبيته ، فقراء إلى رحمته .

الصفة الثانية : ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ نزّه نفسه سبحانه عن الولد لكمال غناه من جميع الوجوه ، وفي ذلك ردٌّ على اليهود والنصارى والمشرّكين .

الصفة الثالثة : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ أي ما كان لله شريك في ملكه وسلطانه ، فالله -وَعَجَّلَ- له الأمر كله وله الملك وحده لا شريك له ، وإذا اعتقد العبد ذلك انقطع رجاؤه عن كل مخلوق ولا يكون رجاؤه إلا لله -وَعَجَّلَ- .

وفي الآية ردٌّ على من زعم أن لله شريكاً في ملكه وهم طوائف المشرّكين من الوثنية وأهل الشرك الخفي .

الصفة الرابعة : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ من الموجودات ﴿ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾ أي قدر كل شيء مما خلق بحكمته على ما أراد وهيأه لما يصلح له ؛ فأعدّ الإنسان مثلاً للإدراك والفهم والتدبر في أمور المعاش والمعاد واستنباط الصناعات والانتفاع بما في ظاهر الأرض وباطنها ، وأعدّ صنوف الحيوان للقيام بأعمال مختلفة تليق بها وبإدراكها .

وهذه الآية فيها دلالة عظيمة على عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر ، وأن ما من شيء إلا والله -وَعَجَّلَ- قدره وأراد ، لا يخرج شيء عن إرادته ولا يكون شيء في ملكه إلا ما شاء وقدره ، ومن ثمرات هذه العقيدة أنها تشرح الصدر وتطمئن القلب وتبهج النفس وتحمل المرء على أن يعمل ويكدح لإصلاح دينه ودنياه .

وهذه الصفات كلها تتضمن استحقاق الله أن يُعبد وحده لا شريك له ، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية ، وهذه الصفات و الأفعال منه تقتضي محبته و إخلاص العبادة له وحده .

بطلان عبادة ما سوى الله -عز وجل- :

بعد أن وصف الله -عز وجل- نفسه بصفات العزة والجلال ، أتبع ذلك بذكر صفات الآلهة التي يعبدونها المشركون من دون الله بأربع صفات تقتضي فساد وبطلان عبادتهم إياها ، قال الله تعالى : ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا** ﴾ (٣) وهذا تصريح بتزيف مذاهب المشركين ، وأن هذه الآلهة موصوفة بالعجز البالغ الذي هو أدنى ما يُحتجُّ به عليهم على بطلان عبادتها .

﴿ **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا** ﴾ أي جعلوا من دون الله -عز وجل- معبودات يعبدونها ، وهذه المعبودات لا تخلق شيئاً وهذه صفة نقص ؛ أي لا يقدرُونَ على خلق شيء من الأشياء ﴿ **وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾ أي يخلقهم الله -عز وجل- ، بمعنى أنها مخلوقة والمخلوق محتاج و الإله الحق يجب أن يكون غنياً بذاته عن كل ما سواه .

ثم قال تعالى : ﴿ **وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا** ﴾ أي لا يقدرُونَ على أن يجلبوا لأنفسهم نفعاً ولا يدفعوا عنها ضرراً ، وقدّم ذكر الضر لأن دفعه أهم من جلب النفع ، وإذا كانوا لا يقدرُونَ على الدفع والنفع فيما يتعلق بأنفسهم فكيف يملكون ذلك لمن يعبدونهم ؟ ! ، ثم زاد الله -عز وجل- في بيان عجزهم فقال تعالى : ﴿ **وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا** ﴾ أي لا يقدرُونَ على إماتة الأحياء و لا إحياء الموتى و لا بعثهم من القبور .

وبيان ضعف ونقص وعجز الآلهة التي يعبدون دليل على تفرد الله -عز وجل- بالآلوهية والربوبية والأسماء والصفات ، إذ له الكمال المطلق من كل وجه من الوجوه الذي لا يعتريه نقص ولا يغشاه عيب .



من من هداية الآيات

- ١- تمجيد الله -ﷻ- لنفسه العلية بذكر ما له من الصفات العظيمة والأفعال الجليلة .
- ٢- التنويه بعظم القرآن الكريم وشرفه وأن الله -ﷻ- فرّق به بين الحق والباطل .
- ٣- الإشارة إلى شرف النبي -ﷺ- وتكريمه وعناية الله -ﷻ- به .
- ٤- بيان بطلان الآلهة التي تُعبد من دون الله -ﷻ- .

من القيم المستفادة :

- تمجيد الله -ﷻ- .
- حب القرآن وأهله .
- إخلاص النية .

التقويم

السؤال الأول : أجب عما يأتي :

١ - عدد محاور سورة الفرقان :

-
-
-

٢ - بم يوحى إليك قوله تعالى ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾ ؟

-
-
-

السؤال الثاني : علّل ما يأتي :

ذكر الله - ﷻ - في أول السورة النذارة ولم يذكر البشارة :

-
-

السؤال الثالث : صحّح ما تحته خط في العبارات التالية ثم أعد كتابته بين القوسين :

- ١ - سُمّي القرآن ﴿الْفُرْقَانُ﴾ لأنه يفرّق بين الإنس والجن . (.....)
- ٢ - ﴿نُشُورًا﴾ في الآية يعني الشيوع والانتشار . (.....)
- ٣ - قوله تعالى : ﴿فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ فيه تقرير عقيدة البعث . (.....)



السؤال الرابع : اكتب بعض الهدايات الأخرى للآيات السابقة :

.....

.....

.....

.....



إفك وافتراء

سورة الفرقان الآيات (٤ - ٦)

تمهيد :

وقف الكفار موقف مناوأة ضد الدعوة الإسلامية ، منذ اللحظة الأولى ، مناوأة للداعي وللدعوة ، وحاولوا النيل من رسول الله - ﷺ - فأذوه بالقول والفعل إيذاءً شديداً ، وعمدوا إلى التكذيب بآيات الله - ﷻ - وبالبيّنات وطرح الشبه والافتراءات ، ولكن جميع محاولاتهم ومواجهاتهم باءت بالفشل ، وكشفها القرآن الكريم وردّ عليها .

قال تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا اسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
إِفْكُ افْتَرَاهُ	كذب اختلقه
وَزُورًا	كذباً ظاهراً
اسْطِيرُ	أحاديث جمع أسطورة أي ما سطره الأولون من الأخبار

تُمَلَّى	تُلْقَى عَلَيْهِ
بُكْرَةً	أول النهار
وَأَصِيلًا	آخر النهار
النِّتْرَ	الغيب

الشرح الإجمالي للآيات :

شبهات وأباطيل :

شرع الله - ﷻ - في ذكر بعض شبه منكري الرسالة ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ ﴾ كذب ، وما نسبه الكفار إلى الإفك إلا لأن الكفر ظلمة ، والكافرون لا يرون إلا الظلمة ، ﴿ أَفْتَرَبْنَاهُ ﴾ أي وقال الجاحدون للرسالة إن هذا القرآن ليس من عند الله بل اختلقه محمد - ﷺ - ، ﴿ وَأَعَانَهُ ﴾ أي ساعده على هذا الاختلاق ﴿ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ أي جماعة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ممن أسلموا ، وكان يتعهدهم ويختلف إليهم فيلقون إليه أخبار الأمم الغابرة وهو يصوغها بلغته .

ثم رد الله عليهم بقوله : ﴿ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ أي فقد قالوا ظلماً هائلاً عظيماً وكذباً ظاهراً ، فأما كون ذلك منهم ظلماً لأنهم نسبوا القبيح إلى من هو مبرأ منه ، فقد وضعوا الشيء في غير موضعه وهذا هو الظلم ، وأما كون ذلك منهم زوراً لظهور الكذب منهم ، وهذه الشبهة التي جاءوا بها شبهة سمجة باردة دفعهم إلى قولها الهوى الذي أعمى بصائرهم وغطى على عقولهم ، لو كان هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إفكاً مفترى من قبل البشر فلماذا لا يأتون بمثله ؟ وقد تحدّاهم من أن يأتوا بسورة من مثله بل فليستعينوا بغيرهم بأن يأتوا بمثله كما زعموا على محمد - ﷺ - ، وهذا العجز من أظهر الأدلة على صدق النبي - ﷺ - في تبليغه هذا القرآن .

ثم ذكر الله - ﷻ - شبهة أخرى لهؤلاء الجاحدين للنبوّة ﴿ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ اُكْتَتَبَهَا فِيهِ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿ وقال الكافرون : إن ما جاء به محمد

أحاديث الأولين ، وما سطروه من الأخبار استكتبها أو كتبها لنفسه ﴿ فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ ﴾ أي تُلقى عليه تلك الأساطير بعد ما اكتبها ليحفظها من أفواه من يُملئها عليه من ذلك المكتتب لكونه أمياً لا يقدر على أن يقرأها من ذلك المكتوب بنفسه ، ويجوز أن يكون المعنى اكتبها أي أراد كتابتها ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ أول النهار وآخره ؛ وقيل أن المعنى دائماً وفي جميع الأوقات أو خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون إلى مساكنهم وذلك لئلا يقف الناس على حقيقة الحال ، وهذه لاشك جرأة عظيمة منهم .

لطف الله - وَجَّكَ - بعباده :

ثم أمره الله سبحانه وتعالى أن يرد عليهم بقوله : ﴿ قُلْ ﴾ أي قل يا محمد رداً للباطل وإحقاقاً للحق ﴿ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي ليس ذلك مما يُفترى أو يُفتعل بإعانة قوم وكتابة آخرين من الأحاديث الملفقة وأخبار الأولين ، بل هو أمر سماوي ما أنزله إلا ليهتدي به أهل السعادة وليضل به أهل الشقاوة ، أنزله ﴿ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الذي يعلم كل شيء لا يغيب عنه شيء من الأشياء فلماذا عجزتم عن معارضته ولم تأتوا بسورة من مثله ، وخصَّ الله السر إشارة إلى اشتغال ما أنزله الله - وَجَّكَ - على أسرار بديعة لا تبلغ إليها عقول البشر ، وذكر ﴿ السِّرَّ ﴾ دون الجهر ؛ لأنه من عِلْم السر فهو في الجهر أعلم .

و ذكر علمه - وَجَّكَ - العام ينبههم ويحضهم على تدبر القرآن ، وأنهم لو تدبروا لرأوا فيه من علمه وأحكامه ما يدل دلالة قاطعة على أنه لا يكون إلا من عالم الغيب والشهادة ، ومن لطف الله بهم أنه لم يدعهم وظلمهم رغم إنكارهم للتوحيد والرسالة ، بل دعاهم إلى التوبة والإنابة إليه ، ووعدهم بالمغفرة والرحمة إن هم تابوا ورجعوا فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا ﴾ أي : وصفه المغفرة لأهل الجرائم والذنوب ، إذا فعلوا أسباب المغفرة وهي الرجوع عن معاصيه والتوبة منها .

﴿ رَحِيمًا ﴾ بهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة وقد فعلوا مقتضاها ، وحيث قبل توبتهم بعد المعاصي ، وحيث محا ما سلف من سيئاتهم ، وحيث قبل حسناتهم ، وحيث أعاد الراجع إليه بعد شروده والمقبل عليه بعد إعراضه إلى حالة المطيعين المنيبين إليه .



من من هداية الآيات

- ١- أهل الكفر أهل شبه وافتراء على الله وعلى رسوله - ﷺ .
- ٢- القرآن الكريم هو أصدق الكلام وأعظمه وأجله .
- ٣- لو تدبر الكفار القرآن الكريم لرأوا فيه من علمه وأحكامه ما يدل دلالة قاطعة على أنه لا يكون إلا من عالم الغيب والشهادة .
- ٤- دعوة الكفار إلى التوبة والإنابة إلى الله - ﷻ - ومن ثم وعد بالمغفرة والرحمة .

من القيم المستفادة :

- شرف الرسالة .
- تجنب الظلم .
- تدبر القرآن الكريم .



التقويم

السؤال الأول : علّل ما يأتي :

- خص الله - عَزَّوَجَلَّ - السر في قوله : ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ ... ﴾ :

.....

.....

السؤال الثاني : استخرج حقيقة وقيمة مستفادة من قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٦)

حقيقة :

قيمة مستفادة :

السؤال الثالث : اختر المكمل الصحيح لتكملة العبارات التالية :

١ - الظلم يعني :

☐ الكذب والافتراء ☐ وضع الشيء في غير موضعه ☐ النماء والزيادة

٢ - من لطف الله - عَزَّوَجَلَّ - بعباده أنه :

☐ أحياهم بعد إمامتهم ☐ علم بجميع أحوالهم ☐ دعاهم للتوبة والإنابة

٣ - بكرة وأصيلا تعني :

☐ أول النهار وآخره ☐ الماضي والحاضر ☐ الحق والباطل



السؤال الرابع :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ ٤

فند الشبهة الواردة في الآية السابقة :

.....

.....

.....

.....



عناد المشركين

سورة الفرقان الآيات (٧ - ١٦)

تمهيد :

المشركون الذين بُعث فيهم النبي - ﷺ - يعرفون الحق كما قال تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَمْحَدُونَ ﴾ (٣٣) ^(١) ، ولكنهم يعاندون ويتعمدون الإعراض عنه ، ويتخبطون برشق التهم من مثل مفترى وأساطير وساحر ، كما في الآيات السابقة ؛ فالقرآن بحق كلام الله - ﷻ - ومحمد بحق رسول الله - ﷺ - . وفي هذه الآيات لون جديد من إثارتهم للشبهات التي يريدون بها الطعن في النبي - ﷺ - .

قال تعالى

وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَظْرٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
كَزَّرْ	المال المكنوز أي المجموع المحفوظ
رَجُلًا مَسْحُورًا	رجلاً اختل عقله بسبب السحر
الْأَمْثَلِ	الأقوال العجيبة والأباطيل
قُصُورًا	بيوتاً رفيعة في الدنيا
بِالسَّاعَةِ	يوم القيامة
وَأَعْتَدْنَا	هيئنا وأرصدنا
سَعِيرًا	النار المشتعلة شديدة الاشتغال
تَغِيْظًا	التغيظ : إظهار الغيظ وهو أشد الغضب
وَزَفِيرًا	الزفير : إخراج النفس بعد مدة
مُقَرَّرِينَ	مصنفدين قد جمعت أيديهم إلى أعناقهم في السلاسل والأغلال
ثُبُورًا	هلاكاً فقالوا : يا ثبورا
جَنَّةُ الْخُلْدِ	جنة الخلود التي لا انقضاء لها ولا انقطاع وأهلها خالدون فيها
جَزَاءً	ثواباً
مَصِيرًا	مرجعاً ومآباً

الشرح الإجمالي للآيات :

عناد وتعنت :

يخبر الله -عز وجل- عن تعنت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا دليل منهم وقالوا : ﴿ مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ أي ما باله ، يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعاش والتكسب كما نتردد ، والإشارة في قولهم : ﴿ هَذَا الرَّسُولُ ﴾ أي ما لهذا الذي ادّعى الرسالة ؟ وفي ذلك تصغير لشأن المشار إليه ، وسمّوه رسولاّ استهزاء وسخرية ، ومعنى كلامهم : أنه إن صح ما يدّعيه من النبوة ما له يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد ؟ وزعموا أنه إن كان رسولاّ حقاً يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الطعام والكسب ، فما باله لم يخالف حاله حالنا ﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ يقولون : هلاّ أنزل إليه ملك من عند الله فيكون له شاهداً على صدق ما يدّعيه ويسانده في الإنذار ؛ أو هلاّ ﴿ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ ﴾ من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى طلب المعاش ويكون دليلاً على صدقه ، ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ بستان يسترزق منه ليكون له بذلك مزية علينا .

وما ذكروه سهل يسير على الله -عز وجل- ولكن له الحكمة في ترك ذلك وله الحجة البالغة ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ ﴾ حملهم على القول ظلمهم لا اشتباه منهم ، ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ هذا وقد علموا كمال عقله وحسن حديثه ، وسلامته من جميع المطاعن . والمعنى : إنهم قالوا ما تتبعون إلا رجلاً مغلوباً على عقله بالسحر .

ولما كانت هذه الأقوال منهم عجيبة جداً قال تعالى : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ ﴾ وذلك ليتوصلوا بها إلى تكذيبك ، والأمثال هي الأقوال النادرة والاقتراحات الغريبة ؛ ومن أقوالهم أن قالوا إنه ساحر ، مسحور ، مجنون ، كذاب ، شاعر وكلها أقوال باطلة ، كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءاتهم في ذلك ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَضَلُّوا ﴾ عن طريق الهدى والصواب فلا يجدون طريقاً إليه ولا وصلوا إلى شيء منه ، بل جاءوا بهذه المقالات الزائفة التي لا تصدر عن أدنى العقلاء وأقلهم تمييزاً ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ أي لا

يجدون إلى القدرح في نبوة هذا النبي طريقاً من الطرق ، وفي الآية دليل على أن كل من خرج عن الحق وطريق الهدى فإنه ضال حيثما توجه لأن الحق واحد ومنهجه صدق يصدق بعضه بعضاً .

تسليية النبي - ﷺ - :

ثم قال الله - ﷻ - مخبراً عن نبيه - ﷺ - أنه إن شاء لأعطاه خيراً مما اقترحوه في الدنيا و أفضل وأحسن ، فقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ ﴾ يعني في الدنيا مما اقترحه المشركون ، ثم فسّر الخير فقال : ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ بساتين كثيرة عظيمة تجري من تحتها الأنهار ﴿ وَيجعل لك قصوراً ﴾ جمع قصر وهو البيت من الحجارة وبيت الطين ، هذا في الدنيا ، أما قصور الآخرة فلا يعلم قدرها إلا الله - ﷻ - .

وفي ذلك من الحكمة العظيمة أن الله سبحانه وتعالى لم يشأ لنبينا - ﷺ - شيئاً من ذلك ، لكونه أراد لنبينا - ﷺ - أن يكون عبداً لله داعياً إلى سبيل ربه ببراهين العقل وأدلة العلم وأنوار الحكمة ، وليكون - ﷺ - أسوة حسنة لجميع الناس ، وذلك أدعى لقبول دعوته .

وفي هذا توجيه للدعاة إلى الله - ﷻ - بأن لا تكون الدنيا أكبر همهم بل يكونوا عاملين جاهدين هداة مهديين .

النار جزاء المكذبين :

ولما كانت تلك الأقوال التي قالوها معلومة الفساد ولا تصدر عن العقلاء أخبر - ﷻ - أنها لم تصدر منهم لطلب الحق ولا لاتباع البرهان ، وإنما صدرت منهم تعنتاً وظلماً وتكديباً بالحق ، فقالوا ما بقلوبهم من ذلك ولهذا قال : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾ أي بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ، فلهذا لا ينتفعون بالدلائل ولا يتأملون فيها . والمكذب المتعنت الذي ليس له قصد في اتباع الحق ، لا سبيل إلى هدايته ولا حيلة في مجادلته وإنما له حيلة واحدة وهي نزول العذاب به ، فلهذا ذكر سبحانه ما أعدّه لمن كذب بالساعة فقال : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١ ﴾ أي ناراً عظيمة مشتعلة قد اشتد سعيها ، وتغيظت على أهلها واشتد زفيرها ليعذب فيها .

وأما أسباب تكذيبهم بالساعة فتعود إلى نوازع الهوى واتباع الشهوات ورغبات الفجور والعناد والاستكبار ؛ وهذه النار المستعرة ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴾ وتغيظ النار يدل على غليان وتفجرات في داخلها .

ثم ذكر الله -عز وجل- هؤلاء المعذنين كيف يصارون إلى جهنم ويساقون إليها ويلقون فيها ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ ﴾ أي إذا أُلْقُوا في مكان ضيق في السعير ؛ ووصف المكان بالضيق للدلالة على زيادة الشدة وتناهي العذاب عليهم . وإلقاؤهم فيها حال كونهم ﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ قد قرنت أيديهم أعناقهم مصفدين بالحديد ﴿ دَعُوا هُنَالِكَ ﴾ أي في ذلك المكان الضيق ﴿ ثُبُورًا ﴾ أي هلاكاً ، والمعنى : أنهم يتمنون الهلاك وينادونه لما حلَّ بهم من البلاء فأجيب عليهم بقوله : ﴿ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا ﴾ أي فيقال لهم هذه المقالة ، والقائل لهم هم الملائكة : أي اتركوا دعاء ثبور واحد فإن ما أنتم فيه من الهلاك أكبر من ذلك وأعظم ﴿ وَأَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۖ ﴾ لا تدعوا على أنفسكم بالثبور دعاءً واحداً وادعوه أدعية كثيرة ، فإن ما أنتم فيه من العذاب أشد من ذلك لطول مدته وعدم تناهيه ، فأنتم خالدون في النار لا تخرجون منها أبداً .

الجنة دار المتقين :

﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ۖ ﴾ ﴿ ١٥ ﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ۖ ﴾ ﴿ ١٦ ﴾ يقول الله -عز وجل- : يا - يا أيها الرسول - هذا الذي وصفناه لك من حال الأشقياء الذين يُحشرون على وجوههم إلى جهنم ، فتلقاهم بوجه عبوس وتغيظٍ وزفير ، ويلقون في أماكنها الضيق ، مقرنين لا يستطيعون حراكاً ولا استنصاراً ولا فكاً كما هم فيه ، أهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها الله وأعدّها للمتقين من عباده ، والاستفهام في قوله ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ للإنكار التوبيخي التعجبي من أمرهم . فجنة الخلد التي وعدها الله -عز وجل- للمتقين ﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً ﴾ على تقواهم ، والمتقون جمع متقٍ وهو الذي جعل بينه وبين عذاب الله وقاية بفعل الطاعات وترك المنهيات .

﴿وَمَصِيرًا﴾ موثلاً يرجعون إليها ، ويستقرون فيها ويخلدون دائماً أبداً ، فجعلها لهم ثواباً ومرجعاً يصيرون إليه على ما أطاعوه في الدنيا وجعل مآلهم إليها ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ من النعيم وضروب الملاذ من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب ومناظر وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وهم في ذلك خالدون أبداً دائماً سرمداً بلا انقطاع ولا زوال ولا انقضاء ولا يبغيون عنها حولاً ، وهذا من وعد الله -عز وجل- الذي تفضل به عليهم وأحسن به إليهم ولهذا قال : ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا﴾ هذا من وعد الله الذي تفضل به عليهم وأحسن به إليهم ، ولهذا قال كان على ربك وعداً مسؤولاً أي وعداً واجباً لا بد أن يقع ، فقد سأله إياها عباده المتقون بلسان حالهم ولسان مقالهم ، فأَي الدارين المذكورتين خير وأولى بالإيثار؟ وأي العاملين عمال دار الشقاء أو عمال دار السعادة أولى بالفضل والعقل والفخريا أولى الألباب؟ لقد وضع الحق واستنار السبيل فلم يبق للمفرط عذر في تركه الدليل .

وفي الآية استشارة وحث لهم باختيار الإيمان والعمل الصالح .

من من هداية الآيات

- ١- سوء مقالة المشركين وأنهم ما أرادوا بها إلا الطعن في الرسالة .
- ٢- بيان تسليية الله -عز وجل- لنبيه -صلى الله عليه وسلم- .
- ٣- هم الداعي إلى الله -عز وجل- هو الله والدار الآخرة .
- ٤- ذكر شيء من صفة النار وما لأهلها من العذاب والنكال والإهانة .
- ٥- جعل الله -عز وجل- الجنة وما فيها من النعيم لأوليائه المتقين .

من القيم المستفادة :

- حبُّ النبي -صلى الله عليه وسلم- .
- الشوق للجنة .
- الخوف من النار .

التقويم

السؤال الأول : اختر من قائمة التفسير ما يناسب الآيات الكريمة بوضع الرقم المناسب أمامها فيما يأتي :

الرقم	الآية الكريمة	الرقم	تفسيرها
١	﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ ﴾		إنما أتوا بأعجب من ذلك وهو تكذيبهم بيوم القيامة
٢	﴿ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ﴾		فلم يخالف حاله حالنا
٣	﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾		ليتوصلوا بها إلى تكذيب الرسول - ﷺ -
٤	﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾		في الدنيا مما اقترحه المشركون
			من الملاذ من مأكَل ومشارب وغيرها من النعيم

السؤال الثاني : علّل ما يأتي :

- لم يُعطِ النبي - ﷺ - من النعيم الذي اقترحه المشركون :

.....

.....

السؤال الثالث : وضح ما يأتي :

- الترغيب والترهيب في آيات الدرس :

.....

.....

.....



السؤال الرابع : اكتب - فيما لا يزيد عن ثلاثة أسطر - واجب الداعية إلى الله - عَجَّلْ -
وهمّه في الدنيا :

.....

.....

.....

.....



مصير المشركين

سورة الفرقان الآيات (١٧ - ٢٠)

تمهيد :

يُصَوِّرُ الله -عَزَّوَجَلَّ- في كتابه العزيز مآل المشركين وحالهم يوم القيامة وتبرؤ معبوداتهم منهم وكأنه قد وقع ، وهو سيقع ؛ وفي ذلك فوائد منها :

- ١- الدليل الواضح والبرهان الساطع على التوحيد وبطلان الشرك .
 - ٢- إقامة الحجة عليهم وأنه لم يظلمهم .
 - ٣- التخويف من يوم القيامة وما فيه من أحداث جسام .
 - ٤- تذكير المعرض عن الخير بذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سالم من الشك والكفر .
- وفي الآيات التالية يتضح جانب من ذلك .

قال تعالى

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ
أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ
وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُكُمْ بِمَا
نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا
﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي
الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۖ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ	الحشر : الجمع والسَّوق والمراد يوم يجمع الناس للحساب والجزاء يوم القيامة
السَّبِيلَ	الطريق
أَضَلَلْتُمْ	أغويتم
سُبْحَنَكَ	تنزهت وتعاليت عن الشركاء والأنداد
مِنْ أَوْلِيَاءَ	جمع ولي وهو الحبيب النصير
وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ	جعلتهم يتمتعون بأنواع متاع الحياة الدنيا . والمتاع كل ما ينتفع به
حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ	حتى تركوا العمل بما أمرتهم به
قَوْمًا بُورًا	قوماً هلكى خاسرين
صَرَفًا	دفعاً للعذاب عنكم بوجه من الوجوه ، وقيل : حيلة
فِتْنَةً	ابتلاء
بَصِيرًا	مطلعاً على حال من يصبر ومن لا يصبر

الشرح الإجمالي للآيات :

مشهد من مشاهد يوم القيامة :

يقول الله -عزَّ وجلَّ- مخبراً عما يقع يوم القيامة من تقريع الكفار في عبادتهم مَنْ عبدوا من دون الله من الملائكة وغيرهم ، فقال : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي واذكر يوم يُجمع الكفار وما يعبدون من دون الله من الأوثان والأصنام وغيرها ، وإنما غلب غير العقلاء من الأصنام والأوثان ونحوها على العقلاء من الملائكة والجن والمسيح لأمرين :

١- تنبيهاً على أنها جميعاً مشتركة في كونها غير صالحة لكونها آلهة .

٢- لأن من يعبد من لا يعقل أكثر ضللاً من يعبد من يعقل منها .

﴿ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ أي فيقول الله تبارك وتعالى للمعبودين : أنتم دعوتهم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم من غير دعوة منكم لهم ؟ والمعنى : أكان ضلالهم بسببكم وبدعوتكم لهم إلى عبادتكم ، أم هم ضلوا عن سبيل الحق بأنفسهم لعدم التفكير بما يستدل به على الحق والتدبر فيما يتوصل به إلى الصواب ، والاستفهام في قوله : ﴿ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ ﴾ للتوبيخ والتقريع .

ثم أخبر الله - ﷻ - عما يجيب به المعبودون يوم القيامة : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴾ للتعجب مما قيل لهم لكونهم ملائكة أو أنبياء مكرمين أو جمادات لا تعقل ، وفي ذلك تنزيهاً له سبحانه عن الشركاء والأنداد ، ﴿ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي ما صح ولا استقام لنا أن نجعل من دونك شركاء ونظراء وأرباباً فنعبدهم ، فكيف ندعو عبادك إلى عبادتنا نحن ويتركوا عبادتك مع كوننا لنعبد غيرك ، والأمر أنهم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ونحن براء منهم ومن عبادتهم . والمراد بمن عُبد من دون الله هنا هو من عُبد من الملائكة والأنبياء والصالحين ولا شك أنهم لم يأمرُوا بعبادتهم ولم يرضوا بها .

ثم أخبر الله - ﷻ - عنهم بأنهم بعد هذا الجواب ذكروا سبب ترك المشركين للإيمان ؛ فقال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ ﴾ والمعنى : أننا ما أضللناهم ولكنك يا رب متعتهم ومتعت آباءهم بالنعم ، ووسعت عليهم بالأرزاق وأطلت لهم العمر حتى غفلوا عنذكرك ، وتركوا موعظتك والتدبر لكتابك والنظر في عجائب صنعك وغرائب مخلوقاتك ، ﴿ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ أي بائرين والمعنى أنهم صاروا بنسيانهم لذكرك وعبادتهم لغيرك هالكين خاسرين .

ثم قال الله - ﷻ - عن تبرئ المعبودين مخاطباً المشركين العابدين لغير الله : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ ﴾ أي فقد كذبكم المعبودون بما تقولون أي في قولكم إنهم آلهة ، ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ فما تقدرون - بعد أن كذبكم المعبودين - على دفع العذاب عنكم بوجه من الوجوه ، ولا تقدرون على حيلة تخلصكم من هذا العذاب ﴿ وَلَا نَصْرًا ﴾ ولا تجدون أحداً ينصركم من عذاب الله - ﷻ - .

ثم قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ هذا وعيد لكل ظالم ويدخل تحته المشركون دخولاً أولياً . والعذاب الكبير : عذاب النار ، والتعبير (بالتذوق) لبيان عظمة الإحساس بالألم ، ووصف الله - ﷻ - العذاب (بالكبير) دلالة على عظم قدره كمّاً وكيفاً ، وجاء العذاب منكراً للتنوع واختلافه .

ردُّ قول المشركين :

رجع الله - ﷻ - إلى خطاب رسوله - ﷺ - موضحاً بطلان قولهم من قوله : ﴿ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ فقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ أي وما بعثنا قبلك أحداً من المرسلين إلا إنهم آكلين الطعام ماشين في الأسواق ، وليس ذلك بُنْأَفٍ لحالهم ومنصبهم لأنهم بشرٌ لا يستغنون عن حاجاتهم البشرية ، أي فكذلك أنت يا محمد فليس ذلك مانع لك من أن تكون رسولاً من عند الله فلماذا يقولون : ﴿ مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ ، بل الأدلة قائمة والبراهين ساطعة على صدق ما جاءوا به وما جاء به الرسول - ﷺ - فهو رسول من عند الله - ﷻ - .

قال السيوطي - رحمه الله - : « وفي هذه الآية دليل على إباحة المشي في الأسواق للتكسب والتجارة ونحو ذلك » .

ولدخول السوق آداب مرعية في دين الله - ﷻ - منها :

- ١- غُضُّ البصر عن المحرمات ، وخفض الصوت .
- ٢- الإكثار من ذكر الله - ﷻ - .
- ٣- السماح في البيع والشراء ، ولا يشتري ويبيع باليمين (الحلف) .
- ٤- الحذر من الغش والتدليس والحيل في البيع والشراء .
- ٥- تعظيم قدر الصلاة .

من سنن الله - ﷻ - في عباده :

ختم الله - ﷻ - هذه الآية مبيناً سنة من سننه في عباده قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۚ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۚ ﴾ أي ولقد امتحنا بعضكم ببعض وجعلنا بعضكم فتنه وبلاء لبعض ، فقد كان إذا أراد الشريف أن يسلم ورأى الوضع قد أسلم قبله أنف وقال : لا أسلم بعده فيكون عليّ السابقة والفضل ، فيقيم على كفره ؛ فابتلينا الغني بالفقير والسقيم بالصحيح والشريف بالوضع لنختبر صبركم وإيمانكم ، ﴿ أَتَصْبِرُونَ ۚ ﴾ على الحق على ماترون من هذه الحال الشديدة والابتلاء العظيم ؛ أتشكرون أم تكفرون ؟ ! قال الحسن البصري - رحمه الله - : يقول الأعمى : لو شاء الله - ﷻ - لجعلني بصيراً مثل فلان ويقول الفقير : لو شاء الله - ﷻ - لجعلني غنياً مثل فلان ويقول المريض : لو شاء الله - ﷻ - لجعلني صحيحاً مثل فلان ؛ وهكذا يمتحن الله البشر بعضهم ببعض . ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۚ ﴾ يعلم أحوالكم ويطلع عليها ، ويصطفى من يعلمه يصلح لرسالته ويختصه بتفضيله ، ويعلم أعمالكم فيجازيكم عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

من من هداية الآيات

- ١- بيان تبرؤ الآلهة من المشركين .
- ٢- لا يرضى الله - ﷻ - أن يُشرك به ولو كان الشريك ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا .
- ٣- من منهج القرآن الكريم تفنيد شبهات المبطلين .
- ٤- بيان مصير المشركين يوم القيامة .
- ٥- إباحة دخول الأسواق للتكسب والتجارة .
- ٦- ابتلاء العباد بعضهم ببعض سنة من سنن الله - ﷻ - في عباده .

من القيم المستفادة :

- حب القرآن الكريم .
- الصبر .
- الشكر .



التقويم

السؤال الأول : صحّح ما تحته خط في العبارات التالية ثم أعد كتابته بين القوسين :

- الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ ﴾ للاستعلام . (.....)
- معنى كلمة ﴿ بُورًا ﴾ في الآيات الكريمة الإضلال والغواية . (.....)
- جاءت كلمة ﴿ عَذَابًا ﴾ منكرة لعظمة الإحساس بالألم . (.....)
- الحشر تعني الطريق . (.....)

السؤال الثاني :

- لم غُلب غير العقلاء على العقلاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ .. ﴾ ؟

.....
.....

السؤال الثالث : استخرج من الآيات الكريمة - موضوع الدرس - ما يوافق المعاني التالية :

- ١- ما بعثنا قبلك أحداً من المرسلين إلا أنهم آكلين الطعام ماشين في الأسواق :

.....

- ٢- يُجمع الكفار وما يعبدون من دون الله ويُسأل المعبود أنتم دعوتهم هؤلاء لعبادتكم :

.....

السؤال الرابع : بم تنصح كل من ابتلي بمختلف الابتلاءات في الدنيا ؟

.....



جزاء الاستكبار

سورة الفرقان الآيات (٢١ - ٢٣)

تمهيد :

يستمر الكفار في عتوهم واستكبارهم ومجادلتهم لعدم قبول الحق الذي جاءهم فيطلبون من الرسول - ﷺ - أموراً عديدة ، كنزول الملائكة عليهم ، وغير ذلك مما فيه الجرأة على دين الله - ﷻ - ، بل ويزعمون أن الرسالة متوقف ثبوتها على ذلك وأي كبر أعظم من هذا ؟ فيرد القرآن الكريم عليهم وأي ردّ مما ستأوله في الآيات التالية .

قال تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أُنْزِلْ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرِ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ
حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
لَا يَرْجُونَ	لا يأملون
فِي أَنْفُسِهِمْ	في صدورهم
وَعَتَوْا	العتو مجاوزة الحد في الطغيان والبلوغ إلى أقصى غاياته
حِجْرًا مَحْجُورًا	حراماً محرماً ، الحجر المنع ، والمحجور الممنوع

عمدنا وقصدنا	وَقَدِمْنَا
جمع هباءة وهو التراب الذي تطيره الرياح كأنه دخان	هَبَاءٌ
متفرقاً	مَنْشُورًا

الشرح الإجمالي للآيات :

كفر وطغيان :

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ هذه المقالة من جملة شبههم التي قدحوا بها في النبوة ؛ أي وقال المشركون الذين لا يأملون لقاء ما وعدنا على الطاعة من الثواب ومعلوم أن من لا يرجو الثواب ، لا يخاف العقاب ﴿ لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةَ ﴾ أي هلا أنزلوا علينا فيخبرونا بأن محمداً صادق أو هلا أنزلوا علينا رسلاً يرسلهم الله ﴿ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ﴾ عياناً فيخبرنا بأن محمداً رسول .

ثم أجاب الله -عز وجل- عن شبهتهم هذه فقال : ﴿ لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ أي أضمروا الاستكبار عن الحق والعناد في قلوبهم ، ووصف العتو بالكبر لكون بما تكلموا به من هذه المقالة الشنيعة في غاية الكبر والعظم حتى أنهم لم يكتفوا بإرسال البشر ، بل طلبوا إرسال الملائكة إليهم ، بل جاوزوا ذلك إلى التخيير بينه وبين مخاطبة الله -عز وجل- ورؤيته في الدنيا من دون أن يكون بينهم وبينه ترجمان ، وهذا حال كل من جهل نفسه ولم يقف عند حده .

حال المشركين عند رؤية الملائكة :

ثم قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ يوم يرون الملائكة عند الاحتضار وفي القبر ويوم القيامة على غير الصورة التي اقترحوها لا لبشرهم بالجنة ولكن لتقول لهم : جعل الله الجنة مكاناً محرماً عليكم ، فهذا الذي اقترحوه وهذا الذي طلبوه إن استمروا على إجرامهم لا بد أن يروه ويلقوه ، وحينئذ يتعوذون من الملائكة ويفرون ولكن لا مفر لهم .

وانتصاب ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ﴾ بفعل محذوف تقديره : واذكر يوم .

وعيد آخر :

ثم توعدهم الله -ﷻ- بوعيد آخر ومن لون مختلف بقوله ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (٢٣) وعمدنا إلى ما عملوا من مظاهر الخير والبر من صلة الرحم وإغاثة الملهوف وإطعام الطعام وأمثالها فجعلناها باطلاً مضمحلاً ، لا ينفعهم كالهباء المنثور وهو ما يرى في ضوء الشمس من خفيف الغبار ، وذلك أن العمل لا ينفع في الآخرة إلا إذا توفر في صاحبه الإيمان بالله وتوحيده والإخلاص له والمتابعة للنبي -ﷺ- ، فالعمل الصالح لا ينتفع به من كفر بالله -ﷻ- يوم القيامة ، أما لو عمل الكافر عملاً صالحاً في الدنيا كأن أطعم جائعاً أو سقى عطشانياً أو نحو ذلك فإنه يجازى به في الدنيا ، كما قال النبي -ﷺ- : « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنةً فيعطي بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة ؛ وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها » (١) .

من من هداية الآيات

- ١- بيان ما عليه المشركون من الكفر والعناد والطغيان وإثارة الشبهات الباردة السمجة .
- ٢- لا يبشر الكافر بخير عند احتضاره ولا في قبره ولا يوم القيامة .
- ٣- بطلان أعمال الكافرين يوم القيامة .
- ٤- الإيمان بالله وتوحيده أعظم الحسنات وأصلها إذ لا تنفع الحسنات إلا مع التوحيد .

من القيم المستفادة :

- الدعاء .
- حب الطاعات .
- الإخلاص .

(١) رواه مسلم .

التقويم

السؤال الأول : هل يجازى الكافر على أعماله الصالحة في الدنيا ؟

.....

.....

السؤال الثاني : استخرج من آيات الدرس ما يوافق قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ :

.....

.....

السؤال الثالث : ظلل الحرف (أ) إذا كانت العبارة صحيحة ، والحرف (ب) إذا كانت العبارة غير صحيحة فيما يأتي :

- ١- من يرجو الثواب يخاف العقاب . (أ) (ب)
- ٢- أضمر الكفار الاستكبار والعناد في قلوبهم . (أ) (ب)
- ٣- ينتفع الكفار بأعمالهم الصالحة يوم القيامة . (أ) (ب)
- ٤- معنى كلمة ﴿ هَبَاءٌ ﴾ صعباً وشاقاً . (أ) (ب)

السؤال الرابع : وضح أهمية التوحيد والإيمان كما فهمت من الآيات :

.....

.....

.....

.....



من أهوال يوم القيامة

سورة الفرقان الآيات (٢٤ - ٢٦)

تمهيد :

أكثر الله - عَزَّوَجَلَّ - في كتابه العظيم من ذكر يوم القيامة وما يحدث فيه من أهوال عظيمة وأحوال شديدة مما يجعل المؤمن يخشى ذلك اليوم ويستعد له بالإيمان والعمل الصالح ، حيث لا ينجو أحد إلا بهذين الأصلين ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) ﴿ ١ ﴾ .

ورحم الله تعالى القائل :

لفررت من أهل ومن أوطان	يوم القيامة لو علمت بهوله
وتشيب فيه مفارق الولدان	يوم تشقت السماء بهوله
في الخلق منتشر عظيم الشان	يوم عبوس قمطرير شره

فليكن المؤمن وجلًا خائفًا من شر ذلك اليوم راغبًا فيما عند الله من الكرامة والنعيم .

قال تعالى

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِلُ الْمَلَائِكَةِ نَزِيرًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ	أصحاب من الصحبة وهي الخلطة ، والجنة هي دار النعيم التي أعدها الله لأوليائه المتقين
مَقِيلًا	موضع قائلة أي : مكان استرواح وتمتع ظهيرة
تَشَقُّقُ	التشقق التفتح
عَسِيرًا	صعباً وشاقاً
بِالْغَمَمِ	السحاب

الشرح الإجمالي للآيات :

الجنة خير منزل :

مَيَّزَ اللهُ -عَزَّوَجَلَّ- حال الأبرار من حال الفجار فقال : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾ أي إن منازل أهل الجنة خير وأفضل من منازل أولئك المشركين الذين يفتخرون بأموالهم وما أوتوا من الترف والنعيم في الدنيا ، ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ أي وأحسن فيها قراراً حين القائلة من مثلها لهم في الدنيا ، لما يتزين به مقيليهم من حُسن الصور والزخرف وغيرها من المحاسن التي لا يوجد مثلها في الدنيا في بيوت المترفين ، ولما فيه من نعيم لا يشوبه كدر ولا تنغيص بخلاف مقييل الدنيا .

قال قتادة : ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ مَنْزِلًا وَمَأْوًى ، وقيل هو على ما تعرفه العرب من مَقِيلٍ نَصْفِ النَّهَارِ ، والقيلولة عند العرب : الاستراحة نَصْفُ النَّهَارِ إذا اشتد الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم ، والمراد : مكان اضطجاعهم في الجنان .

وقال ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : « لا يتتصف النهار يوم القيامة من النهار حتى يَقِيلَ هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار » .

وقال ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- : « والله إنما هي ساعة حتى يَقِيلَ أولياء الله على الأسرة مع الحور العين ، وَيَقِيلَ أعداء الله مع الشياطين مقرنين » .

فإن قيل كيف يكون أصحاب الجنة خيرٌ مُستقراً من أهل النار ولا خير في أهل النار ؟ !
الجواب : إنه من قبيل التقرّيع والتّهمك كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ
الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(١) فليست المفاضلة هنا على بابها .

والمراد بالمقيل هنا المكان الذي ينزل فيه للاستراحة وإلا فليس في الجنة حرّ ولا نوم ، بل
استراحة مطلقة من غير غفلة ولا ذهاب حس من الحواس .

من أهوال يوم القيامة :

ذكر الله - ﷻ - شيئاً من أحداث يوم القيامة الجسام وأحواله العظام ، ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ
بِالْغَمَمِ وَنُزِلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا ﴾ ^(٢٥) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿
أي واذكر ذلك اليوم العصيب الرهيب حين تشقق السماء وتتفطر ﴿ بِالْغَمَمِ ﴾ أي عن الغمام
الكثيف (والباء وعن) يتعاقبان ، كما تقول : رميت بالقوس ، وعن القوس ، وروى أن السماء
تشقق عن سحب أبيض رقيق .

وتنزل ملائكة كل سماء فيقفون صفّاً صفّاً ، إما صفّاً واحداً محيطاً بالخلائق ، وإما كل سماء
يكونون صفّاً ثم السماء التي تليها صفّاً وهكذا .

القصد أن الملائكة - على كثرتهم وقوّتهم - ينزلون محيطين بالخلق مذعنين لأمر ربهم لا
يتكلم منهم أحد إلا بإذن من الله - ﷻ - ، فما ظنك بالآدمي الضعيف خصوصاً الذي بارز ماله
بالعظائم ، وأقدم على مساخطه ثم قدم عليه بذنوب وخطايا لم يتب منها ، فيحكم فيه الملك
الحق بالحكم الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : تشقق سماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن
والإنس ، ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في سماء الدنيا ، ثم كذلك حتى تشقق
السماء السابعة ، ثم ينزل الملائكة المقربون وحملة العرش ، وهو معنى قوله : ﴿ وَنُزِلَ الْمَلَكُ
تَنْزِيلًا ﴾ أي من السماء إلى الأرض لحساب الثقلين . وقيل : إن السماء تشقق بالغمام الذي بينها

(١) سورة الفرقان : ١٥ .

وبين الناس ، فبتشقق الغمام تتشقق السماء ، فإذا انشقت السماء انتقض تركيبها وطويت ونزلت الملائكة إلى مكان سواها . وتنزل الملائكة لتحيط بالخلائق وتسوقهم إلى أرض المحشر .

قوله تعالى : ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ ﴿ الْمَلِكُ ﴾ مبتدأ و ﴿ الْحَقُّ ﴾ صفة له و ﴿ لِلرَّحْمَنِ ﴾ الخبر ، أي الملك الثابت الذي لا يزول للرحمن يومئذ .

فلا يبقى لأحد من المخلوقين مُلك ولا صورة مُلك ، كما كانوا في الدنيا ، بل قد تساوت الملوك ورعاياهم والأحرار والعبيد والأشراف وغيرهم ، والمُلك الذي يزول وينقطع ليس بملك ، فبطلت يومئذ أملاك المالكين وانقطعت دعاويهم ، وزال كل مُلك ومُلْكِه ، وبقي الملك الحق لله وحده الذي تعنوا له الوجوه وتذل له الجبابرة ، فلا مالك يومئذ سواه .

ومما يرتاح له القلب ، وتطمئن به النفس وينشرح له الصدر أن أضاف الملك في يوم القيامة لاسمه ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء ، وعمّت كل حيٍّ وملأت الكائنات وعمّرت بها الدنيا والآخرة ، وتم بها كل ناقص ، وزال بها كل نقص ، وغلبت الأسماء الدالة عليه الأسماء الدالة على الغضب وسبقت رحمته غضبه وغلبته ، فلها السبق والغلبة ، وخلق هذا الآدمي الضعيف وشرفه وكرمه ليُثَمَّ عليه نعمته ، وليتغمده برحمته ، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه ، ينتظرون ما يحكم فيهم وما يجري عليهم وهو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم فما ظنك بما يعاملهم به ، ولا يهلك على الله إلا هالك ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة وحقّت عليه كلمة العذاب .

﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ وكان ذلك اليوم يوماً صعباً شاقاً على الكفار لما ينالهم من الأهوال ويلحقهم من الخزي والهوان ، وهو على المؤمنين أخف من صلاة مكتوبة ، ودلت الآية على تيسيره على المؤمنين لأنه إذا كان على الكافرين عسيراً فهو على المؤمنين يسير ، فقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « والذي نفسي بيده إنه لِيُخَفَّفَ على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا » (١) .

من من هداية الآيات

- ١- مَيِّزَ الله -عَزَّوَجَلَّ- حال الأبرار من حال الفجار .
- ٢- الجنة دار النعيم الأبدي السرمدي الذي أعده الله -عَزَّوَجَلَّ- لأولياءه المتقين .
- ٣- بعض أهوال وأحوال يوم القيامة .
- ٤- يخبر تعالى عن عظمة يوم القيامة وما فيه من الشدة والكروب .
- ٥- الملك الحق لله -عَزَّوَجَلَّ- يوم القيامة .

من القيم المستفادة :

- التشويق للجنة .
- التخويف من يوم القيامة .
- الخشية من الله -عَزَّوَجَلَّ- .



التقويم

السؤال الأول : علام يدل قول ابن عباس -رضي الله عنهما- : « والله إنما هي ساعة حتى يقبل أولياء الله على الأسرة مع الحور العين ، ويقبل أعداء الله مع الشياطين مقرنين » ؟

.....

.....

السؤال الثاني : املأ العبارات التالية بما يناسبها ليتم المعنى :

- المراد بالمقيل هو المكان الذي ينزل فيه للـ ، وإلا فليس في الجنة ولا بل استراحة مطلقة .

- يوم القيامة تتشقق السماء وتنزل الملائكة لتحيط بـ وتسوقهم إلى

السؤال الثالث : على ضوء فهمك لآيات الدرس صف حال المؤمن ، وحال الكافر ، يوم القيامة :

حال المؤمن	حال الكافر
.....	
.....	
.....	
.....	
.....	



السؤال الرابع :

قال تعالى : ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾

- وضح سر إضافة الملك لاسم (الرحمن) - عجل - في يوم القيامة :

.....

.....

.....

.....



خطورة أصحاب السوء

سورة الفرقان الآيات (٢٧ - ٢٩)

تمهيد :

من التوجيهات والآداب التي أدبنا بها المصطفى المختار مصاحبة الأخيار والبعد عن الأشرار ، لما في صحبة الصالحين من منافع عظيمة وفوائد كثيرة ، كما قال النبي - ﷺ - : « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلِ الْمَسْكِ إِذَا أُحْذِيكَ وَإِذَا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِذَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً ، وَنَافِخِ الْكِيرِ إِذَا أُحْزِقَ ثِيَابُكَ وَإِذَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً »^(١) ، فالجلوس الصالح يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك أو يهدي لك نصيحة يحثك على الطاعة يبصرك بعيوبك ، يدعوك إلى مكارم الأخلاق بقوله وفعله وحاله ، وأقل ما تستفيد من الجلوس الصالح أن تنكف بسببه عن السيئات والمعاصي ، وغير ذلك من المصالح والفوائد .

أما جلوس السوء فمجالسته مُضِرَّةٌ من جميع الوجوه ، وشر على مَنْ صاحبه وَمَنْ خالطه فكم هلك بسببه أقوام ، وكم قاد صاحبه إلى المهالك ولهذا كان من أعظم النعم على العبد المؤمن أن يوفقه الله - ﷻ - لصحبة الأخيار .

والآيات التي معنا تبين عاقبة من اتخذ الأشرار أصحاباً له وكيف يتقطع من الندم والحسرة يوم القيامة .

قال تعالى

وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَئِي
لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ
لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

(١) صحيح البخاري - كتاب البيوع - باب في العطار وبيع المسك (١٩٩٥) .

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
يَوَلِّتَنَ	دعاء على نفسه بالويل والثبور
فُلَانًا	كناية عن اسم علم مبهم
خَلِيلًا	صديقاً ، من الخلّة وهي المودة
أَضَلَّنِي	صَرَفَنِي
عَنِ الذِّكْرِ	وهو القرآن
خَذُولًا	من الخذل وهو ترك النصرة والإغاثة

الشرح الإجمالي للآيات :

الندم والحسرة يوم القيامة :

بعد أن بيّن الله - ﷻ - شيئاً من أهوال يوم القيامة وما يكون فيه ، ذكر شدة ندم الظالمين وعظيم حسرتهم في هذا اليوم ، فقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (٢٧) أي في هذا اليوم يعضّ الظالم المشرك بربه على يديه ندماً وأسفاً ، حيث لا تكفيه يد واحدة يعضّ عليها ، إنما هو يداول بين هذه اليد وتلك ، أو يجمع بينهما لشدة ما يعانيه من الندم اللاذع المتمثل في عضّه على اليدين ، وهذا فعل يرمز ويشار به إلى الحالة النفسية التي يعيشها الظالم ، على ما فرّط في جنب الله وعلى ما أعرض عنه من الحق الواضح الذي جاء به رسوله - ﷺ - ويقول : ليتني مشيت أوسلكت مع الرسول طريقاً إلى النجاة ، ولم تشعب بي طرق الهلاك .

وفي الآية دليل قاطع وبرهان ساطع على أن النجاة فيما جاء به الرسول - ﷺ - من الذكر والموعظة ، فمن اتبع الرسول - ﷺ - نجا من الضلالات والمحدثات والسيئات في الدنيا وكان له العاقبة الحميدة في الآخرة .

الظالم يدعو على نفسه :

ومن شدة ما عليه الظالم من الحزن والندم والأسف والحسرة يدعو على نفسه بالويل والثبور مُظهراً الندم في وقت لا ينفع فيه الندم ، ﴿يَوَيْلَ لِيَتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (٢٨) أي ليتني لم اتخذ فلاناً الذي أضلني وصرفني عن طريق الهدى خليلاً صديقاً .

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ أي هذا الذي اتخذه خليلاً أضلني عن الإيمان بالقرآن بعد إذ جاءني من ربي ، وسُمِّي القرآن ذكراً لأنه يذكر بما فيه نجاة المتقين وهلاك الظالمين ، أو لأن من آمن به واتبعه يعظم ذكره ويعلو شأنه .

ثم أخبر عن عادة الشيطان ودأبه فقال : ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ أي وكان من أمر الشيطان وشأنه أن يخذل الإنسان ، فيصرفه عن الحق ويدعوه إلى الباطل ثم لا ينقذه مما يحل به من البلاء ولا ينجيه منه .

والآيات نزلت في عقبة بن أبي مُعَيْط ، وهي عامة في كل ظالم فاجر ضل بعد الهدى بسبب مخالطته الأشرار .

قصة عقبة بن أبي مُعَيْط الهالك :

كان هذا الرجل يكثر مجالسة النبي - ﷺ - ويعجبه حديثه ، وكان كلما رجع من السفر دعا أصحابه إلى وليمة ، ودعا ذات يوم رسول الله - ﷺ - إلى طعامه فأتاه النبي - ﷺ - طمعاً في إسلامه ، فلما قدم الطعام أبى أن يأكل منه النبي - ﷺ - حتى يشهد له بالرسالة ، فشهد عقبة فأكل رسول الله - ﷺ - من طعامه وكان لعقبة صديق لم يحضر الوليمة لأنه كان مسافراً ، هو أبي بن خلف ولما رجع بلغه أن عقبة قد أسلم ، فلما جاءه قال له بلغني أنك صبأت (أسلمت) قال : لا ، ولكن دخل علي رجل عظيم أبى أن يأكل من طعامي حتى أشهد له بالرسالة فشهدت له بذلك ، فقال أبي : وجهي من وجهك حرام ولا أكلمك أبد الدهر حتى تأتي محمداً فترد عليه دعوته وتبصق في وجهه وتشتمه ، ففعل الشقي ذلك وارتد عن الإسلام ، وقُتل يوم بدر كافراً .

من من هداية الآيات

- ١- بيان أن ندم المشركين والظالمين يوم القيامة ليس بنافع لهم .
- ٢- مَضَرَّة أصحاب السوء على من يخالطهم ويجالسهم .
- ٣- النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة باتباع النبي - ﷺ - .
- ٤- خذلان الشيطان لأوليائه من الجن والأنس يوم القيامة .

من القيم المستفادة :

- الصحبة الصالحة .
- فعل الخير .
- اتباع هدي النبي - ﷺ - .



التقويم

السؤال الأول : هناك ثمرات يجنيها من يصاحب الأخيار . وضوحها :

السؤال الثاني : ما أثر مصاحبة الأشرار على المرء ؟

السؤال الثالث : فيمن نزلت هذه الآية ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ ؟

السؤال الرابع : اختر من القائمة (ب) ما يناسبها من القائمة (أ) بوضع الرقم المناسب أمامها :

(أ)	الرقم	(ب)
١		نجاة المتقين وهلاك الظالمين
٢		عامّة في كل ظالم فاجر ضل بعد الهدى
٣		كان من شأن الشيطان وشأنه
٤		نزلت الآيات في عقبة بن أبي معيط وهي
		ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله - ﷻ -
		خذلان الإنسان وصرفه عن الحق



عظمة القرآن الكريم



سورة الفرقان الآيات (٣٠ - ٣٤)

تمهيد :

من علامات الخير في الدنيا والآخرة أن يعلّق المرء نفسه بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) الذي هو صمّام أمان من الفتن والشُرور والمعاصي والذنوب ؛ ومن أبلغ ما يدل على شرف القرآن الكريم وعلوّ قدره ما قاله عليّ - رضي الله عنه - : « كتاب الله ؛ فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم ؛ هو الفصل ليس بالهزل ؛ من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ؛ وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق من كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعت به حتى قالت : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۝٢ ﴾ ^(١) من قال به صدق ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم » .

والقرآن الكريم مع كونه كتاب هداية فيه رد على كل مبطل يريد بباطله رد الحق وإضعافه وإذلال أهله ، وبه يثبت الله - عز وجل - أهل الحق والاستقامة ولا سيما عند كثرة الفتن وانتشار الباطل وأهله .

فاستمسك بهذا القرآن العظيم وتأس بنبيك الكريم - ﷺ - ؛ واجعل الصبر واليقين شعارك وصراطك المستقيم .

قال تعالى

وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۝٣٠ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۖ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ

(١) سورة الجن : ١ - ٢ .

الْقُرْآنُ جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُوءُ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
مَهْجُورًا	متروكاً لم يؤمنوا به إذ الهجرة هي الترك
هَادِيًا	يهدي عباده إلى مصالح الدين والدنيا
وَنَصِيرًا	ينصرهم على الأعداء
لَوْلَا نُزِّلَ	هلاً نزل
جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ	دفعه واحدة
لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ	لنقوي به قلبك
وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا	فرقناه آية بعد آية أو بيّناه
بِمَثَلٍ	بحجة وشبهة
وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا	وأحسن إيضاحاً وبياناً
يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ	يسحبون ويجرون على وجوههم
وَأَضَلُّ سَبِيلًا	وأبعد طريقاً عن الحق

الشرح الإجمالي للآيات :

هجر القرآن :

بعد أن ذكر الله -عز وجل- مطاعن المشركين ومقاتلهم في القرآن والنبوة ومارد عليهم ، أعقب

ذلك بشكاية الرسول -ﷺ- إلى ربه بأن قومه قد هجروا كتابه ولم يلتفتوا إلى ما فيه هداية لهم ورعاية لمصالحهم في دينهم ودنياهم ، فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۖ ﴾ أي وقال الرسول مشتكياً إلى ربه : ربّ إن قومي الذين بعثتني إليهم لأدعوهم إلى التوحيد قد هجروا كتابك وتركوا الإيمان به ، بل ولم يأبهوا بوعدك ووعدك وأعرضوا عن استماعه واتباعه .

وفي ذكره -ﷺ- بلفظ الرسول تحقيق للحق ورد عليهم إذ كان ما أوردوه قدحاً في رسالته -ﷺ- .

قال ابن القيم -رحمته- في الفوائد : « هجر القرآن » أنواع :

أحدهما : هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه .

والثاني : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به .

والثالث : هجر تحكيمة والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه .

والرابع : هجر تدبره وتفهمه .

والخامس : هجر الاستشفاء والتداوي به من الأمراض .

وكل هذا داخل في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۖ ﴾ « انتهى كلامه -رحمته- .

عداوة وكفاية :

سَلَّى اللهُ -ﷻ- نبيه -ﷺ- بأن هذا ليس دأب قومك فحسب ، بل إن كثيراً من الأمم قد فعلوا مع رسلهم مثل هذا ، فاقتد بأولئك الأنبياء ولا تجزع ، ثم وعده وعداً كريماً بأن يهديه إلى مطلبه وينصره على عدوّه فقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي كما جعلنا لك أعداء من المشركين من الذين لا يصلحون للخير فيقولون عليك ما يقولون من الأباطيل ويفعلون من السُّخف ما يفعلون ، جعلنا لكل نبيٍّ من الأنبياء الذين سلفوا وأوتوا من الشرائع ما فيه هدى للناس أعداء لهم من شياطين الإنس والجن ، وكانوا لهم بالمرصاد وقاوموا

دعوتهم ، فلا تجزع أيها الرسول الكريم واصبر كما صبر الأنبياء - ﷺ - .

ثم وعده الله - ﷻ - بالهداية والنصر وغلبته لأعدائه فقال : ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ أي وكفاك ربك هادياً لك ومرشداً لك بالحجة والبرهان إلى مصالح الدين والدنيا ، ﴿ وَنَصِيرًا ﴾ لك ولأتباعك بالسيف والسنان وسينصرك على أعدائك ويدفع عنك كل مكروه في أمر الدين والدنيا فاكثف به وتوكل عليه .

نزول القرآن منجماً :

مازال المشركون يوردون الشبهات حول القرآن والنبوة فأتوا بشبهة سمجة باردة وهي : لو كان القرآن من عند الله حقاً لأنزله دفعة واحدة كما أنزلت التوراة والإنجيل والزيور ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ أي هلا أنزل القرآن على محمد جملة واحدة كالكتب السابقة ، فرد الله عليهم ما قالوا فقال : ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ أي أنزلناه كذلك مفرقاً ومنجماً بحسب الحوادث لنقوي قلبك به وتزداد به طمأنينة ، وهو أقرب إلى أن يقوي قلبك في كل أمر يحدث مما قد يجابهونك به من المكاييد وأساليب المكر فلا تتردد ولا تتراجع ، وهو أقرب إلى حفظك له وفهمك معانيه فتعيه وتحمله لأنهم لا يسألونك عن شيء إلا أجيبوا عنه ، وقد بيناه في تثبت ومُهَلَّة ، وفي الآية إشارة إلى حفظ القرآن بتمهل حتى يكون أوعى له وأحفظ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ أي وأنزلناه عليك هكذا على مهل وقرأناه عليك بلسان جبريل شيئاً فشيئاً في ثلاث وعشرين سنة وبيناه على لسانك .

وبعد أن أبان الله - ﷻ - فساد قولهم بالدليل الواضح أعقبه بما يقوي قلبه تجاه المشركين بقوله : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أي لا يأتيتك المشركون يا محمد بمثل من أمثالهم التي من جملتها اقتراحاتهم المعنية ، ولا بحجة وشبهة يلتمسون بها عيب القرآن أو الرسول ﴿ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم ، فيبطل ما جاءوا به من المثل ويدمغه ويدفعه ، وفي هذه الآية عناية الله - ﷻ - لنبيه - ﷺ - وشرف له حين ينزل عليه القرآن صباحاً ومساءً ليلاً ونهاراً حضراً وسفراً ، وكذلك أن هذا الكتاب كتاب

حجة وبرهان وداحض لكل باطل ، قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (١) .

كيف يحشر الكافر يوم القيامة :

ثم قال الله -عز وجل- مخبراً عن سوء حال الكافرين في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم في أسوأ الحالات وأقبح الصفات ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٣٤) ، فهم شر الناس منزلة ومصيراً وأبعدهم طريقاً عن الحق .

عن أنس -رضي الله عنه- : أن رجلاً قال يا رسول الله كيف يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ فقال : « إن الذي أمشاه على رجله قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة » (٢) . وفي ذلك إذلاله وإهانته .

من من هداية الآيات

- ١- ذم من هجر القرآن ولم يرفع به رأساً .
- ٢- المقصود من إنزال القرآن العمل به وتدبر معانيه .
- ٣- إن للأنبياء وأتباعهم أعداء من شياطين الإنس والجن .
- ٤- الاعتصام بالله -عز وجل- والتمسك بكتابه عاصم من شر الأعداء .
- ٥- نزول القرآن منجماً له حكم ظاهرة وبراهين ساطعة .
- ٦- القرآن الكريم كتاب هداية وحجة وبرهان .
- ٧- إذلال الله -عز وجل- للمشركين يوم القيامة .

من القيم المستفادة :

- الاعتناء بالقرآن الكريم .
- تكريم النبي -صلى الله عليه وسلم- .
- الالتجاء إلى الله -عز وجل- .

(١) سورة الأنبياء : ١٨ .

(٢) رواه البخاري .

التقويم

السؤال الأول : فسّر قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَك بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ :

.....

السؤال الثاني : علّل ما يأتي :

- إنزال الله تعالى القرآن منجماً ومفرقاً :

.....

السؤال الثالث : ما أنواع هجر القرآن الكريم ؟

.....

السؤال الرابع : من خلال فهمك لآيات الدرس صف حال الكافر وحشره يوم القيامة :

.....

السؤال الخامس : أكمل المخطط السهمي التالي :



الاعتبار بقصص الأنبياء

سورة الفرقان الآيات (٣٥ - ٣٧)

التمهيد :

قصّ الله - ﷻ - في القرآن الكريم بعض قصص الأنبياء مع أممهم الذين كذبوهم فحل بهم النكال والوبال ، ليكون في ذلك عبرة للمشرّكين الذين كذبوا رسوله - ﷺ - ، حتى لا يحل بهم من العذاب مثل ما حل بمن قبلهم إذا هم تماردوا في تكذيبهم وأصروا على بغيتهم وطغيانهم ، وقد ذكر في سورة الفرقان من ذلك خمس قصص : قصة موسى مع فرعون وقومه ، وقصة نوح وقومه ، وقصة هود مع قومه عاد ، وقصة صالح مع قومه ثمود ، وقصة أصحاب الرس .

قال تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
الْكِتَابَ	التوراة
وَزِيرًا	الوزير : من يُرجع إليه للاستعانة برأيه
تَدْمِيرًا	التدمير : هو كسر الشيء على وجه لا يمكن معه إصلاحه
وَأَعْتَدْنَا	هيئنا وأعدنا

الشرح الإجمالي للآيات :

قصة موسى وهارون - عَلَيْهِمَا السَّلَام - :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾ (٣٥)

تعرض الآيات خمسة نماذج مختصرة لقصاص المكذبين ومصائرهم ، متوعداً الله بها من كذب رسالة محمد - ﷺ - من مشركي مكة ، ويحذرهم بها من عقابه وأليم عذابه ، وتبدأ بذكر موسى - ﷺ - إذ أنزل الله - ﷻ - عليه التوراة كما أنزل على محمد - ﷺ - الفرقان كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ واللام في قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ جواب قسم محذوف ، أي : والله لقد آتينا موسى التوراة ، وجعل الله - ﷻ - معه أخاه هارون وزيراً أي نبياً موازراً ومؤيداً وناصرًا معيناً وظهيراً له ، والوزير في اللغة الذي يُرجع إليه ويُعمل برأيه ، والوزارة لا تنافي النبوة ، فقد كان يُبعث في الزمن الواحد أنبياء ، ويؤمنون بأن يؤازر بعضهم بعضاً ، ولا تنافي بين هذه الآية وقوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ (٥٣) ^(١) فإنه وإن كان نبياً فالشريعة لموسى - ﷺ - وهو تابع له فيها ، كما أن الوزير متبع لسلطانه . ثم ذكر ما أمرا به من تبليغ الرسالة مع بيان أن النصر لهما آخرًا على أعدائهما .

﴿ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ نَدْمِيرًا ﴾ (٣٦)

فهذا موسى - ﷺ - يؤتى الكتاب ويرسل معه أخوه هارون وزيراً ومعيناً ، ويؤمر بمواجهة الظلم ، أي فقلنا لهما اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بدلائل التوحيد المودعة في الأنفس والآفاق ، فلما ذهبا إليهم كذبوهما ، ﴿ فَدَمْزَلْنَهُمْ نَدْمِيرًا ﴾ فأهلكناهم إهلاكاً مريعاً بالغرق في البحر لما كذبوا رسلنا ، ولفظ التدمير يدل على فظاعة العقاب لأنه دمار تام ولشدته لم ينج منهم أحد . وفي الآية تسلية لرسوله - ﷺ - ، وأنه ليس أول من كذب من الرسل ، فله أسوة بمن سلف منهم .

قصة نوح - ﷺ - :

﴿ وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٣٧)

أي وكذلك فعلنا بقوم نوح حين كذبوا رسولنا نوحاً - ﷺ - ، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله ويحذّرهم نقمته ﴿ وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ^(١) - فأغرقناهم ولم نترك منهم أحداً إلا أصحاب السفينة ، وجعلناهم عبرة فإن آية الطوفان لا تنسى على الدهر ، وكل من نظر فيها اعتبر إن كان له قلب يتدبر كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُ كُرْفِي الْجَارِيَةِ ۖ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۖ ﴾ ^(٢) أي أبقينا لكم السفينة ، لتذكروا نعمة الله عليكم بإنجائكم من الغرق وجعلكم من ذرية من آمن به وصدّق بأمره .

وفي قوله : ﴿ كَذَّبُوا الرُّسُلَ ﴾ وهم لم يكذبوا إلا رسولاً واحداً وهو نوح - ﷺ - إيماء إلى أن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع الرسل ، إذ لا فرق بين رسولٍ وآخر ، إذ جميعهم يدعون إلى توحيد الله ونبذ الأصنام والأوثان .

ثم ذكر مآل المكذبين فقال : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ أي وأعدنا لكل من كفر بالله ولم يؤمن برسله عذاباً أليماً في الآخرة . وفي ذلك إشارة إلى أنّ قريشاً سيحل بهم من العذاب في الدنيا والآخرة مثل ما حل بأولئك المكذبين إذا لم يرفعوا عن غيهم .

من هداية الآيات

- ١- بيان قصة موسى وأخيه هارون - عليهما السلام - وما فيهما من الدروس والعبر .
- ٢- تأييد الله - عز وجل - لرسله بإنزال الكتب .
- ٣- ذكر عاقبة من كذب الرسل وأعرض عن الدعوة .
- ٤- الإشارة إلى أن دعوة الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - واحدة وهي التوجيه .
- ٥- الاعتبار بهلاك من كذب الرسل .

من القيم والاتجاهات المستفادة :

- التصديق بقصص القرآن .
- الاتعاظ بقصص السابقين .
- الخشية من الله - عز وجل - .

(١) سورة هود : ٤٠ .

(٢) سورة الحاقة : ١١ - ١٢ .

التقويم

السؤال الأول : اختر من الكلمات التالية ما يكمل العبارات ويتمم معناها :

(الوزير - الغرق - الرسول - التوراة - الطوفان - الإنجيل)

- ١- يرجع إليه ويعمل برأيه .
- ٢- كتاب موسى - ﷺ - .
- ٣- عقاب قوم نوح - ﷺ - .
- ٤- عقاب فرعون وقومه .

السؤال الثاني : علّل ما يأتي :

١- جعل الله تعالى هارون - ﷺ - وزيراً لموسى - ﷺ - :

.....
.....

٢- أرسل الله - ﷻ - موسى إلى فرعون وقومه :

.....
.....

٣- أبقى الله تعالى السفينة التي أنجى بها نوح وقومه :

.....
.....



عاقبة المكذبين

سورة الفرقان الآيات (٣٨ - ٤٠)

التمهيد :

عرض الله -عز وجل- في كتابه العظيم الكثير من قصص السابقين ، أحياناً تكون موجزة وأحياناً أخرى تكون مفصلة ، وللقصص في القرآن أغراض عدة منها :

١- شد أزر المؤمنين ، وتسليّة لهم عمّا يلاقون من الهموم والمصائب ، وتثبيت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن تبعه من أمتّه ، وتأثير في نفوس من يدعوهم القرآن إلى الإيمان وأنهم إن لم يؤمنوا - لا محالة - هالكون ، وموعظة وذكرى للمؤمنين ، وقد صرح القرآن بهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢٠) ﴿١﴾ . وجاء في سورة العنكبوت لمحة خاطفة عن قصة كل نبي ، مختومة بالعذاب الذي عذب به المذنبون من قومه حتى خُتِمت جميع القصص المجملّة بقول القرآن : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٤٠) ﴿٢﴾ .

أما بقية أغراض القصة فهي بإيجاز :

- ٢- إثبات الوحي والرسالة .
- ٣- بيان أن الدين كله من عند الله .
- ٤- أن الله ينصر رسله والذين آمنوا ويرحمهم وينجيهم من المآزق والكروب .

(١) سورة هود : ١٢٠ .

(٢) سورة العنكبوت : ٤٠ .

٥- تنبيه أبناء آدم إلى خطر غواية الشيطان وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم إلى أن تقوم الساعة .

٦- بيان قدرة الله -عزَّ وجلَّ- .

قال تعالى

وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ
وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَّاءً أَفْكَمَ يَكُونُوا
يَرْوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
الرَّسِّ	البئر غير المطوية (غير المبنية) والجمع : رساس
وَقُرُونًا	جمع قرن ، أي : أهل قُرُونٍ ، والقرنُ : المشهور أنه مئة سنةٍ ، وقيل غير ذلك
ضَرَبْنَا	حذرنا وذكرنا وأنذرنا
الْأَمْثَلُ	جمع مَثَل ، وهي القصة المتضمنة لإقامة الحجة
تَتْبِيرًا	التتبير : هو التفتيت والتكسير ، بمعنى الإهلاك بالعذاب
الْقَرْيَةِ	هي سدوم أعظم قرى قوم لوط
لَا يَرْجُونَ	لا يوقنون
نُشُورًا	البعث للحساب والجزاء

الشرح الإجمالي للآيات :

قصص عاد وثمود وأصحاب الرس :

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ (٣٨)

تُكمل الآيات الكريمة قصص المكذبين و مآلهم ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ أي ودمرنا عاداً قوم هود -عليه السلام- بالريح الصرصر العاتية ، وثمود قوم صالح -عليه السلام- بالصيحة ، وأهلكنا أصحاب الرس الذين كانوا باليمامة وقتلوا نبيهم . واختار ابن جرير أنهم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ أي وأما كثيرة أهلكناهم لما كذبوا رسلنا .

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيْرًا﴾ (٣٩)

ذكر -عليه السلام- أنه أنذر أولئك المكذبين وحذرهم قبل أن يوقع بهم فقال : ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيْرًا﴾ (٣٩) أي وكل هؤلاء أوضحنا لهم حججنا ، وبَيَّنَّا لهم أدلتنا ، وأزحنا عنهم الأعذار ، فتمادوا في كفرهم وطغيانهم ، فأهلكناهم أفضع الإهلاك وأشدّه .

﴿وَلَقَدْ أَنَوَّا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ (٤٠)

ذَكَرَ الله -عليه السلام- مشركي مكة بما يرونه من العبر في حِلِّهم وترحالهم ، وما يشاهدونه مما حَلَّ بأولئك الأمم المكذبة من المثلات ، فقال : ﴿وَلَقَدْ أَنَوَّا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ أي وتالله لقد مرّ هؤلاء المكذبون في رحلة الصيف على سدوم أعظم قرى قوم لوط -عليه السلام- ، وقد أهلكها الله بأن أمطر عليها حجارة من سجيل لأن قومها كانوا يعملون الخبائث ، وحذّرهم لوط -عليه السلام- ، فما أغنت عنهم الآيات والنُّذر ، والسياق في الآية الكريمة يستعرض هذه الأمثلة ذلك الاستعراض السريع لعرض هذه المصارع المؤثرة ، وينهيها بمصرع قوم لوط -عليه السلام- وهم يمرون عليه في سدوم في رحلة الصيف إلى الشام . وقد أهلكها الله -عليه السلام- ثم وبَّخهم على تركهم التذكر حين مشاهدة ما يوجبه فقال : ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ أي أفلم يروا ما نزل بتلك القرية من عذاب الله ، بتكذيب أهلها رسول ربهم فيعتبروا ويتذكروا ويراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم لرسوله ، والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ .

ويقرر في نهايته أن قلوبهم لا تعتبر ولا تتأثر لأنهم لا ينتظرون البعث ، ولا يرجون لقاء الله .
فذلك سبب قساوة تلك القلوب وانطماسها ، ومن هذا المَعين تنبع تصرفاتهم واعتراضاتهم
وسخرياتهم من القرآن ومن الرسول - ﷺ - .

ثم أبان أن عدم التذكر لم يكن سببه عدم الرؤية ، بل منشؤه إنكار البعث والنشور ، فقال :
﴿ **بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا** ﴾ أي إنهم ما كذبوا محمداً - ﷺ - فيما جاءهم به من عند الله
لأنهم لم يكونوا رأوا ما حل بالقرية التي وُصِفَتْ ، بل كذبوه من قبل لأنهم قوم لا يخافون نشوراً
بعد الممات ، ولا يوقنون بعقاب ولا ثواب فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصي الله - ﷻ - .

من هداية الآيات

- ١- بيان تدمير الله - ﷻ - لتلك القرون ومافي ذلك من الاتعاظ والاعتبار .
- ٢- بيان أن قلوب الكافرين قاسية لا تعتبر ولا تتأثر .
- ٣- ذكر الله - ﷻ - مشركي مكة بما يرونه من العبر في حلّهم وترحالهم لعلمهم يعتبرون .

من القيم المستفادة :

- الخشية .
- التأسي بالصالحين .
- نبذ الشرك .



التقويم

السؤال الأول : تخير من المجموعة (ب) ما يناسب المجموعة (أ) بوضع الرقم المناسب أمامها :

	(أ)	(ب)
١	عاد	أمطر عليهم حجارة من سجيل
٢	ثمود	قوم هود - عليه السلام
٣	سدوم	الصيحة
٤	عقوبة قوم هود - عليه السلام	قوم صالح - عليه السلام
٥	عقوبة قوم صالح - عليه السلام	ريح صرصر عاتية
٦	عقوبة قوم لوط - عليه السلام	قوم لوط - عليه السلام

السؤال الثاني : أجب عما يأتي :

١ - ما سبب انقطاع العذر عن الكافرين يوم القيامة ؟

.....

.....

٢ - ما نوع الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ﴾ :

.....

.....

٣ - بم تعلل قسوة قلوب الكافرين وأنها لا تعتبر ولا تتأثر ؟

.....

.....



المشركين أشد ضللاً من الأنعام

سورة الفرقان الآيات (٤١ - ٤٤)

التمهيد :

كان محمد - ﷺ - ملء السمع والبصر بين قومه قبل بعثته ، فقد كان عندهم ذا مكانة فهو من ذروة بني هاشم وهم ذروة قريش ، وكان عندهم ذا مكانة من خلقه وهو الملقب بينهم بالأمين ولقد ارتضوا حكومته بينهم في وضع الحجر الأسود قبل البعثة بزمان طويل ، ويوم دعاهم على الصفا فسألهم أيصدقونه لو أخبرهم أن خيلاً بسفح هذا الجبل قالوا : نعم أنت عندنا غير متهم . ولكنهم بعد البعثة وبعد أن جاءهم بهذا القرآن العظيم راحوا يهزأون به وينعوتونه بنعوت باطلة ، فقالوا : عنه شاعر ، وقالوا : مجنون ، وقالوا : كاهن ، كل هذا ليصدوه عن الدعوة .

قال تعالى

وَإِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
إِنْ يَخِذُواكَ إِلَّا هُزُواً	يَعْنُونَهُ بِالْعَيْبِ وَالنَّقْصِ عَلَى سَبِيلِ التَّنْقِصِ وَالْإِزْدِرَاءِ
إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا	أَنَّهُ كَادَ يَشْنِيهِمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ لَوْلَا أَن تَجَلَدُوا وَاسْتَمَرُّوا عَلَى عِبَادَتِهَا

سبب النزول :

رُوي أن قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ الآية أنزلت في أبي جهل ومن معه فإنه كان إذا مرَّ رسول الله - ﷺ - مع صحبه قال مستهزئاً : ﴿هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ .

الشرح الإجمالي للآيات :

الاستهزاء بدعوة محمد - ﷺ - :

بعد أن ذكر الله -عز وجل- لنا مطاعن المشركين في النبي -ﷺ- وأورد شبهاتهم في ذلك أردف هذا بيان أن ذلك ما كفاهم وليتهم اقتصروا عليه ، بل زادوا على ذلك الاستهزاء به والخط من قدره ، حتى لقد قال بعضهم لبعض : أهذا الذي بعث الله رسولا ؟ بل لقد غالوا في ذلك فسمّوا دعوته إضللا ، فرد الله عليهم مقالهم وأبان لهم أنه سيظهر لهم حين مشاهدة العذاب من الضال ومن المضل ؟ ثم عجب رسوله -ﷺ- من شناعة أحوالهم بعد حكاية أقوالهم وأفعالهم القبيحة ، وأرشد إلى أن مثل هؤلاء يبتعد أن يزدجروا عما هم فيه من الغي بنصحك وإرشادك ، فإن أكثرهم لا يسمعون ولا يعقلون وما هم إلا كالأنعام أو أضل منها سبيلا .

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ ﴿١٠﴾

إذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم اتخذوك موضع هزو وسخرية وقالوا احتقاراً لشأنك هذه المقالة ، وهي قولة ساخرة مستنكرة . . أكان ذلك عن اقتناع منهم بأن شخصه الكريم يستحق منهم هذه السخرية ، وأن ما جاءهم به يستحق منهم هذا الاستهزاء؟ كلا ، إنما

كانت تلك خطة مدبرة من كبراء قريش للتصغير من أثر شخصيته العظيمة ، ومن أثر هذا القرآن الذي لا يقاوم ، وكانت وسيلة من وسائل مقاومة الدعوة الجديدة التي تهددهم في مراكزهم الاجتماعية وأوضاعهم الاقتصادية ، وتجردهم من الأوهام والخرافات الاعتقادية التي تقوم عليها تلك المراكز وهذه الأوضاع ، ولقد كانوا يعقدون المؤتمرات لتدبير المؤامرات ، ويتفقون فيها على مثل هذه الوسيلة وهم يعلمون كذبهم فيها عن يقين : روى ابن اسحاق أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش (وكان ذا سن فيهم) وقد حضر الموسم (موسم الحج) فقال لهم : يا معشر قريش : إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويردّ قولكم بعضه بعضاً ، قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأياً نقول به . قال : بل أنتم فقولوا أسمع . قالوا : نقول كاهن ، قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهّان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ، قالوا : فنقول : إنه مجنون قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ، قالوا : فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول ساحر ، قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم ، قالوا : فما تقول يا أبا عبد الشمس ؟ قال : والله إن لقوله طلاوة ، وإن أصله لعذق^(١) ، وإن فرعه لجناة^(٢) وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر جاء بقول هو سحريفرّق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

فهذا مثل من الكيد والتدبير ضد رسول الله - ﷺ - ومعرفتهم بحقيقته في الوقت ذاته . فما كان اتخاذهم إياه هزواً ، وقولهم ساخرين : ﴿ **أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا** ﴾ أي على سبيل التنقيص والازدراء وبصورة الاستغراب والاستنكار ، وفي اسم الإشارة ﴿ **أَهَذَا** ﴾ دلالة على استحقارهم له وتهكمهم به فقبحهم الله ، كما قال تعالى تسلياً لرسوله ﴿ **وَلَقَدْ آسَفْنَاهُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ . . .** ﴾^(٣) .

(١) النخلة .

(٢) ما يجنى من الثمر .

(٣) سورة الرعد : ٣٢ .

الإقرار بتأثير القرآن :

﴿ إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءِلَهِتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٤٢)

﴿ إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءِلَهِتِنَا ﴾ يعنون أنه كاد يشيهم عن عبادة الأصنام لولا أن صبروا
وتجلدوا واستمروا عليها ، زلزل قلوبهم بإقرارهم حتى كادوا يتركون آلهتهم وعبادتهم - على
شدة حرصهم على استبقاء ديانتهم وما وراءها من مراكز ومغانم - لولا أنهم قاوموا تأثيرهم به
وصبروا على آلهتهم ! وهم يسمون الهداية إضلالاً لسوء تقديرهم للحقائق وتقويمهم للقيم .

ولكنهم لا يملكون إخفاء الرهبة التي أصابت قلوبهم من دعوة محمد - ﷺ - وشخصيته ،
والقرآن الذي معه حتى وهم يتظاهرون بالاستخفاف بشخصه ودعوته ، إصراراً وعناداً .

ثم يعاجلهم الله - ﷻ - بالتهديد المجلل الرهيب : ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ
مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ فيعلمون إن كان ما جاءهم به هو الهدى أو أنه هو الضلال ، ولكن حين لا ينفع
العلم ، أي حين يرون العذاب ، سواء أكان ذلك في الدنيا كما ذاقوا يوم بدر ، أم كان في الآخرة
كما يذوقون يوم الحساب .

تسليية وتعزية :

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ (٤٣)

يلتفت الله - ﷻ - بالخطاب إلى رسول الله - ﷺ - يعزیه عن عنادهم وجموحهم واستهزائهم ،
فهو لم يقصر في الدعوة ، ولم يقصر في الحجة ، ولم يستحق ما لاقوه به من التطاول ، إنما العلة
فيهم أنفسهم ، فأخبره - ﷻ - منبهاً أن من كتب الله عليه الشقاوة والضلال ، فإنه لا يهديه أحد
إلا الله - ﷻ - ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ أي مهما استحسن من شيء ورآه حسناً في
هوى نفسه كان دينه ومذهبه ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ
يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (١) ، ولهذا قال ها هنا أفأنت تكون عليه وكيلاً قال ابن عباس
- رضي الله عنهما - : كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً ، فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني
وترك الأول ، فهم يجعلون من هواهم إلهاً يعبدونه ، ولا يرجعون إلى حجة أو برهان ، وماذا

(١) سورة فاطر : ٨ .

يملك الرسول -ﷺ- لمن يتخذ إلهه هواه : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ (٤٣) وهو تعبير عجيب يرسم نموذجاً عميقاً لحالة نفسية بارزة ، حين تتفلت النفس وتخضع لهواها ، وتُحَكِّم شهواتها وتتعبد ذاتها ، فلا تخضع لميزان ولا تعترف بحد ولا تقتنع بمنطق ، متى اعترض هواها الطاغى الذي جعلت منه إلهاً يعبد ويطاع .

والله -ﷻ- يخاطب عبده في رفق ومودة وإيناس في أمر هذا النموذج من الناس : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ (٤٣) أي انظر في حال هذا الذي جعل هواه إلهه ، بأن أطاعه وبنى عليه أمر دينه ، وأعرض عن استماع الحجة الباهرة والبرهان الجلي الواضح ، واعجب ولا تأبه به ، فإنك لن تكون حفيظاً على مثل هذا تزجره عما هو عليه من الضلال وترشده إلى الصراط السوي ، والاستفهام في ﴿ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ للإنكار والاستبعاد ، أي : أفأنت تكون عليه حفيظاً وكفيلاً حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من الكفر ، ولست تقدر على ذلك ولا تطيقه ، فليست الهداية والضلالة موكولتين إلى مشيئتكَ ، وإنما عليك البلاغ .

{ وخلاصة ذلك } كأنه سبحانه يقول لرسوله -ﷺ- : إن هذا الذي لا يرى معبوداً له إلا هواه ، لا تستطيع أن تدعوه إلى الهدى ، وتمنعه من متابعة الهوى ، إن عليك إلا البلاغ ، ونحو الآية قوله في سورة الغاشية : ﴿ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ (٢٢) (١) .

وفي هذا الأسلوب تعجيب لرسوله -ﷺ- من سوء أحوالهم بعد أن حكى قبيح أقوالهم وأفعالهم ، وتنبيه له إلى سوء عاقبتهم .

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾
ثم انتقل سبحانه من الإنكار الأول إلى إنكار آخر فقال : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ أي أتحسب أن أكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من آيات القرآن ومن المواعظ ، أو يعقلون معاني ذلك ويفهمونه حتى تعني بشأنهم وتطمع في إيمانهم ، ليسوا كذلك ، بل هم بمنزلة من لا يسمع ولا يعقل . ثم بين سبحانه حالهم وقطع مادة الطمع فيهم فیدخرجهم إلى درك أسفل

وأحط : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

سَبِيلًا ٤٤ وفي التعبير تحرز وإنصاف ، إذ يذكر ﴿ أَكْثَرُهُمْ ﴾ ولا يعمم ، لأن قلة منهم كانت تجنح إلى الهدى ، أو تقف عند الحقيقة تتدبرها . فأما الكثرة التي تتخذ من الهوى إلهاً مطاعاً ، والتي تتجاهل الدلائل وهي تطرق الأسماع والعقول ، فهي كالأنعام ، وما يفرق الإنسان من البهيمة إلا الاستعداد للتدبر والإدراك ، والتكيف وفق ما يتدبر ويدرك من الحقائق عن بصيرة وقصد وإرادة واقتناع ، ووقوف عند الحجة ، بل إن الإنسان حين يتجرد من خصائصه هذه ليكونن أخط من البهيمة ، فالبهائم قد تنقاد لصاحبها الذي يتعهداها ، وتعرف من يحسن إليها ومن يسيء ، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها ، وتهتدي لمراعيها ومشاربها ، وتأوي إلى معاطنها ومرايضها ، لكن هؤلاء لا ينقادون لخالقهم ورازقهم ، ولا يعرفون إحسانه إليهم وإساءة الشيطان لهم ، وهو الذي قد زين لهم اتباع الشهوات ، إلا أنهم لا يرجون ثواباً ، ولا يخافون عقاباً ، إلا أن جهالة الأنعام مقصورة عليها ، وجهالة هؤلاء تؤدي إلى وقوع الفتنة والفساد ، وصد الناس عن سنن السداد ، ووقوع الهرج والمرج بين العباد ، فإنهم اعتقدوا بطلان النبوة والتوحيد عناداً ومكابرةً وتعصباً وغمطاً للحق .

من هداية الآيات :

- ١- دعوة النبي - ﷺ - إلى التوحيد وإظهار المعجزات ، وإقامة الحجج البينات .
- ٢- تناقض المشركين واضطرابهم ، ففي استفهامهم ما يدل على التحقير للرسول - ﷺ - ، وفي آخر كلامهم ما يدل على قوة حجته ، ورجاحة عقله .
- ٣- اتباع الهوى يمنع صاحبه من اتباع الهدى .
- ٤- المشركون أسوأ حالاً من الأنعام السارحة ، فإن تلك تعقل ما خلقت له ، وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له ، وهم يعبدون غيره .

من القيم المستفادة :

- التوحيد .
- الإخلاص .
- أدب الحديث .



السؤال الأول : أجب عما يأتي :

١ - ما سبب نزول الآيات ؟

.....

.....

٢ - مانوع الاستفهام فيما يأتي :

أ - ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ :

.....

ب - ﴿ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ :

.....

٣ - استخرج من الآيات ما يحمل التهديد والوعيد :

.....

السؤال الثاني : علّل ما يأتي :

١ - الكفار أشد ضللاً من الأنعام :

.....

٢ - سمى الكفار اتباع الهدى ضللاً :

.....

٣ - ذم الله - ﷻ - اتباع الهوى :

.....



عظمة الخالق

سورة الفرقان الآيات (٤٥ - ٥٠)

التمهيد :

يمتلىء الكون العلوي والسفلي بأدلة نراها عياناً ، وتتوارد علينا ليلاً ونهاراً ، وتكون دليلاً على وجود الإله القادر الحكيم ، والله ﷻ بسط في القرآن الكريم أدلة التوحيد هذه وأرشد إلى ما في الكون من باهر الآيات وعظيم المشاهدات ، لتكون دلالة على بديع قدرته وجليل حكمته ، وفيها من الحجج الدامغة والبراهين الساطعة لأصحاب العقول لتدلهم على اللطيف الخبير بفطرتهم التي فطر الله الناس عليها ، كما تكون حجة على من أعرض وخالف فطرته واتبع هواه فكفر .

قال تعالى

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾
ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ
النَّهَارَ تُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسٍ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ
صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
أَلَمْ تَرَ	أي ألم تبصر
إِلَىٰ رَبِّكَ	أي إلى صنعه
مَدَّ	بسط
الظِّلَّ	ما يحدث من مقابلة جسم كثيف كجبل أو بناء أو شجر أو إنسان للشمس من حين ابتداء طلوعها حتى غروبها
سَاكِنًا	أي ثابتاً على حاله في الطول والامتداد ، بحيث لا يزول ولا تذهب الشمس
دَلِيلًا	علامة
قَبَضْنَاهُ	محوناه
يَسِيرًا	أي على مهل قليلاً قليلاً بحسب سير الشمس في فلكها
سُبَاتًا	السبات : الموت لما في النوم من زوال الإحساس
نُشُورًا	البعث
بُشْرًا	مبشرات
رَحْمَتِهِ	المراد بها المطر
بَيْنَ يَدَيْ	أي قدامه
طَهُورًا	يتطهر به
بَلَدَةً	الأرض
مَيْتًا	التي لا نبات فيها
أَنْعَمًا	الإبل والبقر والغنم .
أَنَاسِيَّ	واحدهم إنسان (أصله أناسين أبدلت النون ياء وأدغمت في الياء)
صَرَفْنَاهُ	حولناه في أوقات مختلفة إلى بلدان متعددة
لِيَذْكُرُوا	ليعتبروا
كُفُورًا	كفراناً للنعمة وإنكاراً لها

الشرح الإجمالي للآيات :

فوائد الظل :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۚ ﴾ (٤٥)
ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ أي انظر أيها الرسول إلى صنع ربك ، كيف أنشأ الظل لكل مظل من طلوع الشمس حتى غروبها ، فاستخدمه الإنسان للوقاية من لفح الشمس وشديد حرارتها ، وهذه الرؤية إما بصرية ، والمراد بها : ألم تبصر إلى صنع ربك؟ أو ألم تبصر إلى الظل كيف مده ربك؟ وإما قلبية ، بمعنى العلم ، فإن الظل متغير ، وكل متغير حادث ، ولكل حادث موجد ، قال الزجاج - رحمه الله - : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أي ألم تعلم؟ وهذا من رؤية القلب ، قال : وهذا الكلام على القلب ، والتقدير : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ إلى الظل كيف مده ربك؟ ويبدأ الظل من وقت الإسفار إلى طلوع الشمس ، وهو ظل لا شمس معه ، والظل بالغداة والفيء بالعشي ، لأنه يرجع بعد زوال الشمس ، سمي فيئاً لأنه فاء من المشرق إلى جانب المغرب ، وحقيقة الظل أنه أمر متوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة ، وهذا المتوسط هو أعدل من الطرفين ، لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس ، والضوء الكامل لقوته يبهر الحس البصري ويؤذي بالتسخين ، ولذلك وصفت الجنة به لقوله تعالى : ﴿ وَظِلٌّ مِمْدُودٍ ﴾ (٣٠) ﴿ (١) .

﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ أي ولو شاء الله - عز وجل - لجعل الظل ثابتاً على حال واحدة لا يتغير ، لكنه جعله متغيراً في ساعات النهار المختلفة ، وفي الفصول المتعاقبة ، ومن ثم اتخذ مقياساً للزمن منذ القدم ، فاتخذ المصريون (المسلات) وقاسوا بها أوقات النهار على أوضاع مختلفة ، وطرق حكيمة متنوعة ، واتخذ العرب (المزاويل : ومفردها مزولة) وتستخدم لمعرفة أوقات الصلاة فقالوا : يجب وقت صلاة الظهر عند الزوال : أي إذا تحول الظل إلى جانب المشرق ، ووقت صلاة العصر حين بلوغ ظل كل شيء مثله عند جمهور العلماء .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ أي : جعلناها علامةً يُستدل بها وبأحوالها على أحواله ،

(١) الواقعة : ٣٠ .

وذلك لأن الظل يتبعها كما يتبع الدليل في الطريق من جهة أنه يزيد بها ، وينقص ويمتد ويتقلص ، فجعلنا طلوع الشمس دليلاً على ظهور الظل ومشاهدته للحس والعيان ، والأشياء تستبين بأضدادها ، فلولا الشمس لما عُرف الظل ، ولولا الظلمة ما عُرف النور ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ ٤٦ ثم قبضنا ذلك الظل الممدود ، ومحوناه عند إيقاع شعاع الشمس موقعه بالتدريج ، حتى انتهى ذلك الإظلال إلى العدم والاضمحلال ، والمعنى : أن الظل يبقى في هذا الجو من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فإذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضاً ومحوناه على مهل جزءاً فجزءاً بحسب سير الشمس ، وخلفه في هذا الجو شعاع الشمس ، فأشرقت على الأرض وعلى الأشياء إلى وقت غروبها ، فإذا غربت فليس هناك ظل ، إنما فيه بقية نور النهار ، وقال قوم : قبضه بغروب الشمس ، لأنها إذا لم تغرب فالظل فيه بقية ، وإنما يتم زواله بمجيء الليل ودخول الظلمة عليه .

فوائد تعاقب الليل والنهار :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ ٤٧

إن من آثار قدرة الله -عز وجل- وروائع رحمته الفائضة على خلقه ، أن جعل لنفعم الليل كاللباس ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ يستركم بظلامه كما يستركم اللباس فوصف الليل باللباس تشبيهاً من حيث إنه يستر الأشياء ويغشاها ، ﴿ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾ راحة لكم لأنكم تنقطعون عن الاشتغال ، وأصل السبات الانقطاع عن الاشتغال طلباً للراحة .

وجعل النوم كالموت لتعطيله الحواس ووظائفها المختلفة كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ (١) وجعل النهار زمان بعث من ذلك الموت . { وخلاصة ذلك } جعلنا موتكم بالنوم في الليل ، وجعلنا نشورك (أي : انبعاثكم) من النوم بالنهار ، إذ ينشر الخلق للمعاش كما ينشرون بعد الموت للحساب ، قال لقمان لابنه : « كما تنام فتوقظ ، كذلك تموت فتنشأ » .

فائدة الريح وإنزال المطر :

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ (٤٨)

الله -عز وجل- هو الذي أرسل الرياح مبشرات بقدوم الأمطار وهذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم ، وهو أنه -عز وجل- يرسل الرياح مبشرات بمجيء السحاب بعدها ، والرياح أنواع ، فيها صفات كثيرة من التسخير ، فمنها ما يثير السحاب ، ومنها ما يحمله ، ومنها ما يسوقه ، ومنها ما يكون بين يدي السحاب مبشراً ، ومنها ما يكون قبل ذلك يقُم الأرض ، ومنها ما يلقيح السحاب ليمطر .

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ الطهور : اسم لما يُتَطَهَّر به ، كالوقود لما توقد به النار والوضوء لما يُتَوَضَّأُ به ، أي وأنزلنا من السحاب ماء تتطهرون به في غسل ملابسكم وأجسامكم ، وتتفعلون به في طبخ مطاعمكم ، وتشربونه عذباً فُرَاتاً ، قال النبي -ﷺ- قال في البحر : « هو الطهور ماؤه ، والحل ميتته » (١) .

﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ ﴾ أي : بالماء المنزل من السماء بلدةً ميتاً طال انتظارها للغيث وصف البلدة بـ ﴿ مَيِّتًا ﴾ فهي هامدة لا نبات فيها فلما جاءها الإحياء عاشت واكتست رُبها أنواع الأزهار والألوان ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ (٢) ، وأراد بالبلد المكان ، والمراد بالإحياء هنا : إخراج النبات من المكان الذي لا نبات فيه ، ﴿ وَشَقِيقُهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًّا كَثِيرًا ﴾ أي : نسقي بذلك الماء لنحيي به أرضاً ، وبذلك الماء تزدهر الأرض بالشجر والنبات والأزهار ، وذلك أشبه بالحياة للإنسان والحيوان .

ونحو الآية قوله : ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٣) وقوله : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى ثَأْنِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ (٤) ، ﴿ وَشَقِيقُهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًّا كَثِيرًا ﴾ أي وليشرب منه الحيوان والإنسان ، وأناسي محتاجين إليه غاية الحاجة لشربهم وزرعهم وثمارهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ

(١) سنن النسائي - كتاب الطهارة - هو الطهور ماؤه الحل ميتته - باب ماء البحر (٥٩) .

(٢) سورة الحج : ٥ .

(٣) سورة الحج : ٥ .

(٤) سورة الروم : ٥٠ .

﴿مَا قَنَطُوا﴾^(١) وقال تعالى : ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٢) .
ذكر الإنسان عن النبات والحيوان حاجته إليهما في حياته ، ولأنهم إذا ظفروا بماء يسقي أرضهم
ومواشيهم لم يعدموا ما يكون منه سقياهم .

وقوله تعالى : ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ قال عكرمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : يعني الذين
يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا ، وهذا الذي قاله عكرمة كما صح في الحديث المخرج في صحيح
مسلم عن زيد بن خالد الجهني - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : « صَلَّى بنا رسول الله - ﷺ - صلاة الصبح بالحديبية
في إثر السماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم
قالوا : الله ورسوله أعلم قال : قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مُطرنا بفضل الله
ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن
بالكوكب »^(٣) .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ أي أمطرنا هذه الأرض دون هذه بين الناس
على أوضاع شتى ، وسقنا السحاب يمر على الأرض ويتعدها ويتجاوزها إلى الأرض الأخرى
فلا تمر ساعة في ليل ولا نهار إلا كان فيه دليل على آثار قدرتنا ، فنزله على قوم ونحجبه عن
آخرين ، فيمطرها ويكفيها ويجعلها غدقاً ، والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء ، وله في
ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة ، فنحن صرفناه بينهم كما صرفنا الليل والنهار ، فالشمس
تجري من عند قوم وتذهب إلى آخرين : ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٤) قال ابن عباس
وابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « ليس عام بأكثر مطراً من عام ، ولكن الله يصرفه كيف يشاء ، ثم قرأ
هذه الآية ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ » أي ليدذكروا
بإحياء الله الأرض الميتة أنه قادر على إحياء الأموات والعظام الرفات ، أو ليدكر من منع المطر أنما
أصابه ذلك بذنب أصابه ، فيقلع عما هو فيه . ﴿لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾

(١) سورة الشورى : ٢٨ .

(٢) سورة الروم : ٥٠ .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء (٧١) .

(٤) سورة النمل : ٨٨ .

أي صرفناه بينهم ، ليعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيشكروا ، ولكن أكثر الناس أبوا إلا جحوداً للنعمة ، وكفراناً بخالقها ، قال عكرمة - رضي الله عنه - : إن المراد بقوله : ﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ هو قولهم : في الأنواء مطرنا بنوء كذا .

من هداية الآيات :

- ١- عرض الأدلة الحسية للدلالة على وجوب عبادة الله - عجل - وتوحيده فيها ، ووجوب الإيمان بالبعث والجزاء الذي أنكره المشركون فضلوا ضلالاً بعيداً .
- ٢- بيان فائدة الظل إذ به تُعرف ساعات النهار وبه يعرف مواقيت الصلاة النهارية .
- ٣- بيان أن ماء المطر من الماء الطهور الذي ترفع الأحداث به وتنزل به النجاسات .

من القيم المستفادة :

- تعظيم الله - عجل - .
- شكر الله - عجل - .
- توحيد الله - عجل - .



التقويم

السؤال الأول : أكمل ما يأتي :

- وصف تعالى الأرض التي انقطع عنها المطر بأنها ووصف
الرياح بأنها ووصف ماء المطر بأنه
ووصف الشمس بأنها للظل .

السؤال الثاني : أجب عما يأتي :

- ١- مانوع الرؤية في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ؟

.....

- ٢- ما فوائد الظل ؟

.....

السؤال الثالث : عرّف ما يأتي :

- ١- الظل :
٢- الطهور :

السؤال الرابع : فسر قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ (٤٨) لِنُحْيِيَ
بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسَى كَثِيرًا (٤٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى
أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠) ﴿

من كتاب تفسير يحدده المعلم لك .

.....

.....

عموم الدعوة المحمدية

سورة الفرقان الآيات (٥١ - ٥٦)

التمهيد :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٢٠) ﴿

(١) ففي هذا تهديد شديد ووعد أكيد للأمة من اتباع طرائق اليهود والنصارى بعدما علموا من القرآن والسنة ، والخطاب للرسول - ﷺ - والمراد أمته ، لذا نرى أن علماء هذه الأمة الخاتمة حذروا من سلوك مسالك الجاهلية النكراء ، بعدما رأوا ما وقع فيه فئام من الناس من البدع والمحدثات ، والتشبه بأهل الجاهلية الجهلاء من الأميين والكتابين ، لأنهم وقعوا فيما حذر منه رسول الله - ﷺ - لذا على المسلم أن يحذر من طاعتهم بما يخالف الدين والأمر الشرعية ، أو التشبه بهم والتشبه يشمل كل شبه يكون في الأعياد والأخلاق والملابس والكلام ، والتشبه بصفاتهم كالفخر بالأحساب والطعن بالأنساب والنياحة على الميت وغير ذلك .

قال تعالى

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
نَذِيرًا	نبياً ينذر أهلها ، والندارة التخويف
مَرَجَ	من قولهم مرج فلان دابته إذا تركها وشأنها
فَرَأَتْ	عذب
أَجَاجٌ	شديد الملوحة
بَرْزَخًا	حاجزًا
حِجْرًا مَّحْجُورًا	أي تنافراً شديداً فلا يبغي أحدهما على الآخر
نَسَبًا وَصَهْرًا	أي ذكوراً ينسب إليهم ، وإنثاءً يُصَاهِرُ بهن
ظَهِيرًا	المعاون ، فهو يعاون الشيطان على ربه : أي على رسوله بالعداوة

الشرح الإجمالي للآيات :

كرامة الله - ﷻ - لنبيه محمد - ﷺ -

بين الله - ﷻ - مَنِّته على رسوله - ﷺ - وأنه كلفه الأحمال الثقيل من أعباء النبوة ليزداد شرفاً ويعظم قدراً فقال :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ۝٥١ ﴾

لو أردنا أن نرسل رسولاً إلى كل قرية كما قسمنا المطر بينهم لفعلنا وخفَّتْ عنك أعباء النبوة ، ولكن بعثناك يا محمد إلى القرى كلها وحمّلناك ثقل الندارة ، لتستوجب بصبرك ما أعددناه لك من الكرامة والمنزلة الرفيعة ، فقابل ذلك بشكر النعمة ، وبالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق كما قال : ﴿ قُلْ يَتَأَيَّمَهَا النَّاسُ إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ^(١) ، وقوله - ﷻ - « بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ » ^(٢) أي إلى العجم والعرب .

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٢) مسند أحمد - ومن مسند بني هاشم - مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي - ﷺ - : أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي ولا أقولهن فخرا .

{ والخلاصة } إنا عظمتك بهذا الأمر ، وجعلناك مستقلاً بأعبائه ، لتحوز ما ادخر لك من عظيم جزائه وكبير مثوبته ، فعليك بالمجاهدة والمثابرة ، ولا عليك من تلقيهم الدعوة بالإعراض والمشاكسة .

مجاهدة الكافرين :

﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (٥٢)

أي فلا تطع الكافرين فيما دعوناك إليه بموافقتهم على مذاهبهم وآرائهم ، وجاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاينة والمداراة لتكسب ودهم ومحبتهم ، وعظّمهم بما جاء به القرآن من المواعظ والزواجر ، وذكرهم بأحوال الأمم المكذبة لرسولها ، وذلك منتهى الجهاد الذي لا يقادر قدره . ونحو الآية قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ (١)

{ والخلاصة } إنك مبعوث إلى الناس كافة ، لتذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم ، فاجتهد في دعوتك ، ولا تتوان فيها ، ولا تحفل بوعيدهم ، فإن الله ناصرك عليهم ومظهر دينك على الدين كله ولو كره المشركون .

وفي الآية إشارة إلى أن الدعوة لا تتم إلا بمخالفة الكافرين وبموعظتهم بكتاب الله - ﷻ - .

البحران من آيات الله - ﷻ - :

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ (٥٣)

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ : مَرَجَ : خَلَّى واخلط وأرسل وقيل مرج البحرين أي أجراهما ، ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ أي حلو ، و سمي الماء الحلو فراتاً : لأنه يَفَرْتُ العطش ، أي : يقطعه ويكسره ، وقيل : والمراد من البحر العذب : الأنهار العظام كالنيل والفرات ، ﴿ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ قيل بليغ الملوحة أو البليغ في الحرارة ، أو البليغ في المرارة ، والمراد من البحر الأجاج : البحار المشهورة .

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ البرزخ : الحاجز ، والحائل الذي جعله الله بينهما من قدرته ، يفصل بينهما ، ويمنعهما الاختلاط ، ومعنى حجراً محجوراً سترًا مستوراً يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر ، فالبرزخ : الحاجز ، والحجز ، المنع . وقيل : أي حراماً مُحَرَّمًا أن يَعُذَّبَ هذا المالح بالعذب ، أو يملح هذا العذب بالمالح ، ومثل هذه الآية قوله سبحانه : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) ﴾ (١) .

والمراد أن من آثار نعمته على خلقه أن خلّى البحرين متجاورين متلاصقين فجعل البحرين مختلطتين في مرأى العين وجعلهما لا يمتزجان ، ومنع الملح من تغيير عذوبة العذب وإفساده إياه ، وحجزه عنه بقدرته ، فكأن بينهما حاجزاً يمنع أحدهما من إفساد الآخر ، فكأن بينهما ساتراً يجعله لا يبغي عليه ، بحيث لا يختلط المالح بالعذب ولا العذب بالمالح ، ولا يتغير طعم أحدهما بالآخر ولا يفسده .

أصل خلق الإنسان :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (٥٤)

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ﴾ ثم ذكر سبحانه حالة من أحوال خلق الإنسان والماء فقال : وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً والمراد بالماء هنا : ماء النطفة ، أي : خلق من ماء النطفة إنساناً ﴿ فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ ، والمراد بالنسب : هو الذي لا يحلُّ نكاحه ، واشتقاق الصهر من صهرت الشيء : إذا خلطته ، وسميت المناكح صهراً لاختلاط الناس بها ، وقيل : الصهر : قرابة النكاح فقرابة الزوجة : هم الأختان ، وقرابة الزوج : هم الأحماء ، والأصهار ، وقال المفسرون : النسب سبعة أصناف من القرابة يجمعها قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ ومن هنا إلى قوله : ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾ (٢) تحريم بالصهر ، وهو الخلطة التي تشبه القرابة ، وحرّم الله سبعة أصناف من النسب وسبعة من جهة الصهر ، قد اشتملت الآية المذكورة على ستة منها ،

(١) سورة الرحمن : ١٩ - ٢٠ .

(٢) سورة النساء : ٢٣ .

والسابعة : قوله : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ^(١) وقد جعل الرضاع من جملة النسب ، ويؤيده قوله - ﷺ - : « أن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ الرِّضَاعِ مَا حَرَّمَ مِنَ النِّسَابِ » ^(٢) .

أي وهو الذي جعل الماء جزءاً من مادة الإنسان ، ليقبل الأشكال المختلفة ، والأوضاع المنوعة وقسمه قسمين : ذوي نسب يُنسَبُ إليهم وهم الذكور ، وذوات صهر يُصَاهَرُ بهن وهن الإناث كما قال : ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ ^(٣) ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ إذ خلق من مادة واحدة بشراً عجيب الصنع ، بديع الخلق ، كبير العقل ، عظيم التفكير ، وسخر ما على ظاهر الأرض وباطنها لنفعه وفائدته قال تعالى ﴿ وَسَخَّرْ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ أي : بليغ القدرة عظيمها ، ومن جملة قدرته الباهرة خلق الإنسان وتقسيمه إلى القسمين المذكورين .

ضلال الكافرين :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ ^(٥٥)

لما ذكر سبحانه دلائل التوحيد ، عاد إلى ذكر قبائح الكفار ، وفضائح سيرتهم فقال : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ أي ويعبد هؤلاء المشركون من دون الله آلهة لا تنفعهم إذا هم عبدوها ﴿ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ إن تركوا عبادتها ، فعبدوها لمجرد التشهي والهوى ، وتركوا عبادة من أنعم عليهم بهذه النعم التي لا كفاء لأدناها ﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ الظهير والمظاهر : المعاون على ربه بالشرك والعداوة ، والمظاهرة على الرب هي المظاهرة على رسوله - ﷺ - أو على دينه ، لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله - ﷻ - ، لأن عبادتهم للأصنام معاونة للشيطان .

﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ أي وكانوا مظاهرين الشيطان ، على معصية الرحمن ، وذلك دأبهم وديدنهم ، فهم يعاونون المشركين ، ويكونون أولياء لهم على رسوله - ﷺ - وعلى

(١) سورة النساء : ٢٢ .

(٢) حديث حسن صحيح في سنن الترمذي - كتاب الرضاع - باب ما جاء يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب .

(٣) سورة القيامة : ٣٩ .

(٤) سورة الجاثية : ١٣ .

المؤمنين ، بمساعدتهم على الفجور وارتكاب الآثام ، وخذلان المؤمنين إذا أرادوا منعها والتنفير منها كما قال تعالى : ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾^(١) ، وقد يكون المعنى : وكان الكافر على ربه هيناً ذليلاً لا قدر له ولا وزن له عنده مثل قول العرب : ظهرت به ، أي جعلته خلف ظهرك ولم تلتفت إليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَنخَذْنَاهُ وَرَاءَ كُمُ ظَهْرِيًّا﴾^(٢) أي هيناً ، قال ابن عباس -رضي الله عنه- : « نزلت الآية في أبي الحكم بن هشام الذي سماه رسول الله -ﷺ- أبا جهل » ، ثم بين عظيم حمقهم ونفورهم ممن جاء لجلب الخير لهم ودفع الأذى عنهم فقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ .

أي كيف تطلبون العون على الله ورسوله -ﷺ- ، والله قد أرسل رسوله لنفعكم ، إذ قد بعثه ليبشركم على فعل الطاعات ، وينذركم عن فعل المعاصي ، فتستحقوا الثواب وتبتعدوا عن العقاب .

{ خلاصة ذلك } لا جهل أعظم من جهل من استفرغ جهده في إيذاء من يرجو نفعه في دينه ودنياه ، وفي هذا تسلية لرسوله -ﷺ- حتى لا يحزن على عدم إيمانهم .

من هداية الآيات :

- ١- بيان عموم الرسالة المحمدية .
- ٢- يحرم الله -ﷻ- طاعة الكافرين والتشبه بصفاتهم وأفعالهم .
- ٣- من آيات الله -ﷻ- العظيمة أن جعل البحر بحران مالح و عذب .
- ٤- من مظاهر قدرة الله -ﷻ- أن خلق من الماء بشراً .
- ٥- أرسل الله -ﷻ- محمداً -ﷺ- نذيراً لأمته ولا يقدر على هدايتهم إلا الله -ﷻ- .
- ٦- التذكير بالقرآن العظيم الذي هو مصدر النجاة والسعادة .

من القيم المستفادة :

- طاعة الله ورسوله -ﷺ- .
- توحيد الله -ﷻ- .
- التفكير في مظاهر قدرة الله -ﷻ- .

(١) سورة الأعراف : ٢٠٢ .

(٢) سورة هود : ٩٢ .

التقويم

السؤال الأول : بين معاني المفردات التالية :

- مَرَجٌ :
- فُرَاتٌ :
- أُجَاجٌ :
- بَرْزَخًا :

السؤال الثاني : علّل ما يأتي :

١- بعث الله محمداً - ﷺ - للقرى كافة :

.....
.....

٢- سمي الماء الحلو فراتاً :

.....
.....

السؤال الثالث : فسّر ما يأتي :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ :

.....
.....

﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ :

.....
.....



السؤال الرابع : قال تعالى :

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ (٥٥)

استخرج من الآية السابقة قيمة مستفادة ومظهرين سلوكيين :

– القيمة المستفادة :

.....

.....

– المظاهر السلوكية :

.....

.....



من آداب الدعوة إلى الله - ﷻ -

سورة الفرقان الآيات (٥٧ - ٦٢)

التمهيد :

إن من آداب الدعوة إلى الله - ﷻ - أن يدعوا الداعي إلى الله بإخلاص وصدق رغبة فيما عند الله - ﷻ - من الأجر والثواب ، وعليه أن يصبر على أذى الناس ، فالمؤمن الذي يخالط الناس و يصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ، ويكفيه شرفاً أن قال تعالى عنه ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ^(١) فعلى الداعي إلى الله أن يقتدي برسول الله - ﷺ - فيكون هدفه وغاية مطلوبه هداية الناس والرحمة بهم شفقةً عليهم ، فيبشرهم تارة وينذرهم أخرى ، ولا يبتغي بذلك أجراً مادياً ولا قولاً ولا ثناءً إلا من الله - ﷻ - .

قال تعالى

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُذُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْأَلْ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ	نزهه وصفه بصفات الكمال
وَكَفَى بِهِ	يقال كفى بالعلم جمالاً : أي حسبك ، فلا تحتاج معه إلى غيره
خَيْرًا	الخبير بالشيء : العليم بظاهره وباطنه وبكل ما يتصل به
بُرُوجًا	منازل السيارات الإثني عشر المعروفة
سِرَجًا	الشمس
خَلْفَةً	يخلف أحدهما الآخر ويقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه

الشرح الإجمالي للآيات :

تجرد الدعاة إلى الله -ﷺ- :

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝٥٧﴾

أمر الله -ﷻ- رسوله الكريم أن يبين للمشركين المكذبين أنه مع كونه يريد نفعهم لا يبغي لنفسه نفعاً فقال : ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي قل يا محمد لمن أرسلت إليهم : لا أسألكم على ما جئت به من عند ربي أجراً أو على تبليغ الرسالة ، والاستثناء في قوله : ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ منقطع ، أي : لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل ، وقيل : هو متصل ، والمعنى : إلا من شاء أن يتقرب إليه سبحانه -ﷻ- بالطاعة ، وصور ذلك بصورة الأجر من حيث إنه مقصود الحصول . ولما بين سبحانه أن الكفار متظاهرون على رسول الله -ﷺ- ، وأمره أن لا يطلب منهم أجراً البتة ، فيقولوا إنما يدعونا ليأخذ أموالنا ، ومن ثم لا نتبعه حتى لا يكون له في أموالنا مطمع .

{ وخلاصة ذلك } لا أسألكم عليه أجراً لنفسي ، وأسألكم أن تطلبوا الأجر لأنفسكم باتخاذ السبيل إلى ربكم لنيل ثوبته ومغفرته .

التوكل على الله وتفويض الأمر له :

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ (٥٨) .

وبعد أن بين له أن الكافرين متظاهرون على إيذائه أمره بالتوكل عليه في دفع المضار وجلب المنافع ، فقال : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ . والتوكل : اعتماد العبد على الله في كل الأمور ، والأسباب هي وسائل أمرنا باتباعها من غير اعتماد عليها ، والمراد هنا قوله توكل على ربك الدائم الباقي رب كل شيء ومليكه ، واجعله ملجأك وذخرك ، وفوض إليه أمرك واستسلم له ، واصبر على ما نابك فيه ، فإنه كافيك وناصرك ومبلغك ما تريد ، وخص صفة الحياة إشارة إلى أن الحي هو الذي يوثق به في المصالح ، ولا حياة على الدوام إلا لله سبحانه ، دون الأحياء المنقطعة حياتهم ، فإنهم إذا ماتوا ضاع من يتوكل عليهم ، وحكي عن بعض السلف أنه قرأ هذه الآية فقال : « لا ينبغي لذي لب أن يثق بعدها بمخلوق » . ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ ونزّهه عما يقوله هؤلاء المشركون من صفات النقصان كالصاحبة والولد ، فهو الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ، كما تنزهه عن الأنداد والشركاء من الأصنام والأوثان فهو لا كفء له ولا ند : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (١) وقيل : معنى سبّح : صل ، والصلاة : تسمى تسبيحاً . والمراد بقوله : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي اقرن بين حمده وتسبيحه ، ولهذا كان رسول الله - ﷺ - يقول : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك » أي أخلص له العبادة والتوكل ، كما قال تعالى : ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ (٤) .

﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ أي : حسبك ، وهذه كلمة يراد بها المبالغة كقولك : كفى بالله رباً ، والخير : المطلع على الأمور بعلمه التام بحيث لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة ، وهو محصياهم عليهم ومجازيهم عليها ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، فلا عليك إن آمنوا أو كفروا . وفي هذا سلوة لرسوله - ﷺ - ، ووعد لأولئك الكافرين على سوء أفعالهم ،

(١) سورة الإخلاص : ٤ .

(٢) سورة المزمل : ٩ .

(٣) سورة هود : ١٢٣ .

(٤) سورة الملك : ٢٩ .

وإعراضهم عن اتباع رسوله - ﷺ - ومناصبته العدا ، وكأنه قيل : إذا أقدمتم على مخالفة أمره
كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة .

تجيد الله تعالى - ﷻ - :

﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ
بِهِ خَيْرًا ۝٥٩ ﴾ .

ثم وصف نفسه بذكر أفعاله التي تجعله حقيقاً أن يتوكل عليه فقال زيادة في المبالغة : ﴿ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ فهو خالق كل شيء
وربه ومليكه ، الذي خلق بقدرته السماوات السبع في ارتفاعها واتساعها والأرضين السبع في
سفلها وكثافتها في ستة أيام ، ثم استوى على العرش أي يدبر الأمر ، ويقضي الحق ، وهو خير
الفاصلين ، وقال تعالى : ﴿ بَيْنَهُمَا ﴾ ولم يقل بينهما لأنه أراد النوعين ، فإن قيل : يلزم أن يكون
خلق العرش بعد خلق السماوات والأرض كما تفيدته ﴿ ثُمَّ ﴾ فيقال : إن كلمة ﴿ ثُمَّ ﴾ لم
تدخل على خلق العرش بل على رفعه على السماوات والأرض .

ويلاحظ هنا أنه تعالى وصف نفسه بالأبدية والعلم الشامل ، ثم بخلق السماوات والأرض
ليقرر وجوب التوكل عليه ويؤكد ، فإن من أحدث هذه الأجرام العظيمة على ذلك النمط البديع
وجعلها مرفوعة بغير عمد في تلك الأيام (وقد كان قديراً على إبداعها دفعة واحدة بقدرته التي
لا تقف على كنهها العقول) جدير بأن يتوكل عليه ويفوض أمره إليه .

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾

أي علا وارتفع ، والاستواء من الصفات الفعلية التي لا يعلم كيفيتها إلا الله - ﷻ - ولهذا
لما سئل الإمام مالك - رحمه الله - عنه قال : « الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ،
والسؤال عنه بدعة » .



والعرش في اللغة : سريرُ المَلِك ، أما في الشرع فهو العرش الذي استوى عليه ربنا استواءً يليق بجلاله لا يقدره قدره إلا الله ، وهو سقف المخلوقات له قوائم وله حملة ﴿ وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴾ ^(١) ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ أي عظيم الرحمة بكم ، والحدب عليكم ، فلا تعبدوا إلا إياه ولا تتوكلوا إلا عليه .

{ وخلاصة ذلك } توكلوا على من لا يموت وهو ربُّ كلِّ شيءٍ وخالقه وخالق السماوات السبع على ارتفاعها واتساعها وما فيها من عوالم لا يعلم كنهها إلا هو ، وخالق الأرضين السبع على ذلك الوضع البديع في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ويقضي بالحق .

﴿ فَسْئَلُ بِهِ خَبِيرًا ﴾ الضمير في ﴿ بِهِ ﴾ يعود إلى ما ذكر من خلق السماوات والأرض والاستواء على العرش ، والمعنى : فاسأل بتفاصيل ما ذكر إجمالاً من هذه الأمور خبيراً به يخبرك بحقيقته وهو الله سبحانه ، لأنه لا يعلم تفاصيل تلك المخلوقات إلا هو ، فالأيام التي تم فيها الخلق إنما هي أطوار ستة سار عليها طوراً بعد طور وحالاً بعد أخرى ، كما يرشد إلى ذلك قوله : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ^(٢) فالمراد بالخبير : الله سبحانه ، لأنه لا يعلم تفاصيل تلك المخلوقات إلا هو ، وقيل أن تفسير قوله ﴿ فَسْئَلُ بِهِ خَبِيرًا ﴾ أي استعلم عنه من هو خبير به عالم به ، فاتبعه واقتد به ، وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد - ﷺ - ، سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة ، الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحيُّ يوحى ، فما قاله فهو الحق ، وما أخبر به فهو الصدق ، وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء وجب ردُّ نزاعهم إليه ، فما وافق أقواله وأفعاله فهو الحق ، وما خالفها فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ ^(٥) أي صدقاً في الإخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَسْئَلُ بِهِ خَبِيرًا ﴾ .

(١) سورة الحاقة : ١٧ .

(٢) سورة الحج : ٤٧ .

(٣) سورة النساء : ٥٩ .

(٤) سورة الشورى : ١٠ .

(٥) سورة الأنعام : ١١٥ .

نفور الكافرين وصددهم عن الرحمن :

وبعد أن ذكر -عز وجل- إحسانه إليهم وإنعامه عليهم ذكر ما أبدوه من الكفر وأخبر عنهم بأنهم جهلوا معنى الرحمن فقال :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۖ ﴾

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ أي وإذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم : اجعلوا خضوعكم وتعظيمكم للرحمن خالصاً دون الآلهة والأوثان ، قالوا على طريق التجاهل : وما الرحمن؟ أي نحن لا نعرف الرحمن فنسجد له ، وقد قال المفسرون : إنهم قالوا ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة ، يعنون : مسيلمة ، و ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ اسم من أسماء الله ، فلما سمعوه أنكروا فقالوا ﴿ وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ والاستفهام للإنكار ، أي : لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بالسجود له .

ثم عجبوا أن يأمرهم بالسجود وأنكروه عليه بقولهم : ﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ أي أنسجد للذي تأمرنا بالسجود له من غير أن نعرفه ولا نُقَرِّبه أي لمجرد قولك ، أي : لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بالسجود له ، ثم بيّن أنه كلما أمرهم بعبادته ازدادوا عناداً واستكباراً فقال : ﴿ وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ أي وزادهم هذا الأمر بالسجود نفوراً وبُعداً عما دعوا إليه ، وقد كان من حقه أن يكون باعثاً لهم على القبول ثم الفعل .

وكان سفيان الثوري -رحمه الله- يقول في هذه الآية : « إلهي زدني لك خضوعاً ، ما زاد عداك نفوراً » ، وقد روى الضحاك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه سجدوا ، فلما رآهم المشركون يسجدون تباعدوا في ناحية المسجد مستهزئين ، وقد اتفق العلماء رحمهم الله على أن هذه السجدة التي في الفرقان مشروعة السجود عندها لقارئها ومستمعها ، كما هو مُقَرَّر في موضعه .

من بديع خلق الله -عز وجل- وآياته :

يقول -عز وجل- مجداً نفسه ومعظماً على جميل ما خلق في السماوات من البروج ، وهي الكواكب العظام ﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۝١١ ﴾

وبعد أن حكى عنهم مزيد النفرة من السجود له ، ذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود لمن له تلك الخصائص ، فقال : ﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۝١١ ﴾ أي تقدّس ربنا الذي جعل في السماء نجوماً كباراً وقيل : هي قصور في السماء للحرس ، عدّها المتقدمون نحو ألف وعدّها علماء العصر الحاضر بعد كشف آلات الرصد الحديثة (التلسكوبات) أكثر من مئتي ألف ولا يزال البحث يكشف كل حين منها جديداً ، ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا ﴾ وجعل فيها شمساً متوقدة ﴿ وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ أي مشرقاً مضيئاً بنور آخر من غير نور الشمس .

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝١٢ ﴾

ذكر الله -عز وجل- آية أخرى من آيات قدرته وفيها الدليل على وحدانيته فقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝١٢ ﴾ أي وهو الذي جعل الليل والنهار متعاقبين يخلف أحدهما الآخر ، فيكون في ذلك عظة لمن أراد أن يتعظ باختلافهما ويتذكر آلاء الله فيهما ويتفكر في صنعه ، أو أراد أن يشكر نعمة ربه ليحني ثمار كل منهما ، إذ لو جعل أحدهما دائماً لفاتت فوائد الآخر ، ولحصلت السامة والملل ، وفتر العزم الذي يثبته دخول وقت الآخر إلى نحو أولئك من الحكم التي أحكمها العلي الكبير .

وفي الحديث الصحيح : عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : « إن الله -عز وجل- يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » (١) .

وعن الحسن : « من فاته عمل من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ، ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب » . ورؤي أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أطال صلاة الضحى

(١) صحيح مسلم - كتاب التوبة - أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب (٢٧٥٩ - ٤٩٥٤) .

فَقِيلَ لَهُ : صَنَعْتَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ ! فَقَالَ : إِنَّهُ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْ وَرْدِي شَيْءٌ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَمْتَهُ ، أَوْ قَالَ أَقْضِيهِ وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ جَعَلَ الْيَلَّ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ ٦٢ .

من هداية الآيات

- ١- الدعوة إلى الله تُبنى على الإخلاص لله -عزَّ وجلَّ- .
- ٢- وجوب التوكل على الله -عزَّ وجلَّ- فإنه الحي الذي لا يموت وغيره يموت .
- ٣- مشروعية التسبيح والذكر والعبادة وهذه هي زاد العبد وعدته وعونه .
- ٤- مشروعية سجود التلاوة للقارئ والمستمع في مواضعه تقرباً لله -عزَّ وجلَّ- .
- ٥- صفة الاستواء على عرشه ثابتة في القرآن والسنة فيجب الإيمان بها كما يليق بجلال الله -عزَّ وجلَّ- وكماله ، ويحرم تأويلها بالاستيلاء والقهر ونحوهما .
- ٦- الترغيب في الذكر والشُّكر ، واغتنام الفرص للعبادة والطاعة .

من القيم المستفادة :

- الشجاعة .
- تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- .
- العمل لله -عزَّ وجلَّ- .

التقويم

السؤال الأول : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- منع تعالى الرسول - ﷺ - أن يطلب الأجر على دعوته البتة . ()
- ٢- يقتصر معنى التسبيح على ذكر الله - ﷻ - . ()
- ٣- المراد بالبروج الجبال . ()
- ٤- من فاته ورده في النهار فلا قضاء يعوضه . ()

السؤال الثاني : عرّف ما يأتي :

١- التوكل :

.....

٢- الأسباب :

.....

٣- الحي :

.....

السؤال الثالث : فسّر ما يأتي :

١- ﴿ وَكَفَى بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴾ :

.....

٢- ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ :

.....



السؤال الرابع : علّل ما يأتي :

١- وصف الله -ﷻ- نفسه بالأبدية والعلم الشامل ثم بخلق السماوات والأرض :

.....

.....

٢- رفض المشركين السجود للرحمن :

.....

.....



عباد الرحمن (١)

سورة الفرقان الآيات (٦٣ - ٧٠)

التمهيد :

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : كنّا جلوساً مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال ، فلما كان الغد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل مقالته أيضاً ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام النبي - صلى الله عليه وسلم - تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : « إني لآحيْتُ أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فقلت » قال : « نعم » قال أنس : وكان عبد الله يُحدِّث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً ، غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله - عز وجل - وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر ، قال عبد الله غير أنني لم أسمعنه يقول إلا خيراً فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحترق عمله قلت : « يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثم ، ولكن سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لك ثلاث مرار يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرار ، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به ، فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ » فقال : « ما هو إلا ما رأيت » قال : فلما وليت دعاني فقال : « ما هو إلا ما رأيت غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ، ولا أحسد أحداً على خيرٍ أعطاه الله إياه » فقال عبد الله : « هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطق » ^(١) .

(١) مسند أحمد - باقي مسند المكثرين - باب « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة . . . » (١٢٢٨٦) - إسناده صحيح على شرط الصحيحين .

قال تعالى

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ
جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا
لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا
﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	المعنى
هَوْنًا	الرفق واللين والمراد أنهم يمشون في سكينه ووقار ، ولا يضربون بأقدامهم أشراً وبطراً
الْجَاهِلُونَ	أي السفهاء
سَلَامًا	أي سلام توديع ومتاركة لا سلام تحية
يَبِيتُونَ	أي يدركهم الليل ناموا أو لم يناموا كما يقال بات فلان قلقاً
غَرَامًا	أي هلاكاً لازماً
لَمْ يُسْرِفُوا	مجاوزه الحد في النفقة بالنظر لنظرائه في المال
وَلَمْ يَقْتُرُوا	التضييق والشح

قَوَامًا	أي وسطاً وعدلاً
لَا يَدْعُونَ	أي لا يشركون
أَثَامًا	الإثم والمراد جزاؤه وهو العقاب
مُهَانًا	أي ذليلاً مستحقراً

الشرح الإجمالي للآيات :

عباد الرحمن :

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣)

وصف الله سبحانه عباده المخلصين الذين استوجبوا المثوبة منه وجازاهم على ذلك الجزاء بصفات عدة : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي وعباد الله الذين حق لهم الجزاء والمثوبة من ربهم هم الذين يمشون في سكينة ووقار ، لا يضربون بأقدامهم كبراً ، ولا يخفقون بنعالهم أشراً وبطراً .

رُوي أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- رأى غلاماً يتبختر في مشيته فقال : إن البختر مشية تكره إلا في سبيل الله ، وقد مدح الله -عز وجل- أقواماً فقال : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ فاقصد في مشيتك .

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- : « هم المؤمنون الذين يمشون علماء حلماء ذوي وقار وعفة » ، وفي صفته -عليه السلام- : إذا زال زال قلعباً يخطو تكفياً ويمشي هوناً ، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبيب » والتقلع : رفع الرجل بقوة ، والتكفؤ : الميل إلى سنن القصد ، والهون : الرفق والوقار ، والذريع : الواسع الخطأ أي إنه كان يرفع رجله بسرعة في مشيه ويمد خطوه خلاف مشية المختال ، وكل ذلك برفق وثبّت دون عجلة ومن ثم قيل كأنما ينحط من صبيب . { وخلاصة ذلك } إنهم لا يتكبرون ولا يتجبرون ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً .

سلامة الصدر :

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ أي وإذا سفه عليهم أهل الجهل و السفه بالقول السيء لم يقابلوهم بمثله ، بل يتحملون ما يردُّ عليهم من أذى ، ويعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيراً ، وكان رسول الله - ﷺ - لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حِلماً .

عن الحسن البصري - رحمه الله - : هم حلماء لا يجهلون ، وإن جُهل عليهم حلموا ولم يسفهاوا ، هذا نهارهم فكيف ليلهم ؟ خير ليل ، صفوا أقدامهم ، وأجروا دموعهم ، يطلبون إلى الله جل ثناؤه فكأن رقابهم ، قال ابن العربي - رحمه الله - : « لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين ولا نهوا عن ذلك ، بل أمروا بالصفح والهجر الجميل » ، وقد كان - ﷺ - يقف على أندية المشركين ويحييهم ويدانيهم ولا يداهنهم . قال النحاس - رحمه الله - : ليس هذا السلام من التسليم إنما هو من التسلم تقول العرب سلاماً : أي : تسلماً منك ، أي : براءة منك ، وقال مجاهد : معنى سلاماً سداداً ، أي : يقول للجاهل كلاماً يدفعه به برفق ولين .

قيام الليل دأب الصالحين :

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ (٦٤)

ولما ذكر تعالى ما بينهم وبين الخلق ذكر ما بينهم وبينه فقال : ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ أي والذين يبيتون ساجدين قائمين لربهم أي يُحيون الليل كله أو بعضه بالصلاة ، وخص العبادة بالبيتوتة ، لأن العبادة بالليل أخلص وأبعد عن الرياء ، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : من صلى ركعتين أو أكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجداً قائماً ، ونحو الآية قوله : ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ (١) وقوله : ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (١٧) وبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) ﴿ (٢) .

الانكسار بين يدي الله - عز وجل - والوجل :

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥) ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (٦٦)

(١) سورة السجدة : ١٦ .

(٢) سورة الذاريات : ١٧ - ١٨ .

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ أي والذين يدعون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم وشديد آلامها فهم مع طاعتهم مشفقون وجِلون خائفون من عذابه ، وفي هذا مدح لهم ببيان أنهم مع حسن معاملتهم للخلق واجتهادهم في عبادة الخالق وحده لا شريك له ، يخافون عذابه ويبتهلون إليه في صرفه عنهم غير محتفلين بأعمالهم كما قال في شأنهم : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(١) .

ثم يبيّن أن سبب سؤالهم ذلك لوجهين :

١- ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي إن عذابها كان هلاكاً دائماً ، وخساراً ملازماً ، والغرام : اللازم الدائم ، ومنه سُمّي الغريم لملازمته ، ويقال : فلان مغرم بكذا ، أي : ملازم له مولع به ، هذا معناه في كلام العرب ، وقال الزجاج - رحمه الله - : الغرام : أشد العذاب .

٢- ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي إنها بسئ المنزل مستقراً وبئس المقيّل مقاماً أي إنهم يقولون ذلك عن علم ، وإذا فهم أعرف بعظم قدر ما يطلبون ، فيكون ذلك أقرب إلى النجاح ، وجملة ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ تعليل لما قبلها ، ولفظي المستقر والمقام مترادفان ، وإنما عطف أحدهما على الآخر لاختلاف لفظيهما ، وقيل : بل هما مختلفان معنى : فالمستقر للعصاة لأنهم يخرجون ، والمقام للكفار لأنهم يخلدون .

قال الحسن : قد علموا أن كل غريم يفارق غريمه إلا غريم جهنم ، وقال محمد بن كعب : طالبهم الله - عز وجل - بثمر النعيم في الدنيا فلم يأتوا به ، فأخذ ثمنه بإدخالهم النار .

التوسط في الإنفاق :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٢٧)

ثم وصفهم سبحانه بالتوسط في الإنفاق فقال : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ أي والذين هم ليسوا بالمبذرين في إنفاقهم ، فلا ينفقون فوق الحاجة ، ولا ببخل على أنفسهم وأهليهم فيقصرون فيما يجب نحوهم ، بل ينفقون عدلاً

(١) سورة المؤمنون : ٦٠ .

وسطاً ، وخير الأمور أوسطها ، قال أبو عبيدة : يقال قَتَرَ الرجل على عياله يَقْتَرُ وَيَقْتَرُ قَتْرًا ، وأَقْتَر يَقْتَرُ إِقْتَارًا ، ومعنى الجميع : التضييق في الإنفاق ، وقوله : ﴿ قَوَامًا ﴾ قوام بالفتح : العدل بين الشئيين .

وقد قيل :

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم
وقيل :

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتتهت ولم ينهها تافت إلى كل باطل
وساقت إليه الإثم والعار بالذي دعتة إليه من حلاوة عاجل

ومن أحسن ما قيل في معنى الآية : إن من أنفق في غير طاعة الله فهو الإسراف ، ومن أمسك عن طاعة الله فهو الإقتار ، ومن أنفق في طاعة الله فهو القوام . قال يزيد بن أبي حبيب : أولئك أصحاب محمد - ﷺ - كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة ، ولا يلبسون ثياباً للجمال ، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ، ويقويهم على عبادة ربهم ، ومن اللباس ما يستر عوراتهم ، ويكفهم من الحر والبرد ، وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة : ما نفقتك ؟ قال عمر : الحسنة بين سيئتين ، ثم تلا هذه الآية ، وقال لابنه عاصم : يا بني كُلْ في نصف بطنك ، ولا تطرح ثوباً حتى تستخلقه ، ولا تكن من قوم يجعلون ما رزقهم الله في بطونهم وعلى ظهورهم .

العبودية لله - ﷻ - :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (٦٨)

لما فرغ - ﷻ - من ذكر إتيانهم بالطاعات ، شرع في بيان اجتنابهم للمعاصي فقال : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ أي والذين لا يعبدون مع الله إلهاً آخر فيشركون في عبادتهم إياه ، بل يوحدونه ويخلصون له العبادة والدعوة ويفردونه بالطاعة .

﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي ولا يقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها ، كالكفر بعد الإيمان ، والزنا بعد الإحصان ، وقتل النفس بغير حق .

﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ فيأتون ما حرم الله عليهم إتيانه من الفروج فيستحلون الفروج المحرمة بغير نكاح ولا ملك يمين ، ومن يفعل ذلك أي : شيئاً مما ذكر ﴿ يَلْقَ ﴾ في الآخرة ﴿ أَثَامًا ﴾ والأثام في كلام العرب : العقاب .

رُوي عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : « قلت يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله » قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » . قلت : « ثم أي » قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » . قال : « ثم أي » . قال : « أن تزاني حيلة جارك » . وأنزل الله تصديق قول النبي - ﷺ - ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ ^(١) .

نفى الله - ﷻ - عنهم هذه القبائح ، مع أنه وصفهم بالصفات السالفة من حسن معاملتهم للناس ومزيد خوفهم من الله وإحياء الليل التي تقتضي نفية عنهم ، تعريضاً بما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم ، وتنبيهاً إلى الفرق بين سيرة المؤمنين وسيرة المشركين ، فكأنه قيل : وعباد الرحمن الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر وأنتم تدعون ، ولا يقتلون وأنتم تقتلون الموءودة ، ولا يزنون وأنتم تزنون .

روى مسلم عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا ، وزنوا فأكثروا ، فأتوا محمداً - ﷺ - فقالوا ، إن الذي تقول وتدعوا إليه لحسن ، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزلت : ﴿ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ ونزل : ﴿ قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴾ ^(٢) الآية : وقد قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إن هذه نزلت في وحشي قاتل حمزة .

﴿ يَضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ مُهَانًا ﴾ ٦٩

ثم تَوَعَّد سبحانه من يفعل مثل هذه الأفعال بشديد العقاب فقال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ

(١) صحيح البخاري - كتاب الديات - باب قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ ص ٢٥١٧ حديث ٦٤٦٨ .

(٢) سورة الزمر : ٥٣ .

أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ أي ومن يفعل خصلة من خصال الفجور السالفة ، يلقَ في الآخرة جزاء إثمه وذنبه الذي ارتكبه ، بل سيضاعف له ربه العذاب يوم القيامة ويجعله خالدًا أبدًا في النار مع المهانة والاحتقار ، و ﴿وَيَخْلُدُ فِيهِ﴾ راجع إلى العذاب المضاعف ، أي : يخلد في العذاب المضاعف مُهانًا ذليلاً حقيراً ، فيجتمع له العذاب الجسمي والعذاب الروحي .

الرجوع إلى الله - عَزَّوَجَلَّ - :

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٧٠﴾

وبعد أن أتم تهديد الفجار على هذه الأوزار ، أتبعه بترغيب الأبرار في التوبة والرجوع إلى حظيرة المتقين فيفوزون بجنات النعيم فقال : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ . ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ استثناء ، أي من رجع عن هذه الآثام مع إيمانه وأعماله الصالحة فأولئك يحو الله سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت لهم لواحق طاعته .

ومعنى تبديل السيئات حسنات ، أنه يحو عنهم المعاصي ، ويثبت لهم مكانها طاعات . قال النحاس - رحمه الله - : « من أحسن ما قيل في ذلك : أنه يكتب موضع كافر مؤمن ، وموضع عاصٍ مطيع » ، وقيل : التبديل عبارة عن الغفران ، أي : يغفر الله لهم تلك السيئات ، لا أن يبدلها حسنات . وقيل : المراد بالتبديل : أن يوفقه لأضداد ما سلف منه ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ هذه الجملة مقررة لما قبله من التبديل .

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها ، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها ، فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا ، فيقول : نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه ، فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها هنا فلقد رأيت

رسول الله - ﷺ - ضحك حتى بدت نواجذه » ^(١) . والأحاديث في تكفير السيئات وتبديلها بالحسنات كثيرة .

ورؤي عن معاذ - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال له : « يا معاذ أتبع السيئة بالحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » ^(٢) .

والخلاصة - إنه يعفو عن عقابه ، ويتفضل بثوابه ، والله واسع المغفرة لعباده ، فيثيب من أناب إليه بجزيل الثواب ، ويبعد عنه شديد العقاب .

من هداية الآيات

- ١- ثناء الله - ﷻ - على عباده المخلصين بصفاتهم العظيمة .
- ٢- من صفات الصالحين الإعراض عن الجاهلين .
- ٣- الإشارة إلى أن عبادة الله والصلاة في الليل أخلص وأخشع وأبعد عن الرياء .
- ٤- مدح الله - ﷻ - عباد الرحمن بأنهم مع حسن معاملتهم وعبادتهم فإنهم يخافون عذابه .
- ٥- وصف الله - ﷻ - عباد الرحمن بالتوسط في الإنفاق في سبيله أي ليسوا بالمبذرين ولا بالمقترين .
- ٦- نفى الله - ﷻ - عن عباد الرحمن القبائح تعريضاً بما كان عليه أعدائهم من قريش وغيرهم .
- ٧- استحقاق الإثم ومضاعفة العذاب والخلود في النار لمن أشرك وأسرف بالقتل وانتهك حرمة الله بالزنى .
- ٨- استثنى الله - ﷻ - من أصحاب النار الذين تابوا وآمنوا وعملوا صالحاً .
- ٩- رغب الله - ﷻ - بالتوبة والرجوع إليه وذلك بتبديل سيئاتهم إلى حسنات .

(١) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - ما أدنى أهل الجنة منزلة .

(٢) مسند أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم - أتبع السيئة بالحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن (٢١٤٨٢) .

من القيم المستفادة :

- الطاعة .
- التوبة .
- التوحيد .



التقويم

السؤال الأول : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- سلام الجاهلون سلام توديع ومتاركة . ()
- ٢- البختر مشية تُكره إلا في سبيل الله . ()
- ٣- التقدير صفة يمدحها الإسلام . ()
- ٤- ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ هذا الاستثناء خاص بالزاني . ()

السؤال الثاني : أكمل العبارة التالية بما يناسبها ويكمل معناها :

من أنفق في غير طاعة الله فهو ومن أمسك عن طاعة الله فهو

السؤال الثالث : علّل ما يأتي :

- ١- وصف الله -عز وجل- عباد الرحمن بعدة صفات في الآيات الكريمة :

.....

- ٢- خُصَّت العبادَة في البيتوتة :

.....

- ٣- مدح الله تعالى خوف عباده المخلصين :

.....

- ٤- سؤال المؤمنين ربهم بصرف العذاب عنهم :

.....



٥- حُرمة قتل النفس إلا بالحق :

.....

٦- نفى الله -وَعَلَى- عن عباده فعل القبائح :

.....

السؤال الرابع : أجب عما يأتي :

١- بم وصف الله -وَعَلَى- عباد الرحمن ؟

.....

٢- ما المراد بـ ﴿سَلَامًا﴾ في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ؟

.....

٣- ما منهج عباد الرحمن في الإنفاق؟

.....

٤- ما سبب نزول قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...﴾ ؟

.....

٥- متى تتبدل سيئات عباد الله إلى حسنات ؟

.....



عباد الرحمن (٢)

سورة الفرقان الآيات (٧١ - ٧٧)

التمهيد :

باب التوبة مفتوح يدخل منه كل من استيقظ ضميره وأراد العودة والمآب ، لا يُصَدُّ عنه قاصد ولا يُغْلَقُ في وجهه لاجئ أياً كان و أياً ما ارتكب من الآثام .

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أن رجلاً قتل تسعة وتسعين نفساً فجعل يسأل ، هل له من توبة فأتى راهباً فسأله فقال : ليست لك توبة فقتل الراهب ثم جعل يسأل ، ثم خرج من قرية إلى قرية فيها قوم صالحون فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فنأى ب صدره ثم مات ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجعل من أهلها » ^(١) .

أن أبا ذرٍ - رضي الله عنه - قال : « أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو نائم عليه ثوب أبيض ثم أتيتُه فإذا هو نائم ثم أتيتُه وقد استيقظ فجلست إليه فقال : « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » قلت : « وإن زنى وإن سرق ؟ » ، قال : « وإن زنى وإن سرق ، قلت : « وإن زنى وإن سرق ؟ » ، قال : « وإن زنى وإن سرق » ثلاثاً ثم قال في الرابعة : « على رغم أنف أبي ذر » قال : فخرج أبو ذر وهو يقول : « وإن رَغِمَ أنفُ أبي ذر » ^(٢) .

يضع تعالى قاعدة التوبة وشرطها : ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْوِبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾
فالتوبة تبدأ بالندم والإقلاع عن المعصية ، وتنتهي بالعمل الصالح الذي يثبت أن التوبة صحيحة وأنها جدية ، وهو في الوقت ذاته يُنشئ التعويض الإيجابي في النفس للإقلاع عن المعصية ، فالمعصية عمل وحركة ، يجب ملء فراغه بعمل مضاد وحركة ، وإلا حنَّت النفس إلى الخطيئة

(١) صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب أتاني جبريل - عليه السلام - فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

بتأثير الفراغ الذي تحسه بعد الإقلاع . وهذه لمحة عجيبة في منهج التربية القرآني ، تقوم على خبرة بالنفس الإنسانية عميقة .

قال تعالى

وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ
وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا
وَعُمًيَانَا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُنْقِيَتِ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً
وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا
دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

مفردات الآيات :

النص القرآني	النص القرآني
لا يقيمون الشهادة الكاذبة ، والزور هو الكذب والباطل ، والمراد أنهم لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم	لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ
وهو ما ينبغي أن يلغى ويُطرح مما لا خير فيه من الكلام	بِاللَّغْوِ
مكرمين أنفسهم عن الخوض فيما لا ينفع من الكلام	كِرَامًا
الخرور : السقوط على غير نظام وترتيب	لَمْ يَخِرُّوا
يراد بها الفرح والسرور	قُرَّةَ أَعْيُنٍ
يستعمل للمفرد والجمع والمراد الثاني ، أي أئمة يقتدى بهم في إقامة مراسم الدين	إِمَامًا
كل بناء عالٍ مرتفع ، ويراد بها الدرجات الرفيعة	الْغُرْفَةَ

لا يعتد بكم	مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ
عبادتكم	دُعَاؤُكُمْ
لازماً يحقق بكم حتى يكبكم في النار	لِزَامًا

الشرح الإجمالي للآيات :

فضيلة التوبة :

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (٧١) ﴿

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي من أراد التوبة وعزم عليها فليتب إلى الله -عز وجل- ، ومن تاب عما اقترف من المعاصي ، وندم على ما فرط منه ، وزكى نفسه بصالح الأعمال بعد ذلك ، فإنه يرجع إلى الله رجوعاً صحيحاً قوياً بتوبة نصوح ، مقبولة لديه ، ماحية للعقاب ، محصلةً لجزيل الثواب ، إلى أن ينير قلبه بنور من عنده يهديه إلى سواء السبيل ، ويوفقه للخير ، ويبعده عن الضير . وقيل : أي من تاب بلسانه ولم يحقق التوبة بفعله ، فليست تلك التوبة نافعة ، بل من تاب وعمل صالحاً فحقق توبته بالأعمال الصالحة ، فهو الذي تاب إلى الله متاباً ، أي : تاب حق التوبة وهي النصوح ، وفي هذا تعميم لقبول التوبة من جميع المعاصي بعد أن ذكر قبولها من أمهاتها .

صفات جليلة وآداب رفيعة :

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٧٢) ﴿

ثم وصف سبحانه هؤلاء التائبين العاملين للصالحات فقال : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي والذين لا يؤدون الشهادات الكاذبة ، ولا يساعدون أهل الباطل على باطلهم ، وكان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يجلد شاهد الزور أربعين جلدةً تعزيراً ، ويسخّم وجهه ، يطليه بمادة سوداء ، ويحلق رأسه ، ويطوف به السوق ، ونحو هذا قوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي الْجَهْلِينَ﴾ (١) .

(١) سورة القصص : ٥٥ .

قال الزجاج -رحمه الله- : الزور في اللغة الكذب ولا كذب فوق الشرك بالله ، وقال محمد بن الحنفية : لا يحضرون مجالس اللهو والغناء ، وقال ابن جرير ومجاهد : الكذب ، والأولى عدم التخصيص بنوع من أنواع الزور ، بل المراد الذين لا يحضرون ما يصدق عليه اسم الزور كائناً ما كان .

﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ أي : معرضين عنه غير ملتفتين إليه ، ويكرمون أنفسهم عن سماع اللغو وما لا خير فيه كاللغو في القرآن ، وشم الرسول -ﷺ- والخوض فيما لا ينبغي ، واللغو : كل ساقط من قول أو فعل . قال الحسن : اللغو : المعاصي كلها . وقيل : المراد إذا ﴿ مَرُّوا ﴾ بذوي اللغو ، يقال : فلان يكرم عمّا يشينه ، أي : يتنزه ويكرم نفسه عن الدخول في اللغو والاختلاط بأهله .

خشوع الصالحين :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (٧٣)

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ أي والذين إذا ذُكِّروا بالقرآن ، أو بما فيه موعظة وعبرة أكبوا عليها سامعين بأذان واعية ، مبصرين بعيون راعية ، ولم يقعوا عليها حال كونهم صُمًّا وعمياناً ، والمعنى لم يتغافلوا عنها ، كأنهم صُمُّ لم يسمعوها ، وعُمِّيَّ لم يبصروها . وقيل أن المعنى : إذا تليت عليهم آيات الله وجلت قلوبهم ، فخرّوا سجّداً وبكياً ، ﴿ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ وفي هذا تعريض بما عليه الكفار والمنافقون الذين إذا سمعوا كلام الله لم يتأثروا به ولم يتحولوا عمّا كانوا عليه ، بل يستمرون على كفرهم وعصيانهم ، وجهلهم وضلالهم ، فكانهم صُمُّ لا يسمعون ، وعُمِّيَّ لا يبصرون .

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٧٤)

الذرية : تقع على الجمع ، كما في قوله : ﴿ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ ﴾ (١) وتقع على الفرد كما في قوله : ﴿ ذُرِّيَّةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ (٢) ، و ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ المراد بها ما يكون لصاحبها من الفرح و السرور

(١) سورة النساء : ٩ .

(٢) سورة آل عمران : ٣٨ .

وذهب الحزن ، كما قال الزجاج : يقال أقر الله عينك ، أي : صادف فؤادك ما يحبه . ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي : قدوة يقتدى بنا في الخير ، وإنما قال : إماماً ، ولم يقل أئمةً ، لأنه أريد به الجنس . كقوله : ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ ^(١) قال إماماً ، ولم يقل أئمةً كما قال للاثنين ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٢) يعني : أنه من الواحد الذي أريد به الجمع ، وقيل أرادوا : اجعل كل واحد منّا إماماً ، وقيل أي اجعلنا نقتدي بالأئمة وكلنا المعنيين صحيح .

قال النيسابوري - رحمه الله - : قيل في الآية دلالة على أن الرياسة الدينية مما يجب أن تطلب ويرغب فيها ، والأقرب أنهم سألوا الله أن يبلغهم في الطاعة المبلغ الذي يشار إليهم ، ويقتدى بهم .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ قال : يعنون من يعمل بالطاعة فتقر به أعيننا في الدنيا والآخرة ، واجعلنا للمتقين إماماً قال : أئمة هدى يهتدى بنا ولا تجعلنا أئمة ضلالة ، لأنه قال لأهل السعادة : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ ^(٣) ولأهل الشقاوة : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّكْرِ﴾ ^(٤) .

{ والخلاصة } أي هم الذين يسألون الله أمرين أولهم : أن يُخرج من أصلاهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له ، وصادق الإيمان إذا رأى أهله قد شاركوه في الطاعة قرت بهم عينه ، وسرَّ قلبه ، وتوقع نفعهم له في الدنيا حياً وميتاً ، وكانوا من اللاحقين به في الآخرة ، ويسألونه ثانياً : أن يجعلهم أئمة يقتدى بهم في إقامة مراسم الدين بما يفيض عليهم من واسع العلم ، وبما يوفقهم إليه من صالح العمل فيكونوا دعاءً إلى الخير ، أمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر .

روى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : ولدٌ صالحٌ يدعو له ، وعلمٌ ينتفع به من بعده ، وصدقةٌ جارية » ^(٥) .

(١) سورة غافر : ٦٧ .

(٢) سورة الأعراف : ٦١ .

(٣) سورة الأنبياء : ٧٣ .

(٤) سورة القصص : ٤١ .

(٥) سنن ابن ماجه بشرح السندي - كتاب المقدمة - باب الصدقة المثمرة .

جزاء المتقين :

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ﴾ (٧٦)

ولما بين سبحانه صفات المتقين المخلصين ذكر إحسانه إليهم بقوله : ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۖ﴾ والغرفة : الدرجة الرفيعة ، وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها ، وهي في الأصل لكل بناء مرتفع ، والجمع غرف . وقال الضحاك : الغرفة الجنة ، والباء في ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ سببية ، وما مصدرية ، أي : يجزون الغرفة بسبب صبرهم على مشاق التكليف ويلقون فيها تحيةً وسلاماً ، ومعنى التحية : الدعاء لهم بطول الحياة وقيل أنه يحيي بعضهم بعضاً ويرسل إليهم الرب سبحانه بالسلام وقيل : إن الملائكة تحييهم وتسلم عليهم ، والظاهر أن هذه التحية والسلام هي من الله سبحانه لهم ، ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۖ﴾ ، ومعنى السلام : الدعاء لهم بالسلامة من الآفات ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ﴾ (٧٦) ونُصِبَتْ ﴿خَالِدِينَ﴾ فيها على الحال ، أي : مقيمين فيها من غير موت ، ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ﴾ أي : حسنت الغرفة مستقراً يستقرون فيه ، ومقاماً يقيمون به ، وهذا في مقابل ما تقدم من قوله : ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ﴾ .

فهم يقيمون فيها لا يظعنون ولا يموتون حَسُنَتْ منظراً ، وطابت مقيلاً ومنزلاً ونحو الآية قوله : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ۖ﴾ (١) .

فأولئك المتصفون بصفات الكمال ، وامتازوا بفضائل الأخلاق والآداب ، يجزون المنازل الرفيعة ، والدرجات العالية ، بصبرهم على فعل الطاعات ، واجتنابهم للمنكرات ، ويبتدرون فيها بالتحية والإكرام ، ويلقون التوفير والاحترام ، فلهم السلام وعليهم السلام . ونحو الآية قوله : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۖ﴾ (٢) .

(١) سورة هود : ١٠٨ .

(٢) سورة الرعد : ٢٣ - ٢٤ .

شرف العبادة :

﴿ قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ (٧٧)

ولما شرح صفات المتقين وأثنى عليهم بين سبحانه أنه غني عن طاعة الكل ، وإنما كفهم لينتفعوا بالتكليف ، يقال : ما عبأْتُ بفلان ، أي : ما باليتُ به ، ولأله عندي قدر ، وأصل يعبأُ من العبء ، وهو الثقل ، والمعنى ما أعبأُ بفلان : أي : ما أصنعُ به كأنه يستقله ويستحقره ، ويدعي أن وجوده وعدمه سواء ، فلا وزن يكون لكم عنده لولا دعاؤكم أي : لولا دعاؤكم إياه لتعبدوه ، فأمر رسوله - ﷺ - أن يقول لهم : ﴿ قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ أي قل لهؤلاء الذين أرسلت إليهم : إن الفائزين بتلك النعم الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون ، إنما نالوها بما ذكر من تلك المحاسن ، ولولاها لم يعتد بهم ربهم ، ومن ثم لا يُعبأُ بكم إذا لم تعبده ، فما خلق الإنسان إلا ليعبد ربه ويطيعه وحده لا شريك له كما قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) .

والخطاب لجميع الناس ، ثم خص الكفار منهم فقال : ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ أي أما وقد خالفتُم حُكمي ، وعصيتُم أمري ، ولم تعملوا عمل أولئك الذين ذكروا من قبل وكذبتُم رسولي ، فسوف يلزمكم أثر تكذيبهم ، وهو العقاب الذي لا مناص منه ، فاستعدوا له ، وتهيئوا لذلك اليوم ، فكل آتٍ قريب فسوف يكون جزاء التكذيب لازماً لكم ، قال ابن جرير لزماً : عذاباً دائماً ، وهلاكاً مُفنياً ، يلحق بضعكم ببعض ، وجمهور المفسرين على أن المراد باللزام هنا : ما لزم المشركين يوم بدر . عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله : ﴿ قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ ، يقول : لولا إيمانكم ، فأخبر الله أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين ، ولو كانت له بهم حاجة لُحِبَّ إليهم الإيمان ، كما حبه إلى المؤمنين فسوف يكون لزماً قال : موتاً .

{ وخلاصة ذلك } لا يعتدُّ بكم ربي لولا عبادتكم إياه ، أما وقد قصّر الكافرون منكم في العبادة ، فسيكون تكذيبهم مُفضياً لعذابهم وهلاكهم في الدنيا والآخرة .

من هداية الآيات :

- ١- باب التوبة مفتوح لمن ندم على ما اقترف من المعاصي وتاب وعمل صالحاً .
- ٢- للتوبة النصوح شروط ثابتة لا تتحقق التوبة إلا بها .
- ٣- لا تنفع التوبة باللسان دون الفعل .
- ٤- شهادة الزور وسماع اللغو صفات يُعرض عنها عباد الرحمن .
- ٥- بيان حال عباد الرحمن إذا ذكروا بآيات ربهم .
- ٦- لا يتأثر المنافقون و الكفار بآيات الله إذا قرأت عليهم .
- ٧- الدعاء هو العبادة .
- ٨- يسأل عباد الرحمن ربهم أن يهب لهم من أزواجهم ذرياتٍ صالحةٍ تنشر الدين وتؤم المسلمين .
- ٩- جزاء الله للمتقين المخلصين على طاعتهم غُرفاً في أعلى الجنة .
- ١٠- نعيم أهل الجنة دائم لا ينقطع .
- ١١- مهمة الإنسان في الأرض هي عبادة الله -عز وجل- .
- ١٢- بيان أن الله غني عن طاعة العباد وإنما هم المنتفعون بها .
- ١٣- تكذيب المشركين عائد أثره عليهم ومفضي لعذابهم في الدنيا والآخرة .

من القيم المستفادة :

- الصدق .
- حب الناس .
- الدعاء .



التقويم

السؤال الأول : ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

- ١- التوبة النصوح تتحقق لمن تاب بلسانه وبفعله . ()
- ٢- يُجلد شاهد الزور خمسين جلدة . ()
- ٣- لفظ الذرية يقع على الجمع والمفرد . ()
- ٤- نوع الباء في قوله تعالى : ﴿ **يَمَّا صَبْرًا** ﴾ سببية . ()
- ٥- الخطاب في الآيات لجميع الناس ثم خص المؤمنين . ()

السؤال الثاني : علّل ما يأتي :

- ١- قال ﴿ **إِمَامًا** ﴾ ولم يقل أئمة :

.....

- ٢- كلف الله عباده بالتشريعات :

.....

السؤال الثالث : أجب عما يأتي :

- ١- عدّد شروط التوبة النصوح :

.....

- ٢- ما موقف أصحاب الرسول - ﷺ - من اللغو ؟

.....



٣- ما أقوال العلماء في معنى ﴿الزُّور﴾ ؟

.....

٤- ما أقوال العلماء في قوله تعالى : ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ ؟

.....

٥- فسّر قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ :

.....

٦- كيف فسّر علماء الجمهور قوله تعالى : ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ ؟

.....

السؤال الرابع :

في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ في هذه الآية يسأل عباد الرحمن ربهم أمرين فما هما ؟

..... : الأمر الأول :

..... : الأمر الثاني :

السؤال الخامس : استخرج من الآيات ما يدل على المعنى التالي :

١- نعيم أهل الجنة دائم لا ينقطع :

.....

٢- الإعراض عن شهادة الزور وسماع اللغو :

.....

المراجع

١- القرآن الكريم

٢- في ظلال القرآن . المؤلف : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى ١٣٨٥هـ) الناشر : دار الشروق - بيروت - القاهرة . الطبعة السابعة عشر ١٤١٢ هـ (المجلد الخامس) .

٣- فتح القدير . المؤلف : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكانى اليمنى (المتوفى ١٢٥٠هـ) الناشر : دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب - دمشق ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ (المجلد الرابع) .

٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير . المؤلف : جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري . الناشر : مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، المملكة العربية . السعودية الطبعة الخامسة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م (المجلد الرابع) .

٥- الجامع لأحكام القرآن . تفسير القرطبي . المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى ٦٧١هـ) تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش . الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م (جزء ١٣) .

٦- تفسير القرآن العظيم ابن كثير . المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ) المحقق : محمد حسين شمس الدين . الناشر : دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ (الجزء السادس) .

٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى ١٣٧٦هـ) . المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق . الناشر : مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م (الكتاب في جزء ١ فقط) .

٧- تفسير المراغي . المؤلف : أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى ١٣٧١هـ) . الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (جزء ١٩) .

٨- تفسير الطبري . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري (المتوفى ٣١٠هـ) . تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة . الناشر : دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان . الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (جزء ١) .

٩- صفوة التفاسير . المؤلف : محمد علي الصابوني . الناشر : دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة . الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (الكتاب في جزء واحد) .

١٠- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ - وسننه وأيامه . صحيح البخاري . المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي . المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر : دار طوق النجاة . مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي . الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

١١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ - المؤلف : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى : ٢٦١هـ) . المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت .

١٢- لسان العرب . المؤلف : محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين بن منطور
الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى ٧١١هـ) . الناشر : دار صادر - بيروت الطبعة
الثالثة ١٤١٤ هـ .

١٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن . تفسير البغوي . المؤلف : مُحيي السنة ، أبو محمد
الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى : ٥١٠هـ) . المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد
عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش . الناشر : دار طيبة
للنشر والتوزيع . الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م رقم الأجزاء (٢ - ٣) .

١٤- الفوائد . المؤلف : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية
(المتوفى ٧٥١هـ) . الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت . الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ
- ١٩٧٣ م .

١٥- زاد المعاد في هدي خير العباد . المؤلف : محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس
الدين ابن قيم الجوزية . (المتوفى : ٧٥١هـ) . الناشر : مؤسسة الرسالة . بيروت -
مكتبة المنار الإسلامية . الكويت . الطبعة السابعة والعشرون . ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .



أودع بمكتبة الوزارة تحت رقم (١٥٦) بتاريخ ٢٠١٤ / ١١ / ٣ .